الـــصـــحـــيـــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ. ـ ٢٠٠٩م.

المركز الإسلامي للدراسات

الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء السابع

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع:

تبليغ سورة براءة..

إرسال أبي بكر إلى مكة:

قلنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»: إن أبا بكر حج بالناس في سنة تسع بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» على أثر أبي بكر ليأخذ سورة براءة منه، ويقرأها هو على الناس، فأدركه بالعرج في قول ابن سعد، أو في ضجنان(١) كما قاله ابن عائذ. وكان علي «عليه السلام» على العضباء ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فزعموا: أن أبا بكر لما رآه قال: أميراً أو مأموراً؟!

قال: لا بل مأمور. ثم مضيا(٢).

وحسب نص آخر: بعث أبا بكر على إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره علياً يقرأ على الناس سورة براءة.

---

(١) العرج: قرية تبعد عن المدينة نحو ثمانية وسبعين ميلاً. وضجنان: جبل يبعد عن مكة اثني عشر ميلاً.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٣ و ٧٤ والدرر لابن عبد البر ص٢٥٠ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٢٢.

فقيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج[١].

وقيل: بل لأن عادة العرب كانت أنه لا تحل العقود والعهود ويعقدها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته، فلهذا بعث علياً «عليه السلام» في أثره[٢].

وقيل: أردفه به عوناً له ومساعداً، ولهذا قال له الصدِّيق: أأميراً أو مأموراً؟!

قال: بل مأموراً.

وقالوا: وأما أعداء الله الرافضة، فيقولون: عزله بعلي، وليس هذا ببدع من بهتهم وافترائهم[٣].

وقيل: كان في سورة براءة الثناء على الصدِّيق، فأحب أن يكون على لسان غيره، قال في الهدى: لأن السورة نزلت بعد ذهاب أبي بكر إلى

(١) راجع: الدرر لابن عبد البر ص٢٥٠ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٢١ و ٣٢٢.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٣٨ وج١٢ ص٧٥ ودلائل الصدق ج٢ ص٢٤٥ و ٢٤٦ عن الفضل بن روزبهان، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٦١ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٣١٩ عن الجبائي، والمغني للقاضي عبد الجبار ج٢٠ ص٣٥١ وتفسير الرازي ج١٥ ص٢١٨ والكشاف للزمخشري ج٢ ص١٧٢ وتفسير البيضاوي ج١ ص٤٠٥ وشرح التجريد للقوشجي ص٣٧٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٥.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٣٨.

الحج[١].

ونقول:

لا بد من ملاحظة ما يلي:

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ:

إن هذا العرض لما جرى لأبي بكر في تبليغ مضامين سورة براءة في موسم الحج يمثل أنموذجاً لمكر الماكرين، وجحود الجاحدين، ﴿**وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**﴾[٢]..

مع أن أحداث هذه القضية كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، ولم يزل العلماء يتداولونها، ويستدلون بها في قضايا الإمامة، ولا يجد الآخرون مناصاً عن البخوع لمقتضيات مضامينها، والتسليم بدلالاتها، ولو وجدوا أي مجال للتأويل أو التحوير لما ترددوا في اللجوء إليه، والتعويل عليه.

ونحن نوضح هنا الحقيقة في هذه القضية، فنقول:

حقيقة ما جرى:

عن الحارث بن مالك: أنه سأل سعد بن أبي وقاص (أو: سعد بن مالك): هل سمعت لعلي منقبة؟!

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٥.

(٢) الآية ٤٦ من سورة إبراهيم.

قال: قد شهدت له أربعاً، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا، أُعمّر فيها مثل عمر نوح: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش، فسار بها يوماً وليلة. ثم قال لعلي: اتبع أبا بكر فخذها وبلغها.

فَرَدَّ عليٌّ أبا بكر، فرجع يبكي، فقال: يا رسول الله، أنزل فيَّ شيء؟!

قال: لا، إلا خيراً، إنه ليس يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني.

أو قال: من أهل بيتي الخ..»[١].

وكان مع أبي بكر، قبل أن يرجع ثلاث مائة رجل[٢].

خلاصات ضرورية:

ولتوضيح هذه القضية نحتاج إلى إيراد خلاصة جامعة لما جرى فيها، وهي كما يلي:

يظهر من النصوص المتوافرة لدينا: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر أن يسير إلى مكة ليقيم للناس حجهم في سنة تسع، وليبلغ الناس عنه صدر

---

(١) كفاية الطالب ص٢٨٧ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٥ عن علل الشرايع ص٧٤ ومقام الإمام علي «عليه السلام» لنجم الدين العسكري ص٣٦ والغدير للشيخ الأميني ج١ ص٤٠ وج٦ ص٣٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٤٤٥ وج١٥ ص٦٦١ وج٢٢ ص٤٢٩ عن مختصر تاريخ دمشق (ط إسلامبول) ج١٧ ص١٣٠.

(٢) بحار الأنوار ج٣٥ ص٣٠٩ عن الكامل لابن الأثير.

سورة براءة، بالإضافة إلى قرارات أخرى يريد «صلى الله عليه وآله» أن يلزم الناس بمراعاتها.

ويستفاد من مجموع الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» كتب عشر آيات، أو ثلاثين أو أربعين آية من سورة براءة، وكتب أيضاً:

١ ـ أن لا يطوفنَّ بالبيت عريان.

٢ ـ لا يجتمع المسلمون والمشركون.

٣ ـ ومن كان بينه وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهد، فأجله إلى مدته، ومن لم يكن بينه وبينه عهد فأجله إلى أربعة أشهر.

٤ ـ إن الله بريء من المشركين وَرَسُولُهُ.

٥ ـ لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (أو إلا من كان مسلماً).

٦ ـ لا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا.

٧ ـ أن هذه أيام أكل وشرب.

٨ ـ أن يرفع الخمس من قريش، وكنانة وخزاعة إلى عرفات(١).

والخمس: هي أحكام كانوا قد قرروها لأنفسهم: هي ترك الوقوف بعرفات والإفاضة منها(٢).

---

(١) تفسير فرات ص١٦١ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٣٠٠ عنه، وراجع: تفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج٨ ص٨٧.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٩٩.

فلما كان أبو بكر ببعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإذا هو علي «عليه السلام»، فأخذ الكتاب من أبي بكر ومضى.

ويبدو أن الكتب كانت ثلاثة:

أحدها: ما أشير إليه آنفاً.

والثاني: كتاب يشتمل على سنن الحج، كما روي عن عروة.

والكتاب الثالث: كتبه النبي «صلى الله عليه وآله» الى أبي بكر وفيه: أنه استبدله بعلي «عليه السلام» لينادي بهذه الكلمات في الموسم، ويقيم للناس حجهم.

وعند المفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي: «وخيِّر أبا بكر أن يسير مع ركابك، أو يرجع إليَّ».

فاختار أبو بكر أن يرجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما دخل عليه قال: «يا رسول الله، إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليَّ، فلما توجهت له رددتني عنه؟! ما لي؟! أنزل فيَّ قرآن؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا، الخ..»(١).

وفي نص آخر: فأخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأن جبرئيل جاءه وقال له: إنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه، وهو علي «عليه السلام».

---

(١) الإرشاد ج١ ص٦٥ و ٦٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٧٥ وج٣٥ ص٣٠٣ عنه، وعن المناقب ج١ ص٣٢٦ و ٣٢٧ والمستجاد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص٥٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص٢٤٧ وكشف اليقين ص١٧٣.

فقرأ علي «عليه السلام» في موقف الحج سورة براءة حتى ختمها كما عن جابر.

وعن عروة: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» أن يؤذّن بمكة وبمنى، وعرفة، وبالمشاعر كلها: بأن برئت ذمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من كل مشرك حج بعد العام، أو طاف بالبيت عريان الخ..

ولهذا الحديث مصادر كثيرة جداً، فراجعه في مظانه(١).

---

(١) راجع هذا الحديث في المصادر التالية: الدر المنثور ج٣ ص٢٠٩ و ٢١٠ عن أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وابن حبان، والطبراني، والتراتيب الإدارية ج١ ص٧٢ ورسالات نبوية ص٧٢ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٧٤ و ٢٧٥ وج٣٥ ص٢٨٥ ـ ٣٠٩ والجامع لأبي زيد القيرواني ص٣٩٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٦ والرياض النضرة ج٣ ص١١٨ و ١١٩ وذخائر العقبى ص٦٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص٩١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٢٢ و ١٢٣ و (ط أخرى) ص١٥٢ والكفاية للخطيب ص٣١٣ والسنة لابن أبي عاصم ص٥٨٩ وكنز العمال ج٢ ص٤٢٢ و ٤١٧ و ٤٣١ وج١٣ ص١٠٩ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٩ وتفسير المنار ج١٠ ص١٥٧ و ١٥٦ والعمدة لابن البطريق ص١٦٠ وكشف اليقين ص١٧٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٨ وج٧ ص٣٥٧ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٦٠ وج٤ ص٧٨ ووسيلة المآل ص١٢٢ والجمل للمفيد ص٢١٩ والكامل لابن عدي (ط دار الفكر) ج٣ ص٢٥٦ و ٤١٣ وابن زنجويه ج١ ص٦٦٣ والمعجم الكبير ج١١ =

= ص٤٠٠ وفتح القدير ج٢ ص٣٣٤ والمناقب للخوارزمي ص٩٩ و ١٦٥ و ١٦٤ وزوائد المسند ص٣٥٣ وفرائد السمطين ج١ ص٦١ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٨٣ وجامع البيان ج١٠ ص٤٤ ـ ٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٣٣ والصواعق المحرقة ص٣٢ وتفسير أبي حيان ج٥ ص٦ وإمتاع الأسماع ص٤٩٩ والإصابة ج٢ ص٥٠٩ وخصائص الإمام علي بن أبي طالب للنسائي ص٩٢ و ٩٣ والأموال لأبي عبيد ص٢١٣ و ٢١٥ وتيسير الوصول ج١ ص١٥٨ وعن الكشاف ج٢ ص٢٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٠٣ والسنن الكبرى ج٥ ص١٢٨ ح٨٤٦١ وج٩ ص٢٢٤ وكفاية الطالب ص٢٥٥ و ٢٥٤ و ٢٨٥ عن أحمد، وابن عساكر، وأبي نعيم، وتشييد المطاعن ج١ ص١٦٤ و ١٦٥ ونور الثقلين ج٢ ص١٧٧ و ١٨٢ وتهذيب تاريخ دمشق ج٣ ص٨٩ ومسند أحمد ج١ ص٣ و ١٥١ و ١٥٠ وج٣ ص٢١٢ و ٢٨٣ وإرشاد الساري ج١٠ ص٢٨٣ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج١٠ ص٣٦ وتذكرة الخواص ص٣٧ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٣٧٦ و ٣٩٠ والمستدرك على الصحيحين ج٢ ص٣٦١ وج٣ ص٥٢ وينابيع المودة ص٨٩ والطرائف ص٣٨ و ٣٩ وعن فتح الباري ج٨ ص٣١٨ ومختصر تاريخ دمشق ج١٨ ص٦ وج٢٠ ص٦٨ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٢٥٧ و ٢٥٦ وتفسير النسفي ج٢ ص١١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٨ وتفسير البيضاوي ج١ ص٣٩٤ ومطالب السؤل ص١٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٤٦ وج٧ ص٢٨٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٦٧ و ٢٣٧ =

وقد نظم الشعراء هذه المنقبة شعراً، فقال شمس الدين المالكي المتوفى سنة ٧٨٠هـ:

وأرسله عنه الرسول مبلغاً ... وخُص بهذا الأمر تخصيص مفردِ

وقال: هل التبليغ عني ينبغي ... لمن ليس من بيتي من القوم فاقتدِ(١)

استمرار أبي بكر في مسيره إلى مكة:

اختلفت روايات غير الرافضة! في مسير أبي بكر إلى مكة، أو رجوعه إلى المدينة، فهي على ثلاثة أقسام:

الأول: لم يتعرض للنفي، ولا للإثبات..

= وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣١٩ والروض الأنف ج٧ ص٣٧٤ والكامل في التاريخ ج١ ص٦٤٤ والتفسير الكبير للرازي ج١٥ ص٢١٨ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج٥ ص١٩ وج١٥ ص١٦ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٤ والمواهب اللدنية ج١ ص٦٤٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٤٠ وروح المعاني ج١٠ ص٤٤ و ٤٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٢٨ وج٢ ص٤٠٧ وعن ابن خزيمة، وأبي عوانة، والدارقطني في الإفراد، وابن أبي حاتم، وتفسير البغوي (مطبوع مع تفسير الخازن) ج٣ ص٤٩ وتفسير الخازن ج٢ ص٢٠٣ والإرشاد للمفيد ج١ ص٦٥ و ٦٦ والبرهان (تفسير) ج٢ ص١٠٠ و ١٠١ وإعلام الورى ص١٣٢ وعن علل الشرايع ص٧٤ وعن الخصال ج٢ ص١٦ و ١٧ ومسند علي ص٧٤١.

(١) الغدير ج٦ ص٥٨ و ٣٣٨ عن نفح الطيب ج١٠ ص٢٤٤.

الثاني: صرح بمواصلة مسيره إلى مكة، وحج مع علي «عليه السلام»، رووا ذلك عن أبي هريرة، وابن عباس، ونسب إلى أبي جعفر أيضاً.

الثالث: تحدث عن رجوع أبي بكر إلى المدينة، وهو المروي عن علي «عليه السلام»، وابن عباس، وأبي هريرة والسدي[(١)]، وزيد بن بثيع، وأبي بكر نفسه.

وتعبير بعض روايات هؤلاء: بأنه «صلى الله عليه وآله» بعث (براءة) أولاً مع أبي بكر، ثم دعاه فبعث بها علياً «عليه السلام»[(٢)].

فيلاحظ: أن أصحاب الرأي الثاني هم ثلاثة فقط، وهم أنفسهم رووا رجوعه إلى المدينة، ووافقهم عليه آخرون، حتى أبو بكر نفسه.

فلا يصح ما ادعاه ابن روزبهان، من أن علياً لم يكن أمير الحج، لأنه كان مكلفاً فقط بتبليغ الآيات، مع تواتر الأخبار بأن أبا بكر قد حج في تلك

---

(١) مكاتيب الرسول ج١ ص٢٦٨.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٢٨٣ ونحوه في سنن الترمذي في تفسير سورة التوبة. وقال: هذا حديث حسن. وكنز العمال ج٢ ص٤٢٢ وراجع: الغدير ج٦ ص٣٤٥ وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٣٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٤٤ وكشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد (بتحقيق الآملي) للعلامة الحلي ص٥٠٩ و (بتحقيق السبحاني) ص٢٠٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٢ ص٤٢٢.

السنة[١]. انتهى.

ولا يصح أيضاً ما ادعاه القاضي عبد الجبار: من أن ولاية أبي بكر على الموسم والحج في تلك السنة قد ثبت بلا خلاف بين أهل الأخبار، ولم يصح أنه عزله..

قال: ولا يدل رجوع أبي بكر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مستفهماً عن القصة على العزل[٢].

نعم، لا يصح ذلك.

أولاً: لأنه قد ظهر مما ذكرناه آنفاً، أن الأخبار متواترة في رجوع أبي بكر إلى المدينة.. ولم يرو عندهم مضي أبي بكر مع علي «عليه السلام» إلى مكة سوى ما نسبوه إلى أبي جعفر..

أما رواية أبي هريرة، وابن عباس ذهابه إلى مكة فهي مشكوكة، لمعارضتها بروايتهما رجوعه إلى المدينة..

ثانياً: إن مهمة أبي بكر أولاً كانت إقامة الحج وتبليغ الآيات، فما الذي يمنع من أن يتولى علي «عليه السلام» ـ بعد رجوع أبي بكر ـ تبليغ الآيات،

---

(١) دلائل الصدق ج٣ ق١ ص١٨ و ١٩ عن فضل بن روزبهان، وشرح إحقاق الحق (الأصل) ص٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج٣ ص٣١٤ وج٣٠ ص٤١٦ والمغني لعبد الجبار ج٢٠ ص٣٥٠ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص١٩٥ والشافي في الإمامة ج٤ ص١٥٣.

وإقامة الحج أيضاً؟! فلماذا يريد ابن روزبهان أن يشكك في هذا الأمر..

ثالثاً: لا إجماع على تولية أبي بكر الحج في تلك السنة كما ظهر من رواية علي «عليه السلام»، وابن عباس، وابن بثيع، وأبي هريرة وأبي بكر نفسه، وغيرهم.

وتقدم: أن راوي مواصلة أبي بكر مسيره إلى مكة واحد.

يضاف إلى ذلك: قول الطبرسي عن علي «عليه السلام»: «روى أصحابنا أن النبي «صلى الله عليه وآله» ولاه أيضاً الموسم، وأنه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر(١).

رابعاً: إن إجماع بعض أهل الأخبار على مسير أبي بكر إلى مكة مع روايتهم رجوعه إلى المدينة عمن ذكرناهم عن قريب، يؤكد التهمة لهؤلاء الناس، في أنهم يسعون لتحسين صورة أبي بكر، وإبعاد الظنون والشبهات عنه.

والقول بأن الرجوع إلى المدينة رجوع بهدف الاستفهام، ولا يدل على عدم استئناف سفر جديد إلى مكة، لإنجاز مهمة الحج بالناس.. مجازفة ظاهرة.. فإن القائلين بذلك لم يدعوا استئناف السفر إلى مكة وتولي الحج من جديد، بل هم يقولون: إنه رجع إلى المدينة بصورة نهائية.

---

(١) مجمع البيان ج٥ ص٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٦٦ وج٣٠ ص٤١٧ والصافي (تفسير) ج٢ ص٣٢١ والتبيان للطوسي ج٥ ص١٦٩ ونور الثقلين ج٢ ص١٨٢.

تبدل آراء الأنبياء:

وقد يتساءل البعض فيقول:

كيف يتبنى النبي «صلى الله عليه وآله» رأياً، ويباشر بتنفيذه ثم يعدل عنه؟!

هل لأنه ظهر له خطؤه؟!

ألا يضعف ذلك ثقة الناس بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ويخل بمكانته في نفوسهم؟!

ونجيب:

ليست القضية قضية خطأ في الرأي قد بان صوابه، بل كان هناك أمران لا بد من ملاحظتهما، وهما:

١ ـ أن المطلوب كان إرسال أبي بكر إلى المكان الذي أرسل إليه، وأن يرى الناس ذلك.

٢ ـ ثم إرسال علي «عليه السلام» في أثره ليأخذ الكتاب، وأن يرى الناس ذلك أيضاً.

وقد كان الأمران كلاهما بوحي من الله، لا برأي بان خطؤه، لأننا نعلم: أنه «صلى الله عليه وآله» ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[١].

وأما المصلحة في ذلك فسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

---

(١) الآيتان ٣ و٤ من سورة النجم.

لماذا يتبرع أبو بكر؟!:

إذا كان أبو بكر يرغب في جمع الدلائل على أهليته للخلافة، فمن المتوقع: أن يتبرع هو بالذهاب إلى مكة، لا أن ينزعج من اختياره لها، إلا إن كانت خشيته على حياته هي التي أوجبت له هذا الانزعاج..

وحينئذ نقول:

لقد كان علي «عليه السلام» أولى بهذه الخشية منه، فإنه هو الذي وتر قريشاً، وأسقط هيبتها.

ومن جهة أخرى: إذا كان أبو بكر يخاف على نفسه من أهل مكة، فلماذا ينزعج من إرجاعه؟! لا سيما بعد التوضيح له: بأن سبب إرجاعه هو أن الذي يبلغ عن النبي «صلى الله عليه وآله» شخص له أوصاف لا تنطبق عليه..

سبب إرجاع أبي بكر:

لعل من أسباب إرجاع أبي بكر عن تبليغ رسالة النبي «صلى الله عليه وآله»، وآيات سورة براءة لأهل مكة الأمور التالية:

١ ـ قد يقال: إن من أهداف ذلك بيان أن أبا بكر لا يصلح للنيابة عن النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر الإبلاغ.. ربما لأنه لا يؤدي الأمر بحرفيته التامة، بل يراعي أموراً تجعله يقدم على التغيير والتبديل، وربما تكون هذه الأمور مصالح شخصية، تعود إليه.. ككونه لا يريد جرح مشاعر قومه، ولا إزعاجهم، ولا تصعيب علاقته بهم، أو غير ذلك..

والخلاصة: النبي «صلى الله عليه وآله» يريد تعريف الناس بأن أبا بكر

لا يؤتمن على إبلاغ الرسالة، التي وكل بإبلاغها.. ولذلك لم يقل النبي «صلى الله عليه وآله»: أبو بكر لا يقدر على التبليغ، بل قال: لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني..

٢ ـ وقد يقال: إن من الأهداف أنه لو قام أبو بكر بهذه المهمة لاستغلها هو ومؤيدوه فيما بعد، لادعاء مقامات تضر بسير الأمور كما يريده الله، من حيث إنها تساعده على اغتصاب الخلافة من صاحبها المنصوص عليه من الله ورسوله، وتثير الشبهة حين يدعي أبو بكر: أن هذه الإستنابة في التبليغ تشير إلى أهليته للقيام مقام النبي «صلى الله عليه وآله» في حياته «صلى الله عليه وآله» وبعد وفاته.. وهذا بالذات ما فعلوه، حين زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» صلى بالناس في مرض الرسول، بأمر منه «صلى الله عليه وآله»، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزله عن تلك الصلاة رغم مرضه الشديد..

صرحت الرواية المنسوبة إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، ووردت في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري «عليه السلام»، بأن المطلوب هو تصحيح الصورة التي في أذهان ضعفاء المسلمين عن هذا الرجل الذي يرشح نفسه لمقام يفقد المؤهلات له ولما هو أقل منه، ويكون ما جرى بمثابة إشارة لهم على هذه الحقيقة.

تقول الرواية المشار إليها:

إن جبرئيل قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عن «براءة»: «ما أمرك ربك بدفعها إلى علي، ونزعها من أبي بكر سهواً، ولا شكاً، ولا استدراكاً على نفسه غلطاً، ولكن أراد أن يبين لضعفاء المسلمين: أن المقام الذي يقومه

أخوك علي «عليه السلام» لن يقومه غيره سواك يا محمد، وإن جلَّت في عيون هؤلاء الضعفاء من أمتك مرتبته، وشرفت عندهم منزلته»[1].

٤ ـ قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لا يؤدي عني إلا أنا، أو رجل مني.. قد يشير إلى أنه ليس من حق النبي «صلى الله عليه وآله» أن يولي أحداً شيئاً من مهمات الإمام بعده، مثل تولية أمر التبليغ عن الله ورسوله غير علي «عليه السلام».. لأن هذا المقام خاص به صلوات الله وسلامه عليه، لأنه هو الحافظ للشريعة، وأحكامها، والكتاب وآياته، وهو المرجع للفقهاء والمبلغين، والمهيمن على حركتهم.

هل هذا من الأسباب أيضاً؟!:

وقد يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» ـ بالإضافة إلى ما تقدم ـ خاف أن يضعف أبو بكر أمام المشركين، خوفاً من أن يغتالوه، أو أن يؤذوه. وهو لا يثق بنصرة أهل مكة له، لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام.

وقد أشار المعتزلي إلى ذلك، فقال: لعل السبب في ذلك، أن علياً «عليه السلام»، من بني عبد مناف، وهم جمرة قريش في مكة، وعلي «عليه السلام» أيضاً شجاع لا يقام له، وقد حصل في صدور قريش منه الهيبة الشديدة، والمهابة العظيمة، فإذا حصل مثل هذا البطل وحوله من بني عمه من هم أهل العزة، والقوة، والحمية، كان أدعى إلى نجاته من قريش،

(١) بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٩٧ عن التفسير المنسوب للإمام العسكري ص٢٣١ و ٢٣٢ و (تحقيق مدرسة الإمام المهدي) ص٥٥٩.

وسلامة نفسه الخ..[1].

ونجيب:

بأن علماءنا[2] ناقشوا في ذلك، فقالوا: لو كان الغرض من استبدال أبي بكر بعلي «عليه السلام» هو سلامة من أرسله رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأذى كان الأحرى أن يرسل «صلى الله عليه وآله» العباس، أو عقيلاً، أو غيرهما ممن لم يكن لدى قريش حقد عليهم، لأنهم لم يشاركوا في قتل آبائهم، وإخوانهم.

وحديث الخوف من شجاعة علي «عليه السلام» لا ينفع هنا، فإن قريشاً كانت تجترئ على علي «عليه السلام»، وتسعى لقتله في الحروب، وإن كانت تُمنى دائماً بالخزي والخيبة، فهل تكف عنه إذا وجدته وحده في مكة بالذات، وكان معها ألوف من أهل الشرك؟!

على أنهم قد زعموا: أن أبا بكر ذهب إلى مكة أميراً على الحاج[3]، فلماذا لم يخف من قريش ومن المشركين أن يغتالوه، إذا كان قد خاف من القتل، بسبب حمله لرسالة النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم؟!.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٠٠ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٤٢٣.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٣٠ ص٤٢٣.

(٣) فتح العزيز ج٧ ص٣١ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٤١٨ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٦٠ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٨٧ وجامع البيان للطبري ج١٠ ص٧٧ والتفسير الكبير للرازي ج١٥ ص٢١٩ والمعارف لابن قتيبة ص١٦٥.

جزع قريش:

وقالوا: لما أذَّن علي «عليه السلام» «ببراءة» في مكة أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام. جزعت قريش جزعاً شديداً، وقالوا: ذهبت تجارتنا، وضاعت عيالنا، وخربت دورنا، فأنزل الله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١)»(٢).

نعم، إن هذا هو ما يهم أهل الدنيا، وطلاب زخرفها، والمهتمين بزبارجها وبهارجها، مع أن دعوة إبراهيم الله تعالى بأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى ذلك الوادي، وأن يرزق أهله من الثمرات، كانت أقوى من كل تجاراتهم، وعلاقاتهم، وأوسع وأكبر من كل آمالهم وتوقعاتهم، وبهذه الدعوة يرزقهم الله، لا بكدِّهم وجدِّهم، لو كانوا يعقلون..

علي عليه السلام يتهدد المشركين:

ويلاحظ هنا: أن الأمور حين إبلاغ سورة براءة قد انقلبت رأساً على

---

(١) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

(٢) بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٩٣ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٤ وتفسير الميزان ج٩ ص٢١٦ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٧ والصافي (تفسير) ج٢ ص٣٢٩.

عقب، فبدلاً من أن يخاف علي «عليه السلام» المشركين على نفسه، كان هو الذي يتهددهم ويتوعدهم ويتحداهم، حتى لقد أبلغهم سورة براءة وكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد «لمع بسيفه»![1].

وفي نص آخر: «لما دخل مكة اخترط سيفه وقال: والله لا يطوف بالبيت عريان إلا ضربته بالسيف»[2].

وعن علي «عليه السلام»: «فأتيت مكة، وأهلها من قد عرفتم، ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع على كل جبل مني إرباً لفعل، ولو أن يبذل في ذلك نفسه وأهله، وولده، وماله، فبلغتهم رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» وقرأت عليهم كتابه، فكلهم يلقاني بالتهديد والوعيد، ويبدي لي البغضاء، ويظهر الشحناء من رجالهم ونسائهم، فكان مني في ذلك ما قد رأيتم»[3].

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٨ وإقبال الإعمال ج٢ ص٣٩.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٢٧٥ و ٢٦٧ وج٣٥ ص٢٩٦ وإعلام الورى ص١٣٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٤٨ والحدائق الناضرة ج١٦ ص٩٤ وجواهر الكلام ج١٩ ص٢٧٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٤٠١ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٣٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٥٩٧ وتفسير العياشي ج٢ ص٧٤ وجوامع الجامع ج٢ ص٤٥ ومجمع البيان ج٥ ص٩ والصافي (تفسير) ج٢ ص٣٢١ ونور الثقلين ج٢ ص١٨٢ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٥١.

(٣) الخصال ج٢ ص٣٦٩ و ٣٧٠ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣٦٩ وبحار =

وقالوا أيضاً: «لما وصل علي «عليه السلام» إلى المشركين بآيات براءة لقيه خراش بن عبد الله ـ أخو عمرو بن عبد الله ـ الذي قتله علي «عليه السلام» مبارزةً يوم الخندق ـ وشعبة بن عبد الله أخوه، فقال لعلي «عليه السلام»: ما تسيرنا يا علي أربعة أشهر، بل برئنا منك ومن ابن عمك، إن شئت، إلا من الطعن والضرب».

وقال شعبة: ليس بيننا وبين ابن عمك إلا السيف والرمح، وإن شئت بدأنا بك.

فقال علي «عليه السلام»: أجل، أجل، إن شئتم فهلموا[1].

وعن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»: «خطب علي «عليه السلام» الناس: واخترط سيفه، وقال: لا يطوفن بالبيت عريان الخ..»[2].

= الأنوار ج٣٥ ص٢٨٦ وج٣٨ ص١٧١ والإختصاص للمفيد ص١٦٨ ونور الثقلين ج٢ ص١٧٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٢٩ وشرح الأخبار ج١ ص٣٠٤ وإقبال الأعمال ج٢ ص٣٧ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٥.

(١) بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٩٠ و ٣٠٤ وإقبال الأعمال ص٣٢٠ و ٣٢١ و (ط ايران) ج٢ ص٤١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٩٢ والصوارم المهرقة ص١٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٤٢٢ ونهج الإيمان ص٢٥١.

(٢) بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٩٦ و ٣٠٣ وتفسير العياشي ج٢ ص٧٤ و ٧٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٢٦ ـ ٣٢٨ والحدائق الناضرة ج١٦ ص٩٤ وجواهر =

وعن الامام الصادق «عليه السلام»: أخذ علي «عليه السلام» الصحيفة، وأتى الموسم، وكان يطوف على الناس، ومعه السيف، ويقول: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ..**﴾[1]. فلا يطوف بالبيت عريان بعد عامه هذا، ولا مشرك، فمن فعل، فإن معاتبتنا إياه بالسيف.

قال: وكان يبعثه إلى الأصنام فيكسرها، ويقول: «لا يؤدي عني إلا أنا أو أنت»[2].

عمر شريك أبي بكر:

والشيء الذي قلما أشار إليه الباحثون هو: أن ثمة نصوصاً تصرح بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل أبا بكر وعمر معاً ببراءة إلى أهل مكة، فانطلقا، فإذا هما براكب، فقال: من هذا؟!

قال: أنا علي. يا أبا بكر هات الكتاب الذي معك.

= الكلام ج١٩ ص٢٧٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٤٠١ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٣٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٥٩٧ وجوامع الجامع ج٢ ص٤٥ ومجمع البيان ج٥ ص٩ والصافي (تفسير) ج٢ ص٣٢١ ونور الثقلين ج٢ ص١٨٢ وتفسير الميزان ج٩ ص١٦٣.

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة براءة.

(٢) بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٩٩ وتفسير فرات ص١٥٩.

فأخذ علي الكتاب، فذهب به، ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة، فقالا: ما لنا يا رسول الله؟!

قال: «ما لكما إلا خيراً، ولكن قيل لي: لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»(١).

ويؤيد شراكة عمر لأبي بكر في هذا الأمر: أن بعض الروايات صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرض حمل الكتاب إلى المشركين على جميع أصحابه، فكلهم تثاقل عن حمله، والمضي به إلى مكة، فندب منهم رجلاً فوجهه به(٢).

وهذا يدل على أن عمر كان ممن تثاقل في الإستجابة لطلب الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولأجل هذا التثاقل الظاهر من الناس، كان لا بد للنبي «صلى الله عليه وآله» من أن يفرض على رجل بعينه القيام بذلك.. وهكذا كان.. وقد اختار «صلى الله عليه وآله» خصوص الذين لهم دعاوى عريضة، ويسعون للإستيلاء على أمر الأمة، وإبعاد صاحبه الشرعي.. وجرى ما جرى.

وشارك عمر أبا بكر فيما ترتب على إرجاعه من آثار، وما يمكن أن يكون له من دلالات كما شاركه في المسير.

---

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص٥١ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٥٠ وشواهد التنزيل ج١ ص٣١٨ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٢٤.

(٢) الخصال ج٢ ص٣٦٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٦ وج٣٨ ص١٧٢.

واللافت هنا: أن عمار بن ياسر هو الآخر قد شارك علياً «عليه السلام» في المسير إلى مكة، ولكن الناس يقتصرون على ذكر علي «عليه السلام» وقلما يذكرون عماراً.. تماماً كما يذكرون أبا بكر في حملة سورة البراءة ولا يذكرون عمر الذي كان معه أيضاً، لأن أنظار هؤلاء وأولئك تكون مشدودة للأهم من الرجلين.

ولا ندري لماذا تثاقل عمر أولاً، ثم عاد فذهب مع أبي بكر ثانياً.. مع العلم: بأن امتناع عمر عن تلبية طلب النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن هو المرة الأولى، فإنه في غزوة الحديبية امتنع أيضاً عن امتثال أمر النبي «صلى الله عليه وآله» له بالذهاب إلى مكة ليبلغ أشراف قريش بما جاء له النبي «صلى الله عليه وآله»، وقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي(١).

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٨ وإقبال الأعمال ج٢ ص٣٨ عنه، وعين العبرة في غبن العترة لأحمد آل طاووس ص٢٤ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٧ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٣١٠ وجامع البيان للطبري ج٢٦ ص١١١ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٤٧ وتفسير البغوي ج٤ ص١٩٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٠ و ٢١٠ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٢٥٤ والثقات لابن حبان ج١ ص٢٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٧٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩١ وعيون الأثر ج٢ ص١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٦.

متى أرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام؟!:

وتقدم قول بعض الروايات: إن أبا بكر إنما سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب إرسال علي «عليه السلام» إلى مكة، بعد أداء مناسك الحج، وذلك للإيهام بأن أبا بكر قد ذهب هو وعلي «عليه السلام» إلى مكة.. فلما رجعا استفهم عن سبب إلحاق علي به، ليحمل الرسالة دونه..

مع أن الأمر جرى على خلاف ذلك، لما يلي:

ألف: تقدم: أن الروايات ـ باستثناء واحدة منها ـ تصرح: بأنه حين أخذ علي «عليه السلام» الرسالة من أبي بكر، وتوجه إلى مكة، رجع هو إلى المدينة.

وفي بعضها: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً بأن يرد أبا بكر.

وبعد اتفاق الروايات تقريباً على رجوع أبي بكر، فإن اختلافها فيما بينها في بعض الخصوصيات، يمكن معالجته بأدنى تأمل..

ب: لو قبلنا بأن أبا بكر واصل طريقه إلى مكة، فذلك لا يعني أنه هو الذي حج بالناس، إذ يمكن أن يكون قد حج تحت إمرة علي «عليه السلام» أيضاً.

ج: ويمكن أن يستدل على ذلك أيضاً بقولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يؤمر على علي «عليه السلام» أحداً طيلة حياته..

أهلية أبي بكر للخلافة:

هذا، وقد استدل علماء الشيعة بهذه الواقعة على عدم صلاحية أبي بكر للخلافة، فضلاً عن الإمامة، فقالوا: من لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة. فهو لا يصلح للرئاسة العامة، المتضمنة لأداء جميع الأحكام إلى

عموم الرعايا في سائر البلاد[١].

أضاف الشريف المرتضى «رحمه الله» قوله: «لو سلمنا أن ولاية الموسم لم تنسخ لكان الكلام باقياً، لأنه إذا كان ما ولي ـ مع تطاول الأزمان ـ إلا هذه الولاية، ثم سلب شطرها، والأفخم والأعظم منها، فليس ذلك إلا تنبيهاً على ما ذكرنا»[٢].

ويؤكد ذلك: أن الذي أوكلت إليه المهمة، وهو علي «عليه السلام»، كان خطر تعرضه لغدر الحاقدين عليه كبيراً جداً، أما أبو بكر الذي أعفي من المهمة، فقد تقدم: أنه كان أكثر مقبولية عندهم، والخطر عنه أبعد بسبب مواقفه الإيجابية، تجاه أسراهم، لأنه لم يتعرض أحد منهم لأي خطر من قبله مهما صغر.. ولغير ذلك من أسباب..

علي عليه السلام وعمار:

عرفنا: أن عماراً «رحمه الله» رافق علياً «عليه السلام» إلى مكة، ويقول النص: إن فلاناً وفلاناً انزعجا من إرسال علي «عليه السلام»، وأحبا أن يرسل من هو أكبر منه سناً، وقالا: بعث هذا الصبي؟! ولو بعث غيره إلى أهل مكة، وفي مكة صناديد قريش ورجالها، والله، الكفر أولى بنا مما نحن فيه.

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣٠ ص٢١١ وج٣٥ ص٣١٠ ومنهاج الكرامة ص١٨١ ونهج الحق ص٢٦٥ وشرح إحقاق الحق (الأصل) ص٢٢٢.

(٢) الشافي في الإمامة ج٤ ص١٥٥ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٤١٧ عنه، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص١٩٧ والصوارم المهرقة ص١٢٦.

ثم إنهما سارا إلى علي وعمار وخوفاهما بأهل مكة، وغلظا عليهما الأمر، وقالا لهما: إن أبا سفيان، وعبد الرحمان، وعبد الله بن عامر، وأهل مكة قد جمعوا لهم.

فقال علي «عليه السلام»: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ومضيا، فلما دخلا مكة أنزل الله تعالى: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾**(١).

ونقول:

١ ـ لعل انزعاج فلان وفلان قد كان بعد تثاقلهما أولاً، وبعد الإنتداب القسري لأبي بكر للمهمة، ثم عزله عنها، حيث فاجأهما هذا العزل، وأزعجهما أن يكون علي «عليه السلام» هو البديل، واستفاقا على ضربة معنوية هائلة، وموجعة جداً، فأحبا تدارك الأمر، ولو بأن يعلن علي «عليه السلام» انصرافه، أو تردده، وخوفه، بسبب تخويفهما إياه بجمع الناس..

كما أن نفس إظهار شيء من الحرص منهما على تولي هذه المهمة قد يعيد شيئاً من الإعتبار لمن فقده، مهما كان قليلاً وضئيلاً..

٢ ـ ماذا نقول لرجلين يريان الكفر أولى من الإيمان، لأجل أمر لا حقيقة له، بل هو أمر أرعن وتافه، وهو أن ذا السن الجاهل والقاصر

---

(١) الآيتان ١٧٣ و ١٧٤ من سورة آل عمران.

التفكير، والجبان، والناقص الإيمان، والذي يعاني من الكثير الكثير من العاهات، والنقائص لا بد أن يقدم على الأصغر منه سناً.

رغم أن الأصغر أشرف الخلق وأفضلهم، وأكرمهم، وأعلمهم، وأتقاهم وأحكمهم، وأعقلهم، وأشجعهم، وأصحهم إيماناً ويقيناً، وأكملهم في كل شيء..

مع العلم: بأن معادلة السن لو صحت لبطلت خلافة أبي بكر، لأن أباه كان حياً حين استدل على هذا الأمر، بالإضافة إلى وجود عشرات أو مئات من الصحابة كانوا أسن منه.

بل لو صح ذلك، لبطلت كل خلافة ورئاسة، بل كل إمامة ونبوة، حتى نبوة أولي العزم لأنهم جميعاً كان في قومهم من هم أسن منهم..

وكذلك الحال بالنسبة لنبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» فإن عمه العباس وكثيرين غيره كانوا أسن منه «صلى الله عليه وآله»..

٣ ـ لا ندري كيف يجيز مسلم لنفسه ترجيح الكفر على الإيمان، لأجل تقديم الأصغر سناً على الأكبر، وما الذي عرف ورأى من هنات في الإسلام والإيمان حتى أصبح عنده رخيصاً، ومحتقراً، ويريد التخلص منه، وتنزيه نفسه عنه؟!

عودة علي عليه السلام حدث ودلالة:

تقول رواية لخصناها:

إن علياً «عليه السلام» انصرف إلى المدينة يَقْصِد في السير، وأبطأ

الوحي عن النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر علي «عليه السلام»، وما كان منه، فاغتم لذلك غماً شديداً..

وكان من عادته «صلى الله عليه وآله» أنه إذا صلى الغداة استقبل القبلة، واستقبل علي «عليه السلام» الناس خلف النبي «صلى الله عليه وآله»، فيستأذنون في حوائجهم، وبذلك أمرهم «صلى الله عليه وآله».

فلما غاب علي «عليه السلام» إلى مكة لم يجعل أحداً مكان علي «عليه السلام»، بل كان هو نفسه «صلى الله عليه وآله» يستقبل الناس.

فأذن للناس.. فاستأذنه أبو ذر، فأذن له. فخرج يستقبل علياً «عليه السلام»، فلقيه ببعض الطريق، فالتزمه وقبله، وسبقه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبشره بقدومه، فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي ذر: «لك بذلك الجنة»(١).

ثم ركب النبي «صلى الله عليه وآله» وركب معه الناس، فلما رآه أناخ ناقته، ونزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتلقاه، والتزمه وعانقه، ووضع خده على منكب علي «عليه السلام».

وبكى النبي «صلى الله عليه وآله» فرحاً بقدومه. وبكى علي «عليه السلام» معه..

ثم سأله عما صنع، فأخبره، فقال «صلى الله عليه وآله»: «كان الله عز

---

(١) إقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٤٠ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٩.

وجل أعلم بك مني حين أمرني بإرسالك»[١]..

ونقول:

لفت نظرنا في هذا النص أمور عديدة، فلاحظ منها ما يلي:

١ ـ إن النظام الذي تحدثت الرواية أنه كان قائماً بالنسبة لاستئذان الناس نبيهم ليذهبوا في حوائجهم، يشير إلى شدة الضبط والإنضباط الذي يهيء للقائد الإشراف المباشر والدقيق على حركة الناس معه، ويعطيه القدرة على التصرف ووضع الأمور في مواضعها، وفق معطيات دقيقة، ومعرفة تفصيلية، وإشراف على النتائج، وسيكون قراره متوافقاً مع الظروف الموضوعية القائمة، ومترافقاً مع معطيات النجاح والفلاح.

٢ ـ إن هذا الإجراء من شأنه أن يبلور بصورة عفوية شعوراً لدى كل فرد بارتباطه الفعلي والمستمر بقائده ورائده، ويعطيه المزيد من الشعور بالقيمة والأهمية لحضوره ولوجوده، ولحركتهم معه.. وتأثيره في المنظومة العامة. كما أنه يبعث فيه حيوية، تدفعه للتأثير الإيجابي والفاعل..

٣ ـ وقد أظهر النبي «صلى الله عليه وآله» إهتماماً بالغاً بسلامة علي «عليه السلام»، حتى صار همّ أبي ذر منصرفاً إلى التعجيل باستجلاء خبر علي «عليه السلام»، ليدخل السرور على قلب الرسول، معتبراً ذلك من أعظم القربات.

وقد ظهر مصداق ذلك بالمكافأة التي تلقاها من النبي «صلى الله عليه

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٨ ـ ٢٩٠ وإقبال الأعمال ج٢ ص٤٠.

وآله» على بشارته بقدومه «عليه السلام»، وهي قوله له: «لك بذلك الجنة».

وهي مكافأة لم يكن يتوقعها أبو ذر، ولا أحد ممن حضر وسمع، لأنهم لم يعرفوا علياً «عليه السلام»، ليعرفوا قيمته عند الله وعند رسوله «صلى الله عليه وآله».. وهو ما أشار إليه «صلى الله عليه وآله» بقوله: «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا»(١).

والمراد المعرفة التامة، أو فقل: معرفته حق معرفته..

٤ ـ إن استقبال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» كان فريداً لم ير منه مثله، حتى حين قدم عليه جعفر من الحبشة، حيث استقبله «صلى الله عليه وآله» بخطوات.

ولكنه بالنسبة لعلي «عليه السلام» خرج من المدينة، وركب راحلته، وسار ما شاء الله أن يسير لاستقباله، ثم هو يضع خده على منكب علي «عليه السلام»، ويبكي علي «عليه السلام»، ويبكي النبي «صلى الله عليه وآله» فرحاً بقدومه.

---

(١) راجع: مختصر بصائر الدرجات ص١٢٥ والمحتضر للحلي ص٧٨ و ٢٨٥ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٣٩ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٨٢ وتأويل الآيات ج١ ص١٣٩ و ٢٢١ ومشارق أنوار اليقين ص١٧٢ ومكيال المكارم ج١ ص٣٦٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٦٠ وبحار الأنوار ج٣٩ ص٨٤.

الفصل الخامس:

أقاويل.. لا مبرر لها..

نحن في حيرة من أمرنا:

ونريد ان نعترف هنا: أننا في حيرة شديدة من أمرنا في أبي بكر، فإن محبيه، إذا رأوا أن إظهار الفخامة والعظمة هو المفيد له، يجعلون حتى فراره من الزحف شجاعة، وابتعاده عن المعركة في بدر رياسة، ويدَّعون: أن من دلائل عظمته وشجاعته إقناعه عمر بن الخطاب بموت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينسبون له نفوذ الكلمة والإحترام والرياسة بين المشركين في مكة، فلم يعذبه المشركون لمكانته فيهم، ولم يمنعوه من إقامة المسجد من أجل ذلك، كما أن قريشاً تبذل فيه مائة ناقة لمن يمكّنها منه حين الهجرة، كما بذلت في رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعلى هذا فقس ما سواه.

وإذا احتاجوا لتخليصه من بعض المآزق إلى ادِّعاء ضعفه، وخوفه، وكونه بلا نصير، ولا عشيرة، ولا ظهير.. فإنهم يبادرون إلى ذلك، ويبالغون فيه ما شاؤا، وبلا رقيب ولا حسيب!!

من بدع الرافضة:

وقد تقدم: أن بعضهم زعم: أن حديث عزل أبي بكر عن الحج من بدع الرافضة..

وهذا كلام سيق على سبيل التهمة لجماعة كبيرة سماها الرافضة.. وصحته وفساده مرهون بما تثبته الوقائع والأدلة..

وسنرى: أن الروايات والشواهد من طرق محبي أبي بكر أنفسهم متضافرة على صحة ووقوع ما ادعى أنه من بدع الرافضة، باستثناء رواية واحدة أوردها محبو أبي بكر هي التي لا بد أن تبقى في قفص الإتهام، إن لم نقل: إنها موصومة بوصمة الإختلاق والإبتداع..

الثناء على أبي بكر في سورة البراءة:

ادعى بعض محبي أبي بكر: أن سبب أخذ الآيات من أبي بكر هو أن سورة براءة تضمنت ثناء عليه، فأحب أن يكون على لسان غيره.. إن المتأمل بالآيات التي ذكرت كلب أهل الكهف، والآيات التي ذكرت أبو بكر يتيقن أن كلب أهل الكهف أولى بالفخر من أبي بكر وأتباعه الذين هم أولى بالخزي.

ونقول:

أولاً: إنه يقصد بالثناء على أبي بكر قوله تعالى: **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**(١) وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» حين الحديث عن الهجرة: أن هذه الآية تضمنت

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

شواهد عديدة، على أنها في مقام الذم، والتأنيب، والإدانة. فإن صاحبه يحزن ويخاف رغم أنه يرى المعجزات والكرامات تتوالى وهي تدل على أن الله حافظ لنبيه، فهو يرى نسج العنكبوت، والشجرة تنبت على باب الغار والحمامة الوحشية تبيض، وغير ذلك.

ويحاول النبي «صلى الله عليه وآله» أن يهدئه ويطمئنه، ثم تنزل الآية بنزول السكينة على الرسول، وإخراجه هو منها، مع أن أبا بكر هو الحزين الخائف، وتصرح بأن الله سبحانه أيد رسوله بجنودٍ لم يروها. ولم تأت على ذكر صاحبه في ذلك.

ومن كان هذا حاله، فإنه يحتاج إلى المزيد من العمل لتأكيد يقينه، وبلورة إيمانه..

ثانياً: إن الآيات التي أرسلها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة إن كانت عشراً، أو عشرين أو ثلاثين، فليست آية الغار من بينها، لأنها هي الآية الأربعون في تلك السورة.

ثالثاً: لو سلمنا أن آية الغار كانت من بين الآيات المرسلة، فيرد السؤال عن السبب في عدم التفات النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الأمر قبل أن يرسل أبا بكر!

وسؤال آخر عن السبب في تأخر نزول الوحي إلى حين خرج أبو بكر، وسار في البراري والقفار، باتجاه مكة، مع العلم بأن المسير إلى مكة يحتاج إلى تهيئة الأسباب، والإستعداد الذي يحتاج إلى بعض الوقت الذي يتسع ولا شك لنزول الوحي بتصحيح القرار، وحفظ ماء وجه أبي بكر؟!.

تأول بارد، ورأي سقيم كاسد:

وزعموا: أن السبب فيما جرى هو أن العقود والعهود لا يحلها إلا المطاع، والعاقد لها، أو رجل من أهل بيته(١).

ونجيب:

أولاً: بأن المهمة التي أوكلت إلى أبي بكر أولاً، ثم علي ثانياً لم تكن نقض عهد، ولا حل عقد.

ثانياً: لو كان الأمر كذلك، فلماذا أرسل «صلى الله عليه وآله» أبا بكر أولاً، فإنه «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بالرسوم والأعراف في زمانه، كما كان يعرفها غيره..

ثالثاً: دعوى أن العهد لا ينقضه إلا من عقده، أو رجل من أهل بيته، لا تصح، فقد قال المعتزلي: «وما نسب إلى عادة العرب غير معروف، وإنما هو تأويل تأول به متعصبوا أبي بكر، لانتزاع براءة منه، وليس بشيء»(٢).

ولم نسمع أن أحداً توقف في نقض عقد أو عهد حتى يبلغه إياه عاقده، أو أحد أقاربه(٣).

---

(١) راجع: دلائل الصدق ج٢ ص٢٤٥ عن فضل بن روزبهان، وبقية المصادر تقدمت في بداية الحديث عن تبليغ سورة «براءة».

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٠٠ وراجع: بحار الأنوار ج٣٠ ص٤٢٢ وج٣٥ ص٣١٢ عنه.

(٣) الشافي في الإمامة ج٤ ص١٥٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٦ وبحار الأنوار ج٣ ص٣١٩.

على أننا قد ذكرنا: أنه ليس ثمة نقض عهد، بل الآية في سورة التوبة تأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم.

رابعاً: لو صح قول هؤلاء، فلماذا يخاف أبو بكر من أن يكون قد نزل فيه شيء؟!

خامساً: ما معنى أن يعترض أبو بكر على النبي «صلى الله عليه وآله» بالطريقة التي تقدمت. فإنها أظهرت حالة تمرد من أبي بكر على الرسول «صلى الله عليه وآله»، فلاحظ قوله: ما لي؟! أنزل في قرآن؟!.

ويشير إلى ذلك أيضاً قوله: إنك أهلتني لأمر طالت إليه الأعناق، فلما توجهت له رددتني عنه!!

وما معنى أن يهتم أبو بكر بالجاه والمقام الدنيوي، كما دل عليه قوله: «أهلتني لأمر طالت إليه الأعناق»؟!

وما معنى سؤاله عن نزول القرآن فيه، هل كان يخفي شيئاً يخشى أن يظهره القرآن؟!

سادساً: لماذا لم يعترض أبو بكر من بداية الأمر على انتداب النبي «صلى الله عليه وآله»، ويذكِّره: بأن المشركين لا يرضون بنقض عهدهم، لأن هذا النقض لا بد أن يكون منك أو من أحد أقاربك، فإن أعراف العرب تمنع من إرسالي؟!

كما أن أحداً من الصحابة لم يبادر إلى لفت نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الأمر..

سابعاً: لو صح ذلك، فلماذا قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا

يؤدي عني إلا أنا أو علي»؟! روي ذلك عن يحيى بن آدم السلولي، وعن حبشي بن جنادة، وحفش، وعمران، وأبي ذر الغفاري، وروي أيضاً عن ابن عباس.

فلو كان «صلى الله عليه وآله» يريد الأخذ بأعراف الجاهلية لم يصح منه حصر الأمر به وبعلي «عليه السلام»، بل لا بد من تعميمه لجميع أقاربه..

فإن قيل: الصحيح هو ما روي عنه «صلى الله عليه وآله»: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني، أو من أهل بيتي»[١].

---

(١) راجع: المناقب للخوارزمي ص١٦٥ وعلل الشرائع ج١ ص١٨٩ وشرح الأخبار ج٢ ص١٧٩ وراجع ج١ ص٩٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٤٥٣ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٥ وراجع ص٢٩٢ و ٣٠٧ وج٢١ ص٢٦٦ وج٣٠ ص٤١١ و ٤١٩ وج٣٤ ص٢٢١ وج٩٠ ص١٢٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص٤٤ وتفسير البحر المحيط ج١ ص٦٧٢ وراجع ج٥ ص٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٧٢ والإستغاثة ج٢ ص١٦ وتنبيه الغافلين ص٧٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٧ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣١٥ والطرائف لابن طاووس ص٣٨ وفتح الباري ج٨ ص٦٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٧ وشواهد التنزيل ج١ ص٣٠٨ وراجع ص٣١٥ ونور الثقلين ج٢ ص١٧٨ وراجع ١٨٢ وجامع البيان ج١٠ ص٨٤ وراجع: الدر المنثور ج٣ ص٢٠٩ وأنساب الأشراف ص١٠٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي =

ويجاب:

أولاً: لا دليل على صحة هذه الرواية، وكذب تلك.

ثانياً: لا مانع من أن تكون الروايتان رواية واحدة بأن يكون قد قال: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني، وهو علي مثلاً.. أو يكون قد قال ذلك في مناسبتين، ليعرف الناس أن المقصود بمن هو من أهل بيته خصوص علي «عليه السلام»..

المؤاخذة على النوايا:

قد يقال: إن أبا بكر حين حمل الآيات إلى مكة لم يرتكب ذنباً، فلماذا يعاقبه الله ورسوله على هذا النحو، الذي يحمل معه فضيحة كبرى له أمام الناس، وهي تظهر ضعف أبي بكر، أو توجب التشكيك بأمانته، أو نحو ذلك؟! وهل

= ج١ ص٤٧١ والصوارم المهرقة ص١٢٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٦٠ و ٤٦١ والغدير ج٦ ص٣٤٦ و ٣٥٠ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٩٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٢٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٩٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٧ ص٢٨٨ و ٢٩١ وج١٧ ص١٩٥ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٤٩ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٢ و ٣٤١ و ٤٢٠ ومجمع البيان ج٥ ص٨ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٢٥١ وخصائص الوحي المبين ص١٦٧ والصافي (تفسير) ج٢ ص٣٢٠ وتفسير الميزان ج٩ ص١٦٢ و ١٦٨ وتمهيد الأوائل ص٥٤٦ وتفسير النسفي ج٢ ص٧٧ والتفسير الكبير للرازي ج١٥ ص٢١٨ وتفسير البيضاوي ج٣ ص١٢٨.

تصح العقوبة قبل الجناية؟! أو هل تصح العقوبة على النوايا؟!.

ونجيب:

أولاً: قد يقال في الجواب: إن أبا بكر كان يجري إتصالات، ويدبر مع غيره لإبعاد الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن صاحبها الشرعي، المنصوص عليه، وكفى بذلك ذنباً يستحق عليه العقوبة من الله ورسوله.

كما أن من حق أهل الحق أن يدبروا لإفشال المساعي التي تبذل لتضييع الحق، وإلقاء الأمة في متاهات الأهواء.

بل قد تكون هناك نوايا يجب أن تظهر، وقد علم بها علام الغيوب، وأراد إظهاراها بهذه الطريقة.

ثانياً: إن من الحق والخير للناس أن يمتحن الله ورسوله أولئك الذين يرشحون أنفسهم لمقامات خطيرة وحساسة تؤثر على مصير الأمة بأسرها.. لكي تظهر قدرات هؤلاء الناس، وملكاتهم، وخصائصهم، ونواياهم أيضاً، حتى لا يحملهم الناس ما لا طاقة لهم به، أو حتى لا يستجيب لهم الناس إذا دعوهم إلى مساعدتهم في الوصول إلى أهداف لا يحق لهم الوصول إليها، وقد يوجب وصولهم هذا بلاءات كبيرة، وإخفاقات خطيرة عليهم وعلى غيرهم.

وقد أخفق أبو بكر في هذا الإمتحان، فإنه حين أرجعه النبي «صلى الله عليه وآله» ظهر ضعفه، وتجلت معانٍ لا تليق بمن يطلب ما يطلبه هذا الرجل، فقد بكى، وانزعج، واهتم واغتم، وعاتب واشتكى، وأكثر الكلام

على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولم نره رضي بما رضيه له الله ورسوله، ولم يسلم له تسليماً.

وكان أبعد الناس عن القاعدة التي أطلقتها الحوراء زينب صلوات الله وسلامه عليها: «رضا الله رضانا أهل البيت»(١).

وإنما كان يتعامل مع ما يجري على قاعدة: كاد المريب أن يقول خذوني، فقد كان خائفاً من أن يكون قد نزل في حقه شيء..

مع أن المفروض بمن يعلم أن الله تعالى أعدل العادلين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.. أن يعرف أن الله لا يظلمه، وأن رسوله لا يحيف عليه، فلو لم يكن قد صدر ما يخشى المؤاخذة عليه، أو فضح أمره فيه لم يكن معنى لخوفه، ولا لسؤاله، ولا .. ولا.. إلخ..

ولعل مما يدل على ذلك: أن الرواية عن علي «عليه السلام» تذكر: أن أبا بكر كان قد تثاقل عن حمل الكتاب كما تثاقل غيره، حتى لجأ النبي «صلى الله عليه وآله» إلى فرض ذلك عليه، وإلزامه به(٢).

إن التثاقل عن حمل الكتاب حتى لو كان حباً بالراحة لعدم وجود

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٧ واللهوف لابن طاووس ص٣٨ وكشف الغمة ج٢ ص٢٣٩ ومعارج الوصول ص٩٤ ومثير الأحزان ص٢٩ ولواعج الأشجان ص٢٣٩ و ٧٠ ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص٨٦ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص٢٠٧ عن مقتل الخوارزمي ج١ ص١٨٦.

(٢) الخصال ج٢ ص٣٦٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٣٨٦ وج٣٨ ص١٧٢.

خطر من المشركين على أبي بكر. لا بد أن يجعل أبي بكر يفرح حين يتم الإستغناء عنه.. وسيزيد ارتياحه حين يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» إن كان قد نزل فيه شيء، فأجابه «صلى الله عليه وآله» بالنفي، حيث إن تحويل المهمة عنه إلى غيره، لم يكن لأجل أن قرآناً نزل بذمه.

لا يؤدي عنك إلا علي:

وقد يقال أيضاً:

إذا كان لا يؤدي عن النبي «صلى الله عليه وآله» إلا هو أو علي (أو رجل منه)، فما معنى أن يرسل عشرات الكتب إلى الملوك، وإلى الأشخاص والقبائل، والبلاد والجماعات مع أشخاص من فئات شتى، ليسوا من أهل بيته أصلاً، فإن هذا تبليغ عنه.

ويجاب:

أولاً: لعل المقصود أن أبا بكر لا يؤدي عن النبي «صلى الله عليه وآله» في خصوص هذا المورد الذي يحتاج إلى حزم وصلابة، وإصرار واقتدار، وعزة ومهابة، لا يملكها سوى علي «عليه السلام» حتى كان الطرف الآخر هُم قومه.

ثانياً: المقصود: التبليغ عنه فيما هو من شأنه كمبلغ عن الله، مما يرتبط بالشريعة والكتاب الذي له مساس بالإمامة من بعده، فإن إبرام العهود والمواثيق التي تحدثت الآيات في سورة براءة عنها، وعن تعاهدها بالوفاء، وعقاب ناقضها هي من صلاحيات النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم الإمام من بعده، وأين هذا الأمر من بعث الرسل في الحاجات المختلفة إلى هذه

الجهة أو تلك؟!

وبعبارة أكثر تفصيلاً: إن حامل الآيات بريد أن يعلن الحرب على من يصر على انتهاك حرمة المسجد الحرام بعد ذلك العام، وإبلاغ قرارات حازمة وحاسمة فيما يرتبط بالشأن العام، بما في ذلك إبطال سنن الجاهلية فيما يرتبط بعرفات.. وإنذار المشركين، وإعطائهم مهلة أربعة أشهر، وأنه لا تجديد لعهد مشرك.

وهي قرارات تمس النبي «صلى الله عليه وآله» والخليفة من بعده مباشرة.. ولا بد من قطع أمل المشركين بالحصول على أي امتياز يقوي موقعهم.

ولعلهم يطمعون بالحصول على بعض التساهل من الخليفة بعد رسول الله إن كان فلان من الناس هو الخليفة، ولا سيما إذا كان قد عاش الشرك ومارسه طيلة عشرات السنين، فإنه لن يكون قادراً على اقناعهم ببراءته الحقيقية مما كان عليه، ولن يكون لكلامه ذلك التأثير فيهم.

أما إن كان الخليفة هو ذلك الذي قصم ظهر الشرك، وأبار أحلامهم، وأبطل كيدهم، فإن الأمر سيكون مختلفاً، لا سيما وأن علياً هو أخو الرسول، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، فإرساله بهذه الرسالة إليهم سيقصم ظهورهم، ويميتهم في حسرتهم، ويقطع دابر كل أمل لهم.

ويؤكد هذه الحقيقة الشواهد التالية:

ألف: تقدم: أن بعض الروايات عن علي «عليه السلام» تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كتب الكتاب، وعرض على جميع أصحابه المضي به إلى

المشركين، فكلهم يرى التثاقل فيهم، فلما رأى ذلك ندب منهم رجلاً، فوجهه به، فأتاه جبرئيل «عليه السلام»، فقال: يا محمد، لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فأنبأني رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، ووجهني بكتابه ورسالته إلى مكة الخ..(١).

ب: صرحت بعض نصوص الرواية بأكثر من ذلك، فعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: لما سرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر بأول سورة «براءة» إلى أهل مكة أتاه جبرئيل «عليه السلام»، فقال: يا محمد، إن الله تعالى يأمرك أن لا تبعث هذا، وأن تبعث علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وإنه لا يؤديها عنك غيره..

فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فلحقه، فأخذ منه الصحيفة، وقال: ارجع إلى النبي.

فقال أبو بكر: هل حدث في شيء؟!.

فقال: سيخبرك رسول الله.

فرجع أبو بكر إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، ما كنت ترى أني مؤد عنك هذه الرسالة؟!.

---

(١) الخصال ج٢ ص٣٦٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٦ وج٣٨ ص١٧١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٢٨ وشرح الأخبار ج١ ص٣٠٤ والإختصاص للمفيد ص١٦٨ وإقبال الأعمال ج٢ ص٣٧ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٥ ونور الثقلين ج٢ ص١٧٨.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»، أبى الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فأكثر أبو بكر عليه من الكلام، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار؟!(١).

فإن قوله الأخير: «كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار»، قد جاء على سبيل التقريع والتشنيع والذم، وبيان السبب والمبرر لهذا الإجراء.

ولعل الوجه في ذلك: أن أبا بكر كان في الغار خائفاً فزعاً، إلى حد أن هذا الجزع كان له من الأثر السلبي الخطر وما أوجب نزول قرآن يندد به، ويتلى إلى يوم القيامة.. مع أنه كان يرى الآيات الدالة على حفظ الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»، مثل نسج العنكبوت، ونبات شجرة السدر، ووضع الحمامة الوحشية بيضها، ووقوفها على باب الغار.

ومع وجوده إلى جانب النبي «صلى الله عليه وآله».

ومع تطمينات نبي الرحمة له.

ومع عدم علم أحد من المشركين بمكانهما. و.. و.. إلى غير ذلك مما يشير إلى أنه في مأمن.. ولكنه بقي مرعوباً وخائفاً إلى هذا الحد، فكيف سيكون حاله إذاً أمام مئات أو ألوف من الناس، ممن يعرفون مكانه، وهو في بلدهم وفي قبضتهم، وجموعهم تحيط به، وليس النبي «صلى الله عليه وآله» إلى جانبه، ليهدئ من روعه، وهو ليس ممن تظهر الآيات والمعجزات

---

(١) إقبال الأعمال ج٢ ص٣٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٨.

المطمئنة له.

مع العلم: بأن أولئك القوم قد أصبحوا موتورين من الإسلام، الذي قتل صناديدهم، وآباءهم، وإخوانهم، وأبناء عشائرهم، وفتح بلادهم، وغنم أموالهم..

ج: لماذا يخاف أبو بكر من أهل مكة، فإنه لم يكن له أثر في ساحات القتال والنزال، بل كان من الفرارين، أو كان على رأسهم في كل موقع فر فيه أولئك الضعفاء كما جرى في أحد، وقريظة، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، وفدك و.. و..

وكان هو الساعي لفك أسرى المشركين في بدر.. ثم كان من المتخاذلين يوم عمرو بن عبد ود، ومن المخذلين يوم بدر، ولم يعرف له قتيل ولا جريح في أي من الحروب التي واجهها المسلمون في حياة الرسول.

على أنهم قد زعموا في مقابل ذلك: أن أبا بكر لم يتعرض للتعذيب في مكة، لأنه كان محبباً للمشركين، مقرباً إليهم.. وهو أول من بنى مسجداً في بني جمح ـ على حد زعمهم ـ في الوقت الذي كان المسلمون يعذبون فيه حتى الموت، نساء ورجالاً، كما جرى لياسر وسمية والدي عمار رضوان الله تعالى عليهم..

وهو الآن قد أصبح أكثر قرباً من الكثيرين من أهل مكة الذين كانوا من قومه، أو من إخوانه وأحبائه في الأيام الخالية، وقد أظهروا الإسلام الآن..

فإن ذلك كله يشير إلى أن احتمال الخطر على أبي بكر يكاد يلحق بالعدم..

د: أما علي «عليه السلام» فهو الذي أبار صناديدهم، وأكذب أحدوثتهم، وكانوا يتربصون به الدوائر، ويبغون له الغوائل، ومراجل حقدهم تغلي عليه أشد الغليان.

وهذا يدلنا على أن موقف علي «عليه السلام» هو الأصعب، وأن الخطر عليه أعظم، ولا سيما إذا واجههم بهذا القرار الحاد المتضمن للتهديد بالقتل، والوعيد بالحرب الضروس، فإن ذلك لا بد أن يستفزهم، ويثير حفيظتهم، فإذا وجدوه وحيداً بينهم، وفي عقر دارهم وموضع قوتهم، ومحل اجتماعهم، فلربما بادروا إلى الإنتقام منه، إن لم يكن بالعلن، فإنهم سوف يغتالونه بالسر ولن يجرؤ أحد من بني هاشم، أو من غيرهم على إظهار نفسه، في هذه المعمعة الهائلة التي لن يكون حصادها إلا الدمار والبوار.

قد يقال:

أولاً: قد يرى البعض: أن تثاقل أبي بكر عن إجابة طلب الرسول «صلى الله عليه وآله» قد سهل القرار بعزله عن أدائها، لا سيما إذا كان ظهر: أن استمراره في المهمة قد يساعد بعض الناس على اتخاذ ذلك ذريعة لإضفاء صفات من العظمة والقداسة عليه، ترغِّب الناس بتأييده، أو تجعلهم يتقبلون سعيه لنيل مقام الخلافة الذي صرح الله ورسوله بأنه لغيره.. ويسهل عليهم غض الطرف على ما صدر منه من تصرفات في سياق هذا المقام من صاحبه الشرعي..

ثانياً: ويبقى هنا سؤال عن سبب فرض النبي «صلى الله عليه وآله» على

أبي بكر القيام بهذه المهمة، ثم عزله عنها، أر يعد ذلك ظلماص له؟! فإن كان ذلك لأجل أنه لا يؤدي عن النبي «صلى الله عليه وآله» إلا هو أو رجل منه، فلماذا ألزمه بالمهمة؟!

إلا إن قيل: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعرف بهذا الحكم، أو لأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعرف مؤهلات أبي بكر، وأنه غير قادر على أداء المهمة بالنحو الذي يرضي الرسول «صلى الله عليه وآله»، فهل حمل النبي «صلى الله عليه وآله» أبا بكر فوق طاقته؟! أم أن الأمر خطة إلهية لتعريف الناس بأن ما يدبر له أبي بكر ما هو إلا تعد على الله ورسوله، فاستحق بذلك تعريف الناس بأمره، لكي لا ينساقوا معه، ولينال هو جزاء على سعيه ذاك غير المشروع..

أبو بكر لم يعزل:

وهناك من أنكر أصل الواقعة، وأصر على أن أبا بكر هو المبلغ لآيات سورة براءة، ومن هؤلاء عباد بن سليمان، والقوشجي، وأضرابهما(١).

واستدل بعضهم على ذلك: بأن عزل أبي بكر عن تبليغ سورة براءة قبل الوصول إلى موضعها، يلزم منه نسخ الفعل قبل حضور وقت العمل، وهو غير جائز(٢).

---

(١) المغني للقاضي عبد الجبار ج٢ ص٣٥٠ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٣١٥ و ٣١٨ وراجع: منار الهدى ص١٨٧ عن القوشجي، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٠٠.

(٢) المغني لعبد الجبار ج٢٠ ص٣٥٠ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٣١٥ و٣١٨.

ونجيب:

أولاً: إن إنكار أصل الواقعة استناداً إلى ما ذكر لا يلتفت إليه، اجتهاد في مقابل النص، إذ قد تضافرت الأخبار، واشتهرت الواقعة حتى أصبحت أوضح من الشمس، وأبين من الأمس، كما اعترف به القاضي عبد الجبار(١).

ثانياً: هذا المورد ليس من موارد النسخ، لأنه ليس حكماً شرعياً كلياً، لكي يتعلق به النسخ.. وإنما هو أمر مرتبط بشخص بعينه هو أبو بكر، كانت هناك مصلحة بإعطائه كتاباً، وأمره بأن يبلغ مقالاً لأهل الموسم، فإذا حمل الكتاب، وبلغ به مكاناً بعينه انتهت تلك المصلحة وتبلورت مصلحة أخرى تتمثل بأخذ الكتاب منه، وإعطائه لعلي «عليه السلام» ليقرأه هو على أهل الموسم..

ولعل هذه المصلحة في ذلك كله هي إظهار فضل علي «عليه السلام»، وعدم أهلية أبي بكر لما يطلبه ويسعى من أجله..

ثالثاً: جوز جمهور الأشاعرة، وكثير من علماء الأصول النسخ قبل حضور وقت العمل(٢).

رابعاً: إذا دلت الأخبار المتواترة على وقوع النسخ قبل حضور وقت العمل، وأجمع نقلة الأخبار على حصوله، كان ذلك دليلاً على جوازه، وبه

---

(١) بحار الأنوار ج٣٠ ص٣١٥ و٣١٨.

(٢) هداية المسترشدين ج١ ص٥٩٠ وبداية الوصول ج٤ ص٢٥٦ وعناية الأصول ج٢ ص٣٣٤.

يعلم أن ما يتشبث به القائل بالمنع، هو مجرد شبهة لا تصلح للوقوف عندها.

قصة براءة دليل إمامة أبي بكر:

قال الرازي: «قيل: قرر أبا بكر على الموسم، وبعث علياً خليفة (خلفه) لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر، ويكون ذلك جارياً مجرى تنبيه على إمامة أبي بكر، والله أعلم».

قال: «وقرر الجاحظ هذا المعنى، فقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا بكر أميراً على الحاج، وولاه الموسم، وبعث علياً يقرأ على الناس سورة براءة، فكان أبو بكر الإمام وعلي المؤتم، وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع، وكان أبو بكر الرافع بالموسم، والسائق لهم، والآمر لهم، ولم يكن ذلك لعلي»[1].

وقد أجاب العلامة المجلسي على هذا بما ملخصه[2]:

أولاً: إن تولي أبي بكر للموسم ممنوع، كما أظهرته النصوص.

ثانياً: إن جعل شخص أميراً لا يجعل الناس ملزمين بالصلاة خلفه.. (بل كل يعمل بتكليفه، من حيث ثبوت جامعيته لشرائط إمامة الصلاة وعدمها).

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» لم يكن من أهل الموسم، ليكون أبو بكر

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج١٥ ص٢١٨ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٩٩ عن تفسير فرات ص٥٤ وراجع: تحفة الأحوذي ج٨ ص٣٨٧.

(٢) بحار الأنوار ج٣٠ ص٤١٨ فما بعدها.

أميراً عليه، بل هو مرسل إليهم برسالة.. وليس في الأخبار أي شيء يدل على أن علياً «عليه السلام» صلى خلف أبي بكر.

رابعاً: إن الصلاة خلف أبي بكر لا تعني ثبوت فضيلة له، على ما زعموه من جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر(١).

خامساً: إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني»، يدل على أنها تأدية خاصة، لا ينالها أحد من البشر، أما إمارة الحاج فيتولاها أي كان من الناس، براً كان أو فاجراً، وقد تولاها عتَّاب بن أسيد قبل أبي بكر، ولا تحتاج إلى أكثر من المعرفة بما هوالأصلح في سوق الإبل، والبهائم، ومعرفة المياه، والتجنب عن مواضع اللصوص ونحو ذلك.. فهو أمر إداري صرف..

سادساً: إن إمارة الحاج لا تستلزم خطابة، لتستلزم الإستماع.

---

(١) راجع: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، الباب ٦٣ وراجع: فتح العزيز ج٤ ص٣٣١ والمجموع للنووي ج٥ ص٢٦٨ ومغني المحتاج ج٣ ص٧٥ والمبسوط للسرخسي ج١ ص٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج١ ص٢٢٩ و ٢٤٨ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج١ ص١٥٦ و ٣١١ و ٣١٢ والجوهر النقي للمارديني ج٤ ص١٩ والبحر الرائق ج١ ص٦١٠ وحاشية رد المحتار لابن عابدين ج٢ ص٢٢٤ والمغني لابن قدامة ج٢ ص٢٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج٢ ص٢٥ وج١١ ص٣٧٩ وكشاف القناع للبهوتي ج٦ ص٣٦٦ وتلخيص الحبير ج٤ ص٣٣١ وسبل السلام ج٢ ص٢٩.

سابعاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأمر علياً «عليه السلام» بطاعة أبي بكر، ومجرد رفاقته له ـ لو صحت ـ لا تعني ائتماره بأمره..

الباب الحادي عشر:

حجة الوداع.. ويوم الغدير..

الفصل الأول:

علي عليه السلام في حجة الوداع

الذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وآله:

لقد حج النبي «صلى الله عليه وآله» في سنة عشر حجة الوداع، مع جمع كبير من المسلمين، وقد ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: أن الذين قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في السنة العاشرة ليحجوا معه كانوا بشراً كثيراً، ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، وكانوا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مدَّ البصر.

وقد ذكرت الروايات: أن الذين خرجوا معه «صلى الله عليه وآله» كانوا سبعين ألفاً[(١)].

---

(١) بحار الأنوار ج٣٧ ص٢٠٢ وروضة الواعظين ص٨٩ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٦٨ واليقين لابن طاووس ص٣٤٤ والصافي (تفسير) ج٢ ص٥٣ ونور الثقلين ج٢ ص٧٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٨ ص٤٨ وغاية المرام ج١ ص٣٢٧ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص١٩ والسقيفة للمظفر ص١٧٤.

وقيل: كانوا تسعين ألفاً[١].

ويقال: مائة ألف، وأربعة عشر ألفاً[٢].

وقيل: كانوا مائة وعشرين ألفاً[٣].

وقيل: **كانوا** مئة واربعة وعشرين ألفاً. ويقال أكثر من ذلك[٤].

---

(١) الغدير ج١ ص٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠٨ والنص والإجتهاد ص٥٧٧ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٢ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٣ وتاريخ الخلفاء لابن الجوزي في الجزء الرابع، وتذكرة خواص الأمة ص١٨ ودائرة المعارف لفريد وجدي ج٣ ص٥٤٢ (غ ١/ ٩).

(٢) الغدير ج١ ص٩ والمجموع للنووي ج٧ ص١٠٤ ومغني المحتاج ج١ ص٣٤٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠٨ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٢ عن المصادر التي تقدمت.

(٣) بحار الأنوار ج٣٧ ص١٥٠ عن ابن الجوزي، والغدير ج١ ص٩ و ٢٩٦ و ٣٩٢ عن تذكرة خواص الأمة ص١٨ والعدد القوية ص١٨٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠٨ والنص والإجتهاد ص٢٠٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٥٠ وج٩ ص١٩٦ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٢ عن المصادر التي تقدمت.

(٤) الغدير ج١ ص٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠٨ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٢.

أما قول بعضهم: إن الذين حجوا في تلك السنة كانوا أربعين ألفاً[١]، فلعل المقصود: هو صحابته الذين كانوا يعيشون في المدينة وأطرافها[٢].

قال العلامة الأميني: «وهذه عدة من خرج معه، أما الذين حجوا معه، فأكثرمن ذلك، كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن مع علي «عليه السلام» (أمير المؤمنين)، وأبي موسى»[٣].

قالوا: «وأخرج معه نساءه كلهن في الهوادج، وسار معه أهل بيته، وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب، وأفناء الناس»[٤].

لماذا هذا الحشد؟!:

ونقول:

لم يكن هذا الحشد الهائل بصورة عفوية، بل كان بطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، فإنه إرسل الكتب إلى أقصى بلاد الإسلام، وأمر

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٨٠ والبداية والنهاية ج٥ ص١٥٤ وج٤ ص٢٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٧٠ ومقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص١٧٧.

(٢) راجع المصادر في الهامش السابق.

(٣) الغدير ج١ ص٩ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٢.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٣ ص٢٢٥ و (ط دار صادر) ج٢ ص١٧٣ وإمتاع الأسماع ص٥١٠ وإرشاد الساري ج٦ ص٤٢٩ والغدير ج١ ص٩ عنهم.

المؤذنين بأن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحج في عامه هذا.

ومن الواضح: أن إخراج النبي «صلى الله عليه وآله» نساءه كلهن في الهوادج إلى الحج، وجمع هذه الأعداد الهائلة، لتسير معه، سوى من سار إلى مكة من دون أن يمر بالمدينة، وما والاها، وسوى الذين جاؤوا من اليمن مع ذلك، إن ذلك لم يكن أمراً عفوياً، ولا مصادفة، ولا كان استجابة لرغبة شخصية، ولا لشيء من أمور الدنيا، فرض على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجمع الناس حوله. فحاشاه من ذلك، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يفكر ولا يفعل إلا وفق ما يريده الله تبارك وتعالى..

ولعل الهدف من كل هذا الحشد هو تحقيق أمور كلها تعود بالنفع العميم على الإسلام والمسلمين، ويمكن أن نذكر منها، ما يلي:

١ ـ إنه أراد للناس المتمردين، بل والمنافقين، والذين يحلمون بالإرتداد على الإسلام وأهله عند أول فرصة تسنح لهم، يريد لهم أن يروا عظمة الإسلام، وامتداداته الواسعة، وأنه لم يعد بإمكان أحد الوقوف في وجهه، أو إيقاف مده، فلييأس الطامحون والطامعون، وليراجع حساباتهم المتوهمون، وليعد إلى عقولهم المتهورون والمجازفون..

٢ ـ إنه يريد أن يربط على قلوب الضعفاء، ويشد على أيديهم، ويريهم عياناً ما يحصنهم من خدع أهل الباطل، وكيد أهل الحقد والشنآن.. ومن كل ما يمارسونه معهم من تخويف، أو تضعيف..

٣ ـ يريد أن ينصب علياً «عليه السلام» إماماً وخليفة من بعده أمام كل

هذه الجموع الهائلة، ليكونوا هم الشهداء بالحق على أنفسهم وعلى جميع الناس، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

ثم أن يقطع الطريق على الطامحين والطامعين من أن يتمكنوا من خداع الآخرين ببعض الإدعاءات أو الإشاعات كما سنرى حين الحديث عما جرى في عرفات، ومنى، وفي طريق العودة، في غدير خم.

وأما أخذه لجميع نسائه معه، فلعله لأن فيهن من يريد أن يقيم عليها الحجة في ذلك كله، لأنها سيكون لها دور قوي في الإتجاه الآخر الذي يريد أن يحذر الناس من الإنغماس به، والمشاركة فيه..

يمنعهم من ركوب إبل الصدقة:

عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكنت فيمن خرج معه، فلما احتفر (كذا) إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا، وكنا قد رأينا في إبلنا خللاً، فأبى علينا وقال: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين.

قال: فلما فرغ علي، وانطلق من اليمن راجعاً أمر علينا إنساناً، فأسرع هو فأدرك الحج، فلما قضى حجته قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم.

قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي «عليه السلام» منعنا إياه، ففعل. فلما جاء عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت، رأى أثر المراكب، فذم الذي أمره ولامه.

فقلت: أما إن لله علي لئن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق..

قال: فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أريد أن أفعل ما كنت قد حلفت عليه، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رآني وقف معي، ورحب بي، وساءلني وساءلته، وقال: متى قدمت؟!

قلت: قدمت البارحة.

فرجع معي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدخل وقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد .

قال: ائذن له.

فدخلت، فحييت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحياني، وسلم علي، وساءلني عن نفسي، وعن أهلي، فأحفى المسألة، فقلت: يا رسول الله، ما(ذا) لقينا من علي من الغلظة، وسوء الصحبة والتضييق.

فانتبذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه، حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على فخذي ـ وكنت قريباً منه ـ وقال: [يا] سعد بن مالك بن الشهيد، مه بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنه أخشن في الله!!

قال: فقلت في نفسي: ثكلتك أمك سعد بن مالك، ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري؟! لا جرم والله، لا أذكره بسوء أبداً، سراً ولا

علانية[١].

ونقول:

١ ـ إن ما يثير الدهشة هنا: هو أن أبا سعيد الخدري قد أخذ على علي «عليه السلام» أمراً هو عين الحق والعدل، والإلتزام بأحكام الشرع الحنيف، فاتخذ منه ذريعة للطعن عليه، وسبباً للتشهير به..

ثم زاد على ذلك أنه اشتكاه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي كان كل همه وجهده مصروفاً لإقامة هذا العدل، ونشر هذه الأحكام، وحملهم على العمل بها..

فهل يمكن أن يصبر وأن يسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» على هذا التجني والظلم الظاهر، الذي يريدون التسويق له، وأن يجعلوه نهجاً في الناس؟!

وكيف لم يفهم أبو سعيد وغيره: أن إبل الصدقة ليست ملكاً طلقاً له ولا لغيره. وأنها ليست لهم وحدهم، بل هي أمانة في أيديهم، لا بد من أن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي (تحقيق المحمودي) ج١ ص٣٨٧ و ٣٨٨ و (ط دار الفكر) ج٤٢ ص٢٠٠ و ٢٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص٣٠١ وج٢١ ص٦٣١ وج٣١ ص٤٦ و ٥١٦ عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٥١ و (ط بيروت) ج١٧ ص٣٥٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص١٢٢ وج٧ ص٣٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص٢٠٤.

يؤدوها إلى أهلها من دون أدنى تصرف فيها..

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد استفاد من الوسائل الطبيعية لاكتشاف ما حصل، حيث رأى أثر المراكب، فدله ذلك على ما جرى، فرتب الأثر على ما حصل عليه من معلومات، وذم ذلك الرجل الذي سمح لهم بركوب تلك الإبل..

٣ ـ لا ندري أية غلظة في علي «عليه السلام» ظهرت لأبي سعيد الخدري!! فهل المنع من التصرف بمال الغير، يعتبر غلظة، وتضييقاً؟! ولو سمح لهم بأن يغيروا على أموال غيرهم، هل يزول التضييق؟! وتزول صفة الغلظة عنه، ويصبح حسن الصحبة؟!..

٤ ـ إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدأ مهمة إيقاظ أبي سعيد بالضرب على فخذ أبي سعيد.. ولم يكتف بمجرد نصيحته بالكلمة، فإن هذه الضربة لا بد أن تثير اهتمامه، وتنقله إلى جو أكثر جدية وحساسية، وتدفعه إلى تفهُّم الكلام الذي سيورده رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليه بصورة أكثر دقة، وتنبهاً. وسيدرك أن القضية أكثر حساسية وأهمية وجدية مما يظن، وأن مواصلة هذا النهج ربما يجعلهم في مواجهة أمور تتصف بالخطورة الحقيقية على مستقبل علاقتهم برسول الله «صلى الله عليه وآله». وربما يضع علامة استفهام كبيرة حول التزامهم وحركتهم الدينية والإيمانية.

علي عليه السلام يلتقي النبي صلى الله عليه وآله في مكة:

لقد كان علي «عليه السلام» في اليمن حين جمع النبي «صلى الله عليه وآله» الناس وسار بهم إلى حجة الوداع.. ونزل رسول الله «صلى الله عليه

وآله» بمكة بالبطحاء هو وأصحابه، ولم ينزل الدور.

قالوا: وقدم علي «عليه السلام» من اليمن على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو بمكة، فدخل على فاطمة «سلام الله عليها» وقد أحلت، فوجد ريحاً طيبةً، ووجد عليها ثياباً مصبوغة، فقال: ما هذا يا فاطمة؟!

فقالت: أمرنا بهذا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فخرج علي «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مستفتياً، فقال: يا رسول الله، إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا أمرت الناس بذلك، فأنت يا علي بما أهللت»؟!

قال: يا رسول الله، إهلالاً كإهلال النبي.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قرّ على إحرامك مثلي، وأنت شريكي في هديي»(١).

هل هذا تحريف متعمد؟!:

وقد روى ابن كثير وغيره النص المتقدم محرفاً، فقال: قدم علي من

(١) الكافي ج٤ ص٢٤٥ ـ ٢٤٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٠ ـ ٣٩٢ وراجع ج٣٨ ص٧٢ وراجع: تهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٤ ـ ٤٥٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٠ ـ ٣٥٤ ومجمع البيان ج٢ ص٤٠ و ٤١ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٢ و ١٢٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٩٤ وعوالي اللآلي ج٢ ص٩٠ و ٩١.

اليمن بِبُدْن رسول الله «صلى الله عليه وآله» محرشاً لفاطمة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: صدقت ـ ثلاثاً ـ أنا أمرتها، يا علي بم أهللت؟!.

قال: قلت: اللهم إني أهلّ بما أهل به رسولك، قال: ومعي هدي.

قال: فلا تحل.

فكان جملة الهدي الذي قدم به علي من اليمن، والذي ساقه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة مئة بدنة(١).

فيلاحظ: أن كلمة «مستفتياً» الواردة في الرواية عن أهل البيت صارت محرشاً، وبدل أن يكون مستفتياً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، صار «محرشاً لفاطمة» «عليها السلام»، للإيحاء بأن فاطمة «عليها السلام» لم تكن ـ بنظر علي «عليه السلام» ـ مأمونة على دينها، أو للدلالة على أن علياً «عليه السلام» كان ذا طبيعة عدوانية استفزازية، حتى بالنسبة لفاطمة «عليها السلام»..

أو أن المقصود هو الأمران معاً..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٩١ وراجع: مسند أبي يعلى ج١٢ ص١٠٧ وراجع ج٤ ص٩٥ والمنتقى من السنن المسندة ص١٢٢ والدرر لابن عبد البر ص٢٦٢ ومسند أحمد ج٣ ص٣٢٠.

الإجمال في النية:

ويلاحظ: أن نية علي «عليه السلام» في إهلاله كانت مجملة، لأنه أهل بما أهل به رسول الله «صلى الله عليه وآله».. والمفروض: أنه كان غائباً ولم يطلع ـ بحسب الظاهر ـ على نية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن علينا أن لا نحمل تصرفات النبي والإمام على أنها تستند إلى علم الإمامة، وعلم النبوة، وإلا لبطلت الأسوة والقدوة بهما..

فدلنا ظاهر حال علي «عليه السلام» هنا: على كفاية النية التي يكون تحديد المنوي فيها على سبيل الإجمال، إذ يكفي كون المنوي محدداً في واقع الأمر، وإن لم يعلمه صاحب النية تفصيلاً، ولا يجب تحديد حدوده واستحضار خصوصياته حين انشاء النية، والدخول في العمل..

وكانت نية رسول الله «صلى الله عليه وآله» هنا محددة في واقع الأمر، فقصد علي «عليه السلام» ما قصده النبي إجمالاً، وأغناه ذلك عن التفصيل، إذ لا ترديد في النية، ولا في المنوي بحسب الواقع..

لماذا كان سؤال علي عليه السلام:

وقد ذكرت الرواية المشار إليها: إن علياً «عليه السلام» كان يريد بسؤاله أن يعرف بماذا أحرم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو يرى فاطمة «عليها السلام» في حال تختلف عن الحال الذي كان عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فسألها عن سبب ذلك، فلم تفصح له.

فسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فبين له أن حجها حج تمتع. أما

النبي «صلى الله عليه وآله» فكان حجه حج قران..

إذن فلم يكن علي «عليه السلام» جاهلاً بالحكم، بل هو لم يخبره أحد بطبيعة ما جرى عليه الحال.

هل ندم صلى الله عليه وآله على ما اختاره؟!:

قد يحاول البعض أن يدعي: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أظهر أنه قد ندم على اختياره حج القران. وأنه لو استقبل من أمره ما استدبر لاختيار حج التمتع..

غير أننا نقول:

أولاً: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يقدم على فعل أمر من تلقاء نفسه، بل بوحي ودلالة إلهية..

ثانياً: إن المطلوب منه «صلى الله عليه وآله» في خصوص هذه الحجة هو حج القران، لكي يشرك علياً «عليه السلام» في الهدي، ويظهر فضل علي «عليه السلام» ومنزلته منه.. وليمهد لإعلان إمامته، وأخذ البيعة له في هذا الحج بالذات، في عرفة أو منى، أو في غدير خم. وهذا ما يفسر لنا أمره «صلى الله عليه وآله» للزهراء «عليها السلام» بأن تحرم بحج التمتع، وأحرم هو بحج القران.

البدن التي نحرت:

قالوا: ثم انصرف «صلى الله عليه وآله» إلى النحر بمنى، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده الشريفة بالحربة، وكان ينحرها قائمة معقولة اليسرى،

وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنيِّ عمره «صلى الله عليه وآله».

ثم أمسك، وأمر علياً «عليه السلام» أن ينحر ما بقي من المائة، ثم أمره أن يتصدق بجلالها، وجلودها، ولحومها، في المساكين، وأمره أن لا يعطي الجزار في جزارتها شيئاً منها، وقال: «نحن نعطيه من عندنا»(١)، وقال: «من شاء اقتطع»(٢).

قال ابن جريج: قلت: من الذي أكل مع النبي «صلى الله عليه وآله» وشرب من المرق؟!

قال جعفر: علي بن أبي طالب «عليه السلام» أكل مع النبي «صلى الله عليه وآله» وشرب من المرق(٣).

وقول أنس: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نحر بيده سبع بدن قياماً(٤).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ و ٤٧٧ والمجموع للنووي ج٨ ص٣٦١ وقد تقدمت مصادره فراجع.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ و ٤٧٧ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٥٥٨ وقد تقدمت مصادره فراجع.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٧٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٤٠.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٧ ونيل الأوطار ج٥ ص٢١٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٢٩٢ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص١٨٥ وعمدة القاري ج١٠ ص٤٩.

حمله أبو محمد: على أنه «صلى الله عليه وآله» لم ينحر بيده أكثر من سبع بدن كما قال أنس، وأنه أمر من ينحر ما بعد ذلك إلى تمام ثلاث وستين(١)، ثم زال عن ذلك المكان، وأمر علياً «عليه السلام» فنحر ما بقي.

أو أنه لم يشاهد إلا نحره «صلى الله عليه وآله» سبعاً فقط بيده، وشاهد جابر تمام نحره «صلى الله عليه وآله» للباقي، فأخبر كل واحد منهما بما رأى وشاهد. أو أنه «صلى الله عليه وآله» نحر بيده مفرداً سبع بدن كما قال أنس، ثم أخذ هو وعلي الحربة معاً، فنحرا كذلك تمام ثلاث وستين.

وقال عروة (غرفة) بن الحارث الكندي: أنه شاهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ أخذ بأعلى الحربة، وأمر علياً «عليه السلام» فأخذ بأسفلها، ونحرا بها البدن، ثم انفرد علي «عليه السلام» بنحر الباقي من المائة كما قال جابر(٢).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٧ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٨٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٧٦ وج٨ ص٤٧٧ وسنن أبي داود ج١ ص٣٩٦ والمعجم الأوسط ج٣ ص١٧٣ والمعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص٢٦٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٣٨ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٥٦٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٤٣١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٥١٤ وأسد الغابة ج٤ ص١٦٩ وتهذيب الكمال ج٢٣ ص٩٧ والمنتخب من ذيل المذيل ص٧٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٧٦.

وكان الهدي الذي جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعة وستين، أو ستة وستين.

وجاء علي «عليه السلام» بأربعة وثلاثين، أو ستة وثلاثين، فنحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ستة وستين، ونحر علي «صلى الله عليه وآله» أربعة وثلاثين بدنة[١].

وفي الرواية الأخرى: نحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاثاً وستين نحرها بيده، ثم أخذ من كل بدنة بضعة فجعلها في قدر الخ..[٢].

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم، ثم تطرح في برمة، ثم تطبخ، فأكل رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٧ وعوائد الأيام ص٢٨ والكافي ج٤ ص٢٤٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٤ وج١٢ ص٣٤ و ٤٩ وراجع: الصافي (تفسير) ج٣ ص٣٧٨.

(٢) الكافي ج٤ ص٢٤٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥٥١ وعلل الشرائع ج٢ ص٤١٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٣ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٦ وج٩٦ ص٨٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٣ ص٤٥ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢١ وتفسير الميزان ج٢ ص٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ عن ابن جريج، عن جعفر بن محمد، عن جابر.

وعلي «عليه السلام»، وحسيا من مرقها(١).

وفي صحيح الحلبي عن علي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ساق مئة بدنة(٢).

---

(١) الكافي ج٤ ص٢٤٦ ـ ٢٤٨ ومجمع الفائدة والبرهان ج٧ ص٢٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٦٧٠ وج١ ق٣ ص٦٧٠ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٣١٨ وجواهر الكلام ج١٩ ص١٥٩ وجامع المدارك ج٢ ص٤٦٢ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢١٧ وج١٤ ص١٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٣ وج١٠ ص١٤٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٣ و ٣٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٤ وج١٢ ص١٠١ وج١٢ ص١٠٤ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٥ وج٣ ص٣٧٣ وج٣ ص٤٠١ وراجع المغني لابن قدامة ج١١ ص١٠٩ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٥٧٩ وج٣ ص٥٨٢ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص١١١ وتفسير البغوي ج٣ ص٢٨٤.

(٢) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٨ و ٢٤٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥٥١ وجواهر الكلام ج١٨ ص٢١١ وعلل الشرائع ج٢ ص٤١٢ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٢ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٧ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٧٥ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٥ وج٩٦ ص٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٦ وج١٠ ص٤٥٥ و ٤٩٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٣ ص٤٤ وتفسير العياشي ج١ =

وقد ذكر المجلسي: أن المقصود: هو أنه «صلى الله عليه وآله» ساق مئة بدنة، لكن ساق بضعاً وستين لنفسه، والباقي لأمير المؤمنين «عليه السلام»، لعلمه بأنه «عليه السلام» يحرم كإحرامه، ويهل كإهلاله إلخ..[1].

لكن قد تقدم قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام» ساقا البدن، فساق منها النبي «صلى الله عليه وآله» ستاً وستين، وساق علي «عليه السلام» أربعاً وثلاثين.

وقال ابن كثير: قدم علي من اليمن ببدن رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

فنسب ما جاء به علي «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، لأنه أخوه، ولأنهما تشاركا في مجموع المئة، ونحراها بصورة مشتركة.

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يأخذ بأعلى الحربة، وعلي «عليه السلام» يأخذ بأسفلها إلى ثلاث وستين، ثم نحر علي «عليه السلام» الباقي، وأخذا من كل واحدة جذوة من لحم، وجعلاها في قدرٍ واحد، وأكلا منها، وحسيا من مرقها..

= ص٨٩ ونور الثقلين ج١ ص١٨٥ وكنز الدقائق ج١ ص٤٦٥ وتفسير الميزان ج٢ ص٨٣ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢١.

(١) مرآة العقول ج١٧ ص١١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٩١.

مضافاً إلى أن علياً «عليه السلام» أهل بما أهل به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنية علي «عليه السلام» معتمدة على نية النبي «صلى الله عليه وآله»، ومتقومة بها..

مجموع البدن:

تذكر الروايات أن الذي سيق من البدن هو مئة بدنة..

وتذكر أيضاً: أن علياً «عليه السلام» نحر عن نفسه أربعاً وثلاثين، ونحر هو والنبي «صلى الله عليهما وآلهما» ثلاثاً وستين بدنة، فيصير المجموع سبعاً وتسعين وليس مئة.. فلعل إطلاق كلمة مئة قد جاء على سبيل التسامح لا لأجل التحديد.

أو يقال: كان المجموع مئة، وقد نحرت الثلاث الباقية تطوعاً.. أو يكون عمر علي «عليه السلام» آنئذٍ كان سبعة وثلاثين سنة أن كان عمره حين البعثة ثلاث عشرة سنة، أو أربع عشرة سنة.

أو تكون قد حسبت أيام زادت على الثلاث وستين سنة في عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنحرت بدنة لأجلها وأيام زادت على سني عمر علي «عليه السلام»، فنحرت لها بدنة أيضاً.

ملاحظة ذات مغزى:

إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد نحر من البدن على عدد سني عمره الشريف، وهو ثلاث وستون سنة.. فإن علياً «عليه السلام» قد نحر على عدد سني عمره أيضاً في ذلك الوقت، وهو أربع وثلاثون سنة..

وليس لأحد أن يدعي ـ على سبيل القطع واليقين ـ: بأن ذلك قد جاء على سبيل الصدفة.

يضاف إلى ذلك: أن مشاركة علي «عليه السلام» شارك النبي «صلى الله عليه وآله» في نحر البدن التي كانت على عدد سني عمره الشريف لا تخلو من إشارة إلى مشاركته «عليه السلام» له في كل حلو ومرّ.

وقد أنتجت هذه المشاركة كل ما عاش النبي «صلى الله عليه وآله» من أجله وهو إقامة دين الله سبحانه.. وكانت سني عمر علي «عليه السلام»، التي عاشها مع النبي «صلى الله عليه وآله» قد استغرقها ما نحره «صلى الله عليه وآله» متوافقاً مع سني عمره الشريف، فشارك كل منهما الآخر فيما يخصه، وأعانه عليه.. وهكذا كان الحال في كل ما يتصل بإقامة دين الله، ونشر شرائعه، وحقائقه..

لو أشرك النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر:

ويمر الناس على هذا الحدث الجليل مرور الكرام، ونحن على يقين من أنه «صلى الله عليه وآله» لو أشرك أبا بكر في هديه كما أشرك علياً، بل لو أشركه في واحدة من هديه، ولو بأن يهتم بها، ويرعاها بالسقي، والإطعام لأقام أتباع أبي بكر الدنيا ولم يقعدوها في التحليل، والإستنتاج، والإستدلال على عظمة أبي بكر ومنزلته، وإمامته وخلافته.. وربما تجنح بهم الأوهام إلى ما هو أبعد من هذا بكثير..

وكيف لا يكون الأمر كذلك، ونحن نرى كيف تحولت أخطاء، وضعف وهنات أبي بكر وعمر إلى فضائل وكرامات، وإشارات ودلالات.. وسنرى

كيف أصبح قول عمر: إن النبي «صلى الله عليه وآله» ليهجر فضيلة لعمر، وسبباً في إنقاذ الإسلام والأمة من أمر عظيم..

ولكن الأمر إذا تعلق بعلي «عليه السلام»، فإن الألسنة تخرس، والأسماع تصم، والعيون تعمى، والمحابر تجف، والأقلام تلتوي وتتحطم، أو تعيا عن تسجيل عشر معشار الحقيقة، ثم هي تقتل ما سجلته بالتأويلات الباردة، والإحتمالات السقيمة، وقشور العبقريات، لاختراع المعارضات، والتحريف والتزييف، والسعي لإفراغ أعظم المواقف من محتواها، فهل نتوقع بعد هذا أن نجد في كلامهم ما ينفع ويجدي من الإستنطاق الموضوعي للنصوص، أو الإشارة إلى شيء ذي بال من الدلالات واللمحات؟!

الفصل الثاني:

اضواء على ما جرى في عرفة..

للإمامة تاريخها:

صحيح أن موضوع الإمامة هو من أكثر الموضوعات حساسية، وأشدها أهمية.. وله تأثيره في الكثير الكثير من قضايا التاريخ، وفي فهمها، ومعرفة أسرارها وخلفياتها..

وصحيح أيضاً: أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» هو محورها الأعظم، وهو أساسها وبه قوامها.. وأنه لا يمكن لمن يريد أن يبحث في أي شأن من شؤونه أن يتجاهل أمر الإمامة هذا..

ولكن من الواضح والصحيح أيضاً: أن إيفاء هذا الأمر حقه من البحث والتقصي غير ميسور، بل غير مقدور.. بل هو كإيفاء علي «عليه السلام» حقه من ذلك. وإن أياً كان من الناس لا يستطيع أن يدعي أنه قادر على استيفاء البحث في هذين الأمرين معاً، ولو حاول أن يتصدى لذلك، فإنه سوف ينتهي إلى الفشل الذريع، والخيبة القاتلة، والفضيحة الصلعاء والنكراء..

من أجل ذلك نقول:

لا بد لنا من تجنب الدعاوى الفارغة، وتحاشي استعراض العضلات المنتفخة بالأورام التي تنتج له الأسقام والآلام.. فلا ندعي أننا نريد أن نوفي سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام» حقها.. أو نريد إعطاء موضوع الإمامة

حقه.. لأن نتيجة المغامرة ستكون غاية في الضعف، وفي منتهى الهزال، والتواضع..

لذلك آثرنا أن نحيل القارئ الكريم إلى ما أوردناه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، ولا سيما الأجزاء الثلاثة الأخيرة منه، ليطلع منها على بعض التفاصيل في الناحيتين التاريخية والعقائدية في موضوع الإمامة.. فإن ما ذكرناه هناك وما نذكره هنا ربما يعطي لمحة ولو محدودة ومتواضعة عن بعض معاناة النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» فيما يرتبط بالعمل على ترسيخ موضوع الإمامة، وصيانته في ضمير ووجدان الأمة..

وإحالتنا هذه على كتاب الصحيح سوف تغنينا عن التعرض هنا لكثير مما ذكرناه هناك.. مع اعترافنا بأننا لم نوف كلا الأمرين حقهما، ونحن أعجز من ذلك.. فكيف نجيز لأنفسنا أن ندعيه..

ليلة عرفة تمهيد ليوم عرفة:

١ـ رووا: أنه خرج «صلى الله عليه وآله» على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم: إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة، وغفر له خاصة، إني قائل لكم قولاً غير محاب فيه لقرابتي: إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً «عليه السلام» في حياته وبعد موته(١).

---

(١) الفصول المئة ج٣ ص٢٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٩ ص١٦٨ عن أحمد=

٢ ـ وعن فاطمة «عليها السلام»، قالت: خرج علينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشية عرفة، فقال: إن الله تبارك وتعالى باهى بكم وغفر لكم عامة، ولعلي خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي، هذا جبرئيل يخبرني: أن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته.

زاد في نص آخر: «إن الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد مماته»(١).

= بن حنبل في المسند والفضائل، وبحار الأنوار ج٤٠ ص٨١ وج٣٩ ص٢٦٥ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٩٢ وينابيع المودة ج٢ ص٤٨٧ والتحفة العسجدية ص١٣٥ وغاية المرام ج٥ ص١٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٢٥٤ وج٢١ ص٢٩٦.

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤١٥ والمناقب للخوارزمي ص٧٨ والأمالي للصدوق ص٢٤٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٣٢ ودلائل الإمامة ص٧٤ والأمالي للمفيد ص١٦١ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص٣٣ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣ والعمدة لابن البطريق ص٢٠٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٥٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٦٢ وبحار الأنوار ج٢٧ ص٧٤ وج٣٩ ص٢٥٧ و ٢٧٤ و ٢٨٤ وكشف الغمة ج١ ص٩٢ و ١٠٥ وج٢ ص٧٨ ونهج الإيمان ص٤٥٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٢٥ و (ط دار الحديث) ج١ ص٥٨٥ عن معالم العترة النبوية، وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٤٣ وبشارة المصطفى ص٢٣٧.

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: إن يوم عرفة قد شهد حدثاً هاماً يرتبط بالنص النبوي على إمامة علي «عليه السلام».. ويأتي هذا الموقف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشية ليلة في سياق الإعداد لما سيقوم به في اليوم التالي..

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد ضمن كلامه ما يدل على أنه كان يتوقع اتهامه بمحاباة قرابته، لكي يسقطوا كلامه في حقه عن الإعتبار بالرغم من أن اتهاماً من هذا القبيل يُخرج من يطلقه عن دائرة التقوى، بل عن دائرة الإيمان، لتضمنه اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بالإنقياد إلى الهوى، وتجاوز ما يمليه عليه الوحي الإلهي، ليصبح «صلى الله عليه وآله» خارج دائرة العصمة، ولا يبقى مأموناً على ما أئتمنه الله عليه..

ثالثاً: إنه أخبرهم: بأن الله تعالى قد باهى بهم، وغفر لهم عامة، وباهى وغفر لعلي خاصة، وفي هذا النص كلام من عدة جهات، هي:

ألف: إن علياً «عليه السلام» معصوم لا يصدر منه الذنب، إلا إن كان المقصود الذنب الذي هو من قبيل ما ورد في أول سورة الفتح: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً**﴾[1].

حيث ثبت: أن المراد بالذنب: هو ما كان قومه يعدونه ذنباً، وهو مجيئه

---

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة الفتح.

بهذا الدين. فإنهم غفروا له ذلك، وصاروا يعتبرونه فضلاً وسداداً.. شاهدنا على ذلك: أنه لو كان بالذنب معصية لما كافأه عليه بالفتح المبين، لأن المذنب يعاقب ولا يكافأ.

أو أن المراد: أن الله تعالى غفر لعلي ما يراه «عليه السلام» ذنباً في جنب الله، وإن لم يكن كذلك في الواقع. حيث يرى: أن عبادته لا تليق بمقام الألوهية الأقدس.. ويعتبر نفسه مذنباً ومقصراً في أداء واجبه..

ب: إن المراد بمغفرة ذنوبهم عامة: هو مغفرة ذنوب من تاب منهم وأناب، وعزم على عدم العود للمعاصي. أما المصر على معصية الله، وعلى مخالفة ما يأتي به نبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله»، ولا سيما فيما يرتبط بإمامة وصيه من بعده، فلا تشمله المغفرة، لا عموماً ولا خصوصاً.

رابعاً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد ربط السعادة كل السعادة بحب علي «عليه السلام» في حياة علي وبعد موته.. ولم يزد على ذلك..

فهنا سؤلان:

أولهما: ما معنى التأكيد على حب علي «عليه السلام» في الحياة وبعد الممات؟!

ونجيب:

لعل السبب في تعميم الحب إلى ما بعد الممات: هو أن حبه في هذه الحالة يكون صادقاً وحقيقياً، وليس حباً مصلحياً، ولا متأثراً بمؤثرات خارجية، بل هو يحبه لأنه يراه مستحقاً للحب..لا لشيء آخر.

الثاني: لقد اقتصر على ذكر الحب، ولم يشر إلى الطاعة والقبول بحكمه

وخلافته، لأن الحديث عن السعادة التامة في الدنيا والآخرة، وأي شيء آخر غير الحب قد لا يحققهما معاً، حتى الطاعة والإنقياد، فإن الإنسان قد يطيع الحاكم خوفاً، أو طمعاً، أو حباً بالسلامة، أو لغير ذلك.. أما الحب الحقيقي فهو يدعوه للطاعة في الدنيا، ويجعله أهلاً لشفاعته في الآخرة.

وبعد ما تقدم نقول، ونتوكل على خير مسؤول:

حديث عرفات:

ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» نصوصاً تدل على ما جرى للنبي «صلى الله عليه وآله» في عرفات، وهي التالية:

ذكرت الروايات الصحيحة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، خطب الناس في حجة الوداع؛ في عرفة، فلما ذكر حديث الثقلين(١)، ثم ذكر عدد الأئمة، وأنهم اثنا عشر، واجهته فئات من الناس بالضجيج والفوضى، إلى حد أنه لم يتمكن من إيصال كلامه إلى الناس.

وقد صرح بعدم التمكن من سماع كلامه كل من: أنس، وعبدالملك بن عمير، وعمر بن الخطاب، وأبي جحيفة، وجابر بن سمرة(٢)، ولكن رواية

---

(١) راجع: حديث الثقلين للوشنوي ص١٣ وما ذكره من مصادر..

(٢) راجع: كشف الغطاء (ط.ق) ج١ ص٧ والسنة في الشريعة الإسلامية لمحمد تقي الحكيم ص٦٣ والأمالي للصدوق ص٣٨٧ و ٤٦٩ والخصال ص٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ وإكمال الدين ص٦٨ و ٢٧٢ و ٢٧٣ وكفاية الأثر ص٥١ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ =

= وشرح أصول الكافي ج٢ ص٢٤٠ وج٥ ص٢٣٠ وج٧ ص٣٧٤ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والغيبة للطوسي ص١٢٨ و ١٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤ والعمدة لابن البطريق ص٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤٢٠ و ٤٢١ والطرائف لابن طاووس ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣١ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٩٨ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٨١ و ٣٨٦ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٥ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص١٩٣ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٣٤٥ والمسلك في أصول الدين للمحقق الحلي ص٢٧٤ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ وإعلام الورى ج٢ ص١٥٩ و ١٦٢ وكشف الغمة ج١ ص٥٧ و ٥٨ ومسند أحمد ج٥ ص٨٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٨ ص١٢٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٦ ص٣ و ٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٠٩ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٤٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦١٧ و ٦١٨ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢٠١ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٩٠ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ وعمدة القاري ج٢٤ ص٢٨١ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٠٥ و ١٨٠ ومسند ابن أبي الجعد ص٣٩٠ والآحاد والمثاني ج٣ ص١٢٦ و ١٢٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥١٨ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٣ و ٤٤ و ٤٦ والمعجم الأوسط ج٣ ص٢٠١ وج٦ ص٢٠٩ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٥ =

هذا الأخير، كانت أكثر صراحة ووضوحاً.

ويبدو أنه قد حدّث بما جرى مرات عديدة، فرويت عنه بأكثر من طريق. وبأكثر من تعبير يشير إلى المعنى الثابت، ونختار بعض نصوص تلك الرواية ـ ولا سيما ما ورد منها في الصحاح والكتب المعتبرة، فنقول:

١ ـ في مسند أحمد؛ حدّثنا عبد الله، حدثني أبو الربيع الزهراني، سليمان بن داود، وعبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، قالوا: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات ـ وقال المقدمي في حديثه: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخطب بمنى.

وهذا لفظ حديث أبي الربيع: فسمعته يقول:

«لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً، حتى يملك اثنا عشر كلهم ـ ثم لغط

= و١٩٦ و ١٩٧ و ٢١٤ و ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ وج٢٢ ص١٢٠ والرواة عن سعيد بن منصور لأبي نعيم الأصبهاني ص٤٤ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٩٥ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٨٦ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٢ ص٩٠ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وج١٤ ص٣٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص١٩١ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص١٨٤ وج١٤ ص٤٤٤ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٧٦ والبداية والنهاية ج١ ص١٧٧ وج٦ ص٢٧٨ و ٢٧٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٢ ص٣٠٢ و ٣٠٣ وينابيع المودة ج٣ ص٢٨٩.

القوم، وتكلموا ـ فلم أفهم قوله بعد (كلّهم)؛ فقلت لأبي: يا أبتاه، ما بعد كلّهم؟!

قال: «كلّهم من قريش»(١).

وحسب نص النعماني: «وتكلم الناس، فلم أفهم، فقلت لأبي..»(٢).

٢ ـ عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً، يُنصرون على من ناواهم عليه إلى اثني عشر خليفة.

قال: «فجعل الناس يقومون ويقعدون»(٣).

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٤ و ٣٧ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٢٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص١٩٦ وراجع: الأمالي للصدوق ص٣٨٧ والخصال ص٤٧٥ وكمال الدين ص٢٧٣ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣١ و ٢٤١ وغاية المرام ج٢ ص٢٧١.

(٢) الغيبة للنعماني ص١٢١ و ١٢٢وعن عوالم العلوم ص١٥٣/١٠٦ ح١٦.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ وراجع ص٩٨ و ١٠١ والغيبة للنعماني ص١٠٥ والغيبة للطوسي ص١٢٩ وإعلام الورى ص٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٦٢ والإستنصار لأبي الفتح الكراجكي ص٢٥. وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣٧ و ٢٩٩ وراجع ص٢٣٥ و ٢٦٨ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ ومنتخب الأثر ص٢٠ وغاية المرام ج٢ ص٢٥٤ و ٢٧٥ وراجع ص٢٧٤ والخصال ص٤٧٠ و ٤٧٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٥٠ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٣٤٥ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٥.

زاد الطوسي: «وتكلم بكلمة لم أفهمها، فقلت لأبي، أو لأخي:..»[١].

وفي حديث آخر عن جابر بن سمرة صرّح فيه: «أن ذلك كان في حجة الوداع»[٢].

ومن المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يحج إلا هذه الحجَّة..[٣].

---

(١) الغيبة للطوسي ص٨٨ و ٨٩ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية) ص١٢٨ و ١٢٩ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٥ وإعلام الورى ص٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٦٢ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣٧ و ٢٩٩ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ ومنتخب الأثر ص٢٠ وغاية المرام ج٢ ص٢٥٤ و٢٧٥.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٨٧ والثقات لابن حبان ج٧ ص٢٤١.

(٣) راجع: السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص٢٨٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية أيضاً) ج٣ ص٢ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٥٢ ومسند زيد بن علي ص٢٢٠ وعمدة القاري ج٤ ص٢٧١ وج٩ ص١٢٥ وج١٨ ص٣٦ و ٤٠ و ٤١ وج٢٥ ص٦٢ وشرح مسلم للنووي ج٨ ص٢٣٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٣٣١ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٤٢ واختلاف الحديث للشافعي ص٥٦٨ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص٥١٥ وسنن النسائي ج٥ ص١٦٣ ومسند أبي يعلى ج٤ ص٢٣ وعون المعبود ج٥ ص١٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٤٢ وج٥ ص٦ والكافي ج٤ ص٢٤٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٩ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٨٧ والتمهيد لابن عبد البر ج١٦ ص١٧٤.

٣ ـ عن جابر بن سمرة، قال: «خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات؛ فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً، ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر، كلهم ـ قال: فلم أفهم ما بعد ـ قال: فقلت لأبي: ما قال بعد كلّهم؟

قال: «كلّهم من قريش»(١).

وعن أبي داود وغيره: ـ وإن لم يصرّح بأن ذلك كان في عرفات ـ زاد قوله: كلّهم تجتمع عليه الأمة، فسمعت كلاماً من النبي «صلى الله عليه وآله» لم أفهمه، فقلت لأبي..(٢).

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٣ وفي ص٩٦ في موضعين وص٩٨ و ١٠١، وكتاب الغيبة للنعماني ص١٢٣ والإكمال في أسماء الرجال ص٣٤ و ١٨٣.

(٢) سنن أبي داود السجستاني ج٤ ص١٠٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٩ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٤٠٠ وتاريخ الخلفاء ص١٠ و ١١ وراجع: فتح الباري ج١٣ ص١٨١ وكرر عبارة «كلهم تجتمع عليه الأمة» في ص١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤.

وذكرها أيضاً في: الصواعق المحرقة ص١٨ وفي إرشاد الساري ج١٠ ص٢٧٣ وينابيع المودة ص٤٤٤ و(ط دار الأسوة) ج٣ ص٢٨٩.

وراجع: الغيبة للطوسي ص٨٨ و الغيبة للنعماني ص١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والبحار ج٣٦ ص٣٦٥ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١٨ وج١٩ ص٦٢٩.

وفي لفظ آخر: «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»[١].

وفي بعض الروايات: ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟

قال: قال: «كلهم من بني هاشم»[٢].

٤ ـ وذكر في نص آخر: أن ذلك كان في حجة الوداع، وقال:

ثم خفي عليّ قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مني؛ فقلت: يا أبتاه، ما الذي خفي عليّ من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟!

قال: يقول «كلهم من قريش».

قال: فأشهد على إفهام أبي إيّاي: قال: «كلهم من قريش»[٣].

---

(١) الخصال ج٢ ص٤٧٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٤٧٤ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق ج٢ ص٥٥ والبحار٣٦ ص٢٤٠ عنه وعن عيون أخبار الرضا «عليه السلام». وفتح الباري ج١٣ ص١٨٤ وعمدة القاري ج٢٤ ص٢٨٢ وتاريخ بغداد ج٤ ص٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص١٨٩ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٨٠ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٣٠٦ وشرح إحقاق الحق ج١٣ ص٤٧ وج١٩ ص٦٢٩.

(٢) ينابيع المودة ص٤٤٥ و (ط دار الأسوة) ج٢ ص٣١٥ وج٣ ص٢٩٠ عن كتاب: مودة القربى للسيد علي الهمداني (المودة العاشرة) وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٠ عن مودة القربى (ط لاهور) ص٤٤٥.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٢.

٥ ـ وبعد أن ذكرت رواية أخرى عنه حديث أن الأئمة اثنا عشر قال: ثم تكلم بكلمة لم أفهمها، وضج الناس؛ فقلت لأبي: ما قال؟[(١)].

٦ ـ ولفظ مسلم عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعي أبي؛ فسمعته يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة؛ فقال كلمة صمّنيها الناس.

فقلت لأبي: ما قال؟

قال: «كلهم من قريش»[(٢)].

وعند أحمد وغيره: فقلت لأبي ـ أو لابني ـ: ما الكلمة التي أصمّنيها الناس؟!.

قال: «كلهم من قريش»[(٣)].

٧ ـ وعن جابر بن سمرة قال: كنت عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يلي هذا الأمر اثنا عشر، فصرخ الناس؛ فلم أسمع ما قال، فقلت لأبي

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٥.

(٢) صحيح مسلم ج٦ ص٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١ عنه، والعمدة لابن البطريق ص٤٢١ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٤١٨ الإكمال في أسماء الرجال ص٣٤.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص١٠١ والخصال ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٩ والبحار ج٣٦ ص٢٣٥ وراجع: النهاية في اللغة ج٣ ص٥٤ ولسان العرب ج١٢ ص٣٤٣ ونقل عن كتاب: القرب في محبة العرب ص١٢٩.

ـ وكان أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مني ـ فقلت: ما قال رسول الله؟

فقال: قال: «كلّهم من قريش، وكلهم لا يُرى مثله»(١).

٨ ـ ولفظ أبي داود: فكبر الناس، وضجوا، ثم قال كلمة خفية..(٢).

ولفظ أبي عوانة: فضج الناس.

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» كلمة خفيت عليّ..(٣).

وعلى كل حال.. فإن حديث الاثني عشر خليفة بعده «صلى الله عليه وآله»، والذي قال فيه «صلى الله عليه وآله» كلمة لم يسمعها جابر، وغيره ـ ممن كان حاضراً، وروى الحديث.. أو لم يفهمها، أو خفض بها صوته، أو خفيت عليه، أو نحو ذلك ـ إن هذا الحديث ـ مذكور في كثير من المصادر

---

(١) إكمال الدين ج١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٦٨ و ٢٧٣ والخصال ج٢ ص٤٧٣ وراجع: البحار ج٣٦ ص٢٣٩.

(٢) سنن أبي داود ج٤ ص١٠٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٩ ومسند أحمد ج٥ ص٩٨ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٩٥ وإرشاد الساري ج١٠ ص٢٣٧ والبحار ج٣٦ ص٣٦٥ تاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٩ ص٩٤.

(٣) مسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤ والخصال ج٢ ص٤٧١ والبحار ج٣٦ ص٢٣٦ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦١٧ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٢٩ و ٤١.

والمراجع، فليراجعها طالبها[1].

ونقول:

إن ملاحظة الحدث المتقدم: تفرض على الباحث التأمل ملياً في كل ما جرى، فإنه على درجة عالية جداً من الخطورة، ونستطيع نحن أن نفتح للقارئ باب التأمل من خلال لفتات ولمحات نشير إليها ضمن العناوين التالية:

علي عليه السلام امتداد للرسول صلى الله عليه وآله:

وذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خطب الناس في منى،

---

(١) راجع المصادر التالية: صحيح مسلم ج٦ ص٣ بعدة طرق، ومسند أحمد ج٥ ص٩٣ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٨٩ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤ وحلية الأولياء ج٤ ص٣٣٣ وإعلام الورى ص٣٨٢ والعمدة لابن البطريق ص٤١٦ ـ ٤٢٢ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ و ٢٧٣ والخصال ج٢ ص٤٦٩ و ٤٧٥ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ ـ ١٨٥ والغيبة للنعماني ص١١٩ ـ ١٢٥ وصحيح البخاري ج٤ ص١٥٩ وينابيع المودة ص٤٤٤ ـ ٤٤٦ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٦ وج١٤ ص٣٥٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص ٦١٨ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) نفس الصفحة، ومنتخب الأثر ص١٠ ـ ٢٣ عن مصادر كثيرة، والجامع الصحيح ج٤ ص٥٠١ وسنن أبي داود ج٤ ص١١٦ وكفاية الأثر ص٤٩ إلى آخر الكتاب، والبحار ج٣٦ ص٢٣١ إلى آخر الفصل، وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١ ـ ٥٠ عن مصادر كثيرة..

وخطبهم في عرفات، ولكن قد ظهر أن ثمة فرقاً قد ظهر بين الموقفين..

فقد أظهر الله الكرامة للنبي «صلى الله عليه وآله» في منى.. ولم يحصل مثل ذلك في عرفات.

فقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في منى يخطبهم، ويصل صوته إلى كل من كان في منى(١).

ولكنه حين خطبهم في عرفات كان «صلى الله عليه وآله» يخطبهم وكان علي «عليه السلام» يقف في مكان آخر، ويوصل كلامه إلى من هم في الجهة الأخرى(٢).

---

(١) راجع المصادر المتقدمة في الفصل السابق.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٧٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٤ و ٥ وأسد الغابة ج٢ ص١٥٥ وج٥ ص١١ وتهذيب الكمال ج٩ ص٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٩٦ وأدب الإملاء والإستملاء ص١٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٤٣ و (ط دار الفكر) ج٣ ص٢٤٧ وج٥ ص١٤٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤٤٣ والمعجم الكبير ج٥ ص١٩ وإمتاع الأسماع ج٦ ص٣٨٩ والمغني لابن قدامة ج١ ص٦٢٤ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣١٩ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣١٢ و ٣١٤ وج٨ ص٢١٢ وج٩ ص١٣٨ وتلخيص الحبير لابن حجر ج٤ ص٦٢١ وسنن أبي داود ج١ ص٤٣٧ وج٢ ص٢٦٣ ونيل الأوطار ج٢ ص٩٠ وكشف اللثام (ط.ج) ج٦ ص٧٨ و (ط.ق) ج١ ص٣٥٦ والمجموع للنووي ج٨ ص٩٠.

وقد يمكن أن نستفيد من هذا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في المواضع المشابهة من حيث كثرة الحاضرين، يمارس هذه الطريقة لإبلاغ كلامه. أي أنه كان يجعل في الجهة الأخرى من يبلغ كلامه لمن هو بعيد عنه..

ولعل من إشارات هذا الحدث:

أولاً: إرادة الإيحاء بأن علياً «عليه السلام» امتداد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في حياة الرسول وبعد مماته.

ثانياً: إنه تعالى قد تعامل مع الناس هنا ـ أي في عرفات ـ بمنطق المألوف لهم، دون أن يمارس أي نوع من التصرف الغيبي ليفسح لهم المجال للتعبير عن موقفهم، وإظهار دخائل أنفسهم، حيث إنهم قد يحجمون عن ذلك رهبة وخوفاً حين يرون آثار الغيب..

مكان خطبة الرسول صلى الله عليه وآله:

إختلفت الروايات في المكان الذي خطب فيه الرسول «صلى الله عليه وآله»، وتصدت له قريش، هل هو: المسجد[1]، أو منى، أو عرفات كما تقدم؟!

---

(١) راجع بالنسبة لخصوص هذه الطائفة من الروايات: الخصال ج٢ ص٤٦٩ و ٤٧٢ وكفاية الأثر ص٥٠ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٨ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ وحلية الأولياء ج٤ ص٣٣٣ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣٤ و ٢٦٩ و ٣٦٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص١٩٧ ومنتخب الأثر ص١٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٥١ وغاية المرام ج٢ ص٢٥١ و ٢٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١٧ و ٣٣ وج٢٩ ص٩٥.

وهل حدث ذلك ثلاث مرات، فكان «صلى الله عليه وآله» يواجه بالضجيج والفوضى؟! أم هي مرة واحدة؟! اختلف الرواة في تحديدها بسبب النسيان! مع العلم بأن حدثاً كهذا لا ينسى! أم أن الإختلاف في التحديد نشأ عن تلاعب متعمد، يهدف إلى التلاعب بالحقيقة، وجعلها موضع شبهة؟!

كل ذلك محتمل، وقد يؤكد لنا احتمال التعمد: أن حدثاً كهذا شهده عشرات الألوف من الناس، الذين كانوا يتحركون بحركة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويطبقون أعمالهم على عمله، ويهتمون بعدم الإبتعاد عنه حتى لا يفوتهم شيء مما يصدر منه، لا بد أن نتوقع أن يرويه لنا المئات، وليس العشرات من الناس وحسب.. فلماذا لم ينقله لنا إلا قلة قليلة جداً، إذا قيسوا إلى ما نتوقعه في مثل هذه الحالات؟!

وإن كان هذا الحدث قد تكرر، فالمتوقع أن يشير رواته إلى هذا التعدد، حتى لو قل عددهم.

وقد يؤيد هذا التعدد أيضاً تصريحهم بأنه «صلى الله عليه وآله» خطب في حجة الوداع خمس خطب: في مكة، وفي عرفات، ويوم النحر بمنى، ويوم النفر بمنى، ويوم النفر الأول أيضاً.

كلهم من قريش:

ونحن على يقين من أن قريشا لا تغضب لو اقتصر «صلى الله عليه وآله» على كلمة: «كلهم من قريش»، ولكنها كانت تعلم: أن الأمر سيتجاوز ذلك إلى ذكر بني هاشم، ثم التصريح باسم من لم تزل قريش

تكرهه وتبغضه ـ كما دلت عليه النصوص الكثيرة[1] ـ لا سيما وأنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر حديث الثقلين في نفس خطبته، وكان ولا يزال يصرح لهم بإمامة أمير المؤمنين «عليه السلام» من بعده.

وهذا الإبلاغ لو تم في عرفات وفق ما رسم له، فسوف لا تبقى لمناوئي علي «عليه السلام» أية فرصة للتخلص أو التملص، والمناورة، وسوف يتحتم عليهم تجرع الغصة، وتضيع منهم الفرصة، فلا بد لهم من درء هذا الخطر الداهم، فحاولوا قطع كلامه، فلم يمكنهم ذلك، وضجت قريش وعجت، وكذلك فعل أنصارها ومحبوها، حتى لا يتمكن أحد من سماع ما يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهكذا كان، فلم يسمع جابر كلمة «كلهم من قريش»، ويبدو أن كلمة: كلهم «من بني هاشم»، قد جاءت بعدها، فلم يسمعها أيضاً إلا أقل القليل.

التمرد على الرسول صلى الله عليه وآله:

هذا.. وقد كانت هناك قلة من الصحابة تلتزم بأوامره «صلى الله عليه وآله»، وتنتهي بنواهيه، وتضع نفسها في موقع التسليم والرضا، والأكثرون هم أصحاب الطموحات، وطلاب اللبانات، أو من الذين غُلِبُوا على أمرهم فاستسلموا، بل إن الأكثرية الساحقة من هؤلاء الحاضرين إنما

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٣١ ص١٣٥ ـ ١٥٨.

أعلنت إسلامها بعد فتح مكة.

وكان من بين هؤلاء ثلة كانوا يتبركون بفضل وضوء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحتى ببصاقه، ونخامته، ويدّعون الحرص على امتثال أوامر الله سبحانه بتوقيره، وبعدم رفع أصواتهم فوق صوته(١)، وبالتأدّب

(١) راجع الآيتين ١ و ٢ من سورة الحجرات.

وقد ورد أنّ هذه الآيات نزلت حينما حصل اختلاف فيما بين أبي بكر وعمر حول تأمير بعض الأشخاص. فقد روي: أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال أبو بكر: أمَّر القعقاع معبد بن زرارة.

وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس.

قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي.

قال عمر: ما أردت خلافك.

فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿..أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** [الآيتان ١ و ٢ من سورة الحجرات].

ويلاحظ: أن المراد من الإيمان قوله تعالى في الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** هو الإيمان بمعناه العام ـ أي إظهار الإسلام ـ لا الخاص. ويدل على ذلك قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾** [الآية ١٣٦ من سورة النساء].

راجع في الحديث الذي ذكرناه آنفاً: الدر المنثور ج٦ ص٨٣ ـ ٨٤ عن البخاري، =

معه، وبأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله و.. و..

لكن الذي حدث أن نفس هؤلاء بمجرد إحساسهم بأنه «صلى الله عليه وآله» يريد الحديث عن الأئمة الاثني عشر، وبيان مواصفاتهم ـ ويتجه نحو تحديدهم بصورة أدق، وأوفى وأتم ـ قد ثارت ثائرتهم. وذلك بسبب خشيتهم من إعلان إمامة من لا يرضون إمامته، وخلافة من يرون أنه قد

= وابن المنذر، وابن مردويه، وأسباب النزول ص٢١٨ و (ط أخرى) ص٢٥٧ وصحيح البخاري ج٣ ص١٢٢ و (ط دار الفكر) ج٥ ص١١٦ وج٦ ص٤٧ والجامع الصحيح ج٥ ص٣٨٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ ولباب التأويل ج٤ ص١٦٤ وفتح القدير ج٥ ص٦١ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٠٠ ـ ٣٠١ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٢٦ ص٧٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٧٨ وسنن النسائي ج٨ ص٢٢٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩ وج١٩ ص١٨١ و ١٨٤ وتحفة الأحوذي ج٩ ص١٠٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٦٥ وج٦ ص٤٦٦ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص١٩٣ وشرح معاني الآثار ج٤ ص١٧٢ وزاد المسير ج٧ ص١٧٧ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٧٠ وتفسير البغوي ج٤ ص٢٠٩ وأضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٤٠١ والإحكام لابن حزم ج٦ ص٨٠٤ وتفسير الآلوسي ج٢٦ ص١٣٣ ولباب النقول ص١٧٨ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٢٦٧ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٢٧٨ والطرائف ص٤٠٣ وعين العبرة في غبن العترة ص٤ والغدير ج٧ ص٢٢٣.

وترهم، وأباد خضراءهم في مواقفه المشهورة، دفاعاً عن الحق والدين ـ ألا وهو علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فظهر حقدهم، وعلا ضجيجهم، وزاد صخبهم، ومن التعبيرات التي وردت في الروايات واصفة حالهم:

«ثم لغط القوم وتكلموا»(١).

أو: فلم أفهم قوله بعد «كلهم»، فقلت لأبي: ماذا قال؟! الخ..

أو: «وتكلم الناس فلم أفهم»(٢).

أو: «وضج الناس»(٣).

أو: «فقال كلمة أصمّنيها الناس»(٤).

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٦ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٤ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٥ وج٣ ص٧٢٧.

(٢) الغيبة للنعماني ص١٢١ وعوالم العلوم ص١٥٣ / ١٠٦ ح١٦.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٩٣ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٢٩ و ٣٥.

(٤) راجع: مسند أحمد ج٥ ص٩٨ و ١٠١ وصحيح مسلم ج٦ ص٤ والخصال ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧٢ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣٥ و ٢٦٦ و ٣٦٢ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٣ ص٥٤ ولسان العرب ج١٢ ص٣٤٣ وإثبات الهداة ج١ ص٥٣٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٩ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٦ والعمدة لابن بطريق ص٤٢١.

أو: «صمّنيها الناس»[١].

وفي نسخة: «صمّتنيها الناس»[٢].

أو: «فصرخ الناس، فلم أسمع ما قال»[٣].

أو: «فكبر الناس، وضجوا»[٤].

أو: «فجعل الناس يقومون، ويقعدون»[٥].

---

(١) راجع: العمدة لابن البطريق ص٤١٨ و ٤٢١ وصحيح مسلم ج٦ ص٤ والديباج على مسلم ج٤ ص٤٤٠ والإكمال في أسماء الرجال ص٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١.

(٢) راجع: شرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢٠٣ والديباج على مسلم ج ٤ ص ٤٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٩ ص٩٣.

(٣) الخصال ص٤٧٣ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٦٨ و ٢٧٣ وإثبات الهداة ج١ ص٤٩٤ و ٥٠٧ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣٩.

(٤) مسند أحمد ج٥ ص٩٨ وسنن أبي داود ج٤ ص١٠٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٩ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٦٥ وإرشاد الساري ج١ ص٢٧٣ والكفاية للخطيب البغدادي ص٩٥ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٢٠ وج٢٩ ص٩٤.

(٥) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ وإثبات الهداة ج١ ص٥٤٦ والخصال ج٢ ص٧٥ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣٧ و ٢٩٩ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٥ وإعلام الورى ص٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٦٢ وتقريب المعارف لأبي الصلاح =

المجتمعون في منى وعرفات:

١ ـ المجتمعون في موسم الحج هم من كل بلد، وحي، وقبيلة. قدموا ليحجوا مع أكرم وأعظم وأشرف خلق الله، الذي يتمنى كل أحد أن يراه ولو مرة واحدة في حياته، ولو من بعيد..

وهم حين يرجعون من سفرهم هذا المحفوف بالأخطار سيحدثون بكل ما مر بهم، وسيصغي إليهم الناس بشغف وشوق لكل كلمة كلمة، وسيلذ لهم كل حديث منهم حتى لو كان في الظروف العادية لا يعني لهم شيئاً.. فكيف إذا كانوا يحدثونهم عن أعظم نبي، وأقدس وأغلى، وأشرف وأفضل مخلوق في الدنيا؟!

والذين رأوه «صلى الله عليه وآله» في حجته تلك ستبقى الذكريات محفورة في قلوبهم طيلة حياتهم، وسيحرص الناس بدورهم على استخراج كل كلمة من أولئك الحجاج، وسيتأملونها بدقة وشغف وحرص..

فإذا رأى هؤلاء وأولئك أن أقرب الناس إلى الرسول، الذين يدعون التقوى، والزهد والعلم، والمكانة عنده، والأثرة لديه، يعاملونه بطريقة تخالف أبسط قواعد الأدب، وبنحو يمس قداسته، ويقوض هيبته، ويبطل تدبيره، فإن ذلك سيكون له وقع الصاعقة عليهم..

٢ ـ وإذا كان هذا هو السفر الأخير الذي يرون فيه الرسول، فسيكون

= الحلبي ص٤١٨ والغيبة للطوسي ص٨٨ و ٨٩ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية) ص١٢٩ وغاية المرام ص١٩٤ ومنتخب الأثر ص٢٠.

حرصهم على وعي ما يجري فيه أشد وآكد، لأن ذكراه ستكون عزيزة، ومقرونة بمؤثر عاطفي، خصوصاً بعد أن يفقد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بينهم، أو يصلهم خبر وفاته بعد أيام يسيرة من وصول بعضهم إلى بلده، أو قبل أن يصلوا إلى ديارهم بالنسبة للبعض الآخر..

٣ ـ إن ما ذكرناه يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يصل ما يرونه ويسمعونه إلى كل بلد، وحي، وبيت دخل إليه الإسلام، ولن يستطيع أحد التمويه أو التشويه، فالناس قد رأوا الوقائع بأنفسهم، ووعوها ونقلوها إلى أهلهم وإخوانهم، ولن يمكن مصادرة هذه المعرفة منهم، ولا منعها من الإنتشار والوصول، فقد وصلت وانتهى الأمر..

٤ ـ إنه مهما ادعى ذلك الفريق لنفسه بعد ذلك من الطاعة والإنقياد لرسول الله، ومن التقوى والزهد، أو ادعى تغير الأحوال، وعدول النبي «صلى الله عليه وآله» عن تدبيره الأول فقد أصبح الشك في صحة كل ما يقوله هؤلاء المتجرؤون ممكناً، وإذا جاء الناس ما يدل على خلافه، لم يكن مستغرباً ولا مستهجناً..

من هم المتجرؤون؟!:

هناك أكثرية صامتة ومستضعفة منصرفة إلى أعمالها، ومنشغلة بتحصيل لقمة عيشها، وفيها الكثير من البسطاء والسذج ممن ليس له بصر بالسياسة، ولا يعرف الكثير عن ألاعيب الساسة، بل هو ينقاد لكل قائد، ويخضع لكل متسلط، بدءاً من كبير العائلة، إلى رئيس العشيرة، ثم الوالي، وانتهاءاً بأي ملك وحاكم، سواء أكان نبياً أم جباراً.

ولا نريد هنا أن نتحدث عن هذه الأكثرية، بل نريد أن نتحدث عن الناشطين في المجتمع الإسلامي في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» فنقول:

هناك فريق من الصحابة عرف عنهم التزامهم بالحق، ومناصرته، وعدم تخطيه، وهم أفاضل الصحابة، وأماثلهم، كسلمان وعمار، والمقداد، وأبي ذر، وأبي الهيثم بن التيهان، وثلة من بني هاشم، وآخرين، وعلى رأس هؤلاء جميعاً علي «عليه السلام».. وقد دلت سيرتهم على صدق التزامهم واستقامتهم.

وهناك فريق آخر التزم طريق النفاق، وإظهار الطاعة والإيمان، وإبطان الخلاف..

وقد كثر هؤلاء بعد فتح مكة حيث رجح الكثيرون اللجوء إلى التريث والمجارات بانتظار مرور ما اعتبروه عاصفة لا بد لهم من الإنحناء لها، وبعد أن تعود المياه إلى مجاريها، يكون لكل حادث حديث.

وهناك فريق ثالث يهتم بمصالحه، ويسعى لتحقيق طموحاته التي أذكاها التوسع الهائل، والإنتشار السريع للإسلام، وما جلب ذلك لهم منافع، وما بسط لهم من نفوذ. ولا يهم هذا الفريق كثيراً ما يجري حوله خارج هذا السياق..

ولا شك في أنه كان من بين هؤلاء من يريد أن يحتفظ بلبوس الدين، وأن يراعي أحكامه، وأن يعمل بشرائعه، ولكنه انساق وراء تقديرات خاطئة، أو خضع لضغوط أجواء وتأثير محيط موبوء.

ولم يكن هذان الفريقان يرتاحان لتأكيدات النبي «صلى الله عليه وآله»

على مقام وفضل علي «عليه السلام»، ولا سيما ما كان يعلنه من وزارته له، ووصايته وإمامته من بعده.. ولشدَّ ما كانا ينزعجان ويحرجان وهما يواجهان الآيات القرآنية التي كانت تنزل في حقه «عليه السلام»، وبيان فضله، والتنويه بمقامه، وجهاده وتضحياته..

قريش هي السبب:

وكان المهاجرون هم حملة لواء المناوأة لعلي «عليه السلام»، والساعون لانتزاع الخلافة منه بكل قوة وعزم، وبعد الفتح كثر حولهم المنحرفون عنه، والحاقدون عليه، بعد أن أبطل كيدهم، وخضد شوكتهم.

وكان عامة أهل مكة ومحيطها يسيرون في هذا الإتجاه.. ومن ورائهم الكثير الكثير من القبائل والفئات التي أعلنت إسلامها أو استسلامها في سنة تسع وعشر من الهجرة، أي قبل فترة يسيرة جداً، ولم يتفقهوا بعد في الدين، ولا فهموا معانيه، ولا طبقوا أحكامه، ولا تربوا على مفاهيمه، ولا استبانت لهم حقائقه ودقائقه..

فاستفاد من هؤلاء المهاجرون القرشيون الطامحون والطامعون، الذين ذهبوا إلى الحج وهم بضع عشرات، كما استفادوا من أجواء مكة ومحيطها. فإنهم يعتبرونها وما وراءها الرصيد الأكبر، والثقل الحقيقي، والعضد القوي لهم، فبادروا إلى مواجهة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك القدر من الجفاء، وبهذه الحدة!

أضواء على ما جرى في عرفة:

ونلاحظ: أن ما جرى في عرفة.. وما صدر من أولئك الناس من إساءات وأذى لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. قد أسهم إسهاماً كبيراً في تعريف الأمة بالتقي الوفي، والمطيع والصادق. وتمييزه عن المتآمر الطامح لما ليس له، المتجرئ على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والساعي لتحقيق مآربه الخاصة بكل ثمن..

وقد توفرت عناصر كثيرة جعلت هذا الأمر من أوضح الواضحات لكل الناس: كبيرهم، وصغيرهم، عالمهم، وجاهلهم، مؤمنهم، وفاسقهم، ونذكر من هذه العناصر ما يلي:

١ ـ إن يوم عرفة هو يوم يجتمع فيه الحجيج كله في صعيد واحد.. ولا يجوز لهم الخروج منه، والتفرق عنه.. أما في منى، أو في مكة، فالناس يتفرقون في حاجاتهم العبادية أو غيرها..

٢ ـ إنه يوم عبادة وابتهال، ودعاء ومناجات، وطلب حوائج الدنيا والآخرة، وإظهار الندم، والتوبة والإستغفار..

٣ ـ وهو يوم يهتم فيه الإنسان بنفسه وبمصيره، وتصفية حساباته مع ربه، ولا يهتم فيه بالدنيا وحطامها، ولا يمارس فيه السياسة، ولا يسعى فيه لنيل المقامات الدنيوية.

وهو يوم يهيء الإنسان لإلتزام جادة التقوى، والإنسجام مع الأوامر الإلهية، والإنضباط على أساسها، والخضوع للمشيئة الربانية.

٤ ـ وقد لفت النبي «صلى الله عليه وآله» نظرهم إلى فضل هذا اليوم،

فأقروا له ـ كما جاء في خطبة عرفة في حجة الوداع حين سألهم عن يومهم، وعن شهرهم، وغير ذلك..

٥ ـ وهو يوم لا نظير له في حياة هؤلاء الناس، لأنهم يجتمعون بحضور، وبرعاية خير خلق الله، وأشرف، وأقدس، وأفضل المخلوقات.

فإذا بادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى بيان أمر ما في هذا اليوم، فلا بد أن يروا أنه من الأمور الهامة جداً، في دنياهم وفي آخرتهم.. ويرى كل فرد فردٍ منهم أن عليه أن يهتم بكل توجيه وكل كلمة تصدر منه وعنه «صلى الله عليه وآله»، ويلاحقها بدقة وبانتباه فائق..

فإذا رأى أن أصحاب هذا النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا المقام بالذات يتمردون عليه، ويسيئون الأدب معه، وهم يدعون التقوى، والورع والإخلاص، والتوبة، و.. و.. فإن ذلك سيشكل مفاجأة له تصل إلى حد الصدمة.

٦ ـ للإحرام خصوصيته أيضاً، فالجميع في عرفة وهو المكان المقدس، وكلهم على صفة الإحرام ـ الذي انعقد بتلبيتهم داعي الله، وبراءتهم من الشرك، والإقرار بالمملوكية له تعالى، ومالكيته لكل شيء.. وبأن الحمد والنعمة له تعالى.

وفي الإحرام يمتنعون عن الملذات، ويمارسون تجربة السيطرة على أنفسهم، وعلى دوافعهم الغريزية، والإمتناع عن إيذاء أي مخلوق، حتى النملة والقملة..

ويشعرون بمساواة غنيهم لفقيرهم، والملك بالسوقة، والعبد بالسيد،

والعالم بالجاهل أمام محكمة العدل الإلهية..

فهل يعقل بعد هذا أن يؤذوا رسول الله، أو أن يظلموا أيا من عباد الله، أو أن يتمردوا على الله، أو أن يطمعوا بالدنيا، ويؤثروها على الآخرة؟!

٧ ـ وفي موسم الحج يأتي الناس من كل حي وقبيلة وبلد، وينقلون ما رأوه، وما سمعوه لمن وراءهم.. ولا بد أن يحجزهم هذا ويردعهم عن الإنسياق وراء الإنفعالات الطائشة، ويصدهم عن التصرفات المشينة..

٨ ـ إن وجود الرسول يساعد على فهم ما يجري وعلى نشره على أوسع نطاق، كما شرحناه فيما سبق.

٩ ـ قد تمازج الحدث المثير للإستهجان والإستغراب مع المشاعر العاطفية والروحية، والبُعد العقيدي حيث سيعقبه بفترة وجيزة ارتحال رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الرفيق الأعلى..

ومن الواضح: أن العلاقة بالحدث حين تترافق مع هزة مشاعرية وعاطفية، فإنها تصبح أكثر صفاء وعمقاً ورسوخاً، وأبعد أثراً في مجال الإلتزام والوفاء..

١٠ ـ إن للمكان أيضاً خصوصيته، فإنه من أقدس الأمكنة.

١١ ـ وللزمان أيضاً خصوصيته، فإن الحدث جاء في يوم من أيام الله الكبرى.

١٢ ـ وللمناسبة دورها، فإن الحدث جاء في سياق أداء إحدى أهم عبادات الإسلام، وهي عبادة الحج..

١٣ ـ واختار «صلى الله عليه وآله» أسلوب خطاب الجماعة، لا الأفراد

والأشخاص، ربما ليفهمهم أن هذا واجب على الجميع، فلا يختص بفرد دون فرد، ولا بفئة دون أخرى.

نتائج وآثار:

ثم إننا لا نريد أن نستقصي هنا آثار ونتائج هذا الحدث.. وإنما نريد لفت النظر إلى أمور بعينها منها، فنقول:

١ ـ إن ما جرى في عرفات، قد أخرج قضية الإمامة وسواها من يد جماعة تسعى لاحتكار القرار فيها وفي غيرها. وهم القرشيون، الذين يدعون أنهم هم أهل الحل والعقد في هذا الأمر كما في غيره.. وأصبحت من مسؤوليات الأمة بأسرها، فعلى الأمة أن تطالب بالعمل بتوجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتنفيذ أوامره فيها..

ولعل هذا هو أهم إنجاز حصل في موقف النبي «صلى الله عليه وآله» هذا في عرفة، فقد منع هذه الجماعة من ممارسة الإقطاع السياسي والديني القائم على أسس ومفاهيم جاهلية، دونما أثارة من علم، ولا دليل يهدي إلى الرشد، وإنما من منطلق الأهواء الشيطانية، والأطماع الرخيصة، والأهواء والغرائز، والأحقاد المقيتة والبغيضة.

٢ ـ وإنجاز آخر تحقق أيضاً، وهو أن موقف النبي «صلى الله عليه وآله» هذا قد دفع أولئك الناس إلى الإقدام على حركة تفضح كثيراً مما اختزنته نفوسهم. وهي حركة يفهمها الناس كلهم: الذكي والغبي، المرأة والرجل، والعالم والجاهل، والعدو والصديق، والمسلم وغير المسلم.. وهو أنهم أساءوا الأدب مع نبيهم، وعرف الناس أنهم لا يوقرونه، ولا ينقادون له،

ولا يطيعون الله فيما أمرهم فيه ..

فقد رأى الجميع: أن هؤلاء الذين يدَّعون: أنهم يوقرون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتبركون بفضل وضوئه، وببصاقه، وحتى بنخامته ـ رأوا ـ أنهم لا يعملون بالتوجيهات الإلهية التي تقول:

﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾(١).

﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾(٢).

﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٣).

﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾(٤).

وغير ذلك من آيات تنظم تعاملهم، وتضع الحدود، وترسم معالم السلوك معه «صلى الله عليه وآله»، مما يكون الفسق والخروج عن الدين، في تجاهله، وفي تعديه.

هذا إلى جانب اعترافهم بما له «صلى الله عليه وآله» من فضل عليهم، وأياد لديهم، فإنه هو الذي أخرجهم ـ بفضل الله ـ من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، وأبدلهم الذل بالعز، والشقاء بالسعادة، والنار بالجنان.

---

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٤) الآية ٥٩ من سورة النساء.

يضاف إلى ذلك كله: ادِّعاء هؤلاء أنهم قد جاؤوا مع هذا الرسول الأكرم والأعظم، في هذا الزمان الشريف، إلى هذا المكان المقدس ـ عرفات ـ لأداء إحدى أهم شعائر الإسلام، وهي فريضة الحج، ولِعبادة الله سبحانه، وطلب رضاه، معلنين بالتوبة، وبالندم على ما فرطوا به في جنب الله، منيبين إليه سبحانه، ليس لهم في حطام الدنيا مطمع، ولا في زخارفها مأرب.

وهم يظهرون أنفسهم بمظهر من يسعى لإنجاز عمل صالح يوجب غفران ذنوبهم، ورفعة درجاتهم.

نعم، رغم ذلك كله: فإنه «صلى الله عليه وآله» استطاع أن يري الجميع بأم أعينهم: كيف أن حركة بسيطة منه «صلى الله عليه وآله» قد فضحتهم، وكشفت ما أبطنوه، حيث تبدل موقفهم من نبيهم بالذات، وظهر أنهم قد تحولوا إلى وحوش كاسرة، ضد هذا النبي بالذات.

وظهر كيف أنهم لا يوقرونه، ويرفعون أصواتهم فوق صوته، ويجهرون له بالقول أكثر من جهر بعضهم لبعضهم، ويعصون أوامره، ويتجاهلون زواجره.. و.. و.. كل ذلك رغبة في الدنيا، وزهداً في الآخرة، وعزوفاً عن الكرامة الإلهية، وعن طلب رضى الرحمن.

٣ ـ الكل يعلم أن هؤلاء إذا كانوا لا يوقرون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا يمكن أن يتوقع أحد منهم الرفق والتوقير لغيره، لأن البشر كلهم دونه.

وقد أظهرت الأحداث اللاحقة هذه الحقيقة، حيث ضربوا ابنته حتى الإستشهاد، وأسقطوا جنينها.. فهل يمكن أن نتصور موقفهم تجاه علي

«عليه السلام» الذي طفحت قلوبهم بالحقد عليه، ولهم قِبله ترات وثارات آبائهم، وإخوانهم وأبنائهم، الذين قتلهم على الشرك؟!

ولا يمكن لهؤلاء واتباعهم أن يقدموا أي تعليل لما صدر منهم إلا الإصرار على الباطل الصريح، والجحود للحق الظاهر والواضح.

من الرابح؟!:

وظنوا أنهم ربحوا المعركة، حين تمكنوا من منع النبي «صلى الله عليه وآله» من إعلان إمامة علي «عليه السلام» على الحجيج ولكنهم كانوا يدركون أيضاً ـ وهم الدهاة المهرة ـ أن مكانتهم قد تزعزعت لدى الكثيرين..

فلا بد لهم من التدارك والترقيع، ولو بالإعتذار اللساني عما صدر وبدر، واعتبارها مجرد غلطة جرَّت لهم الندم والألم.

وإن لم يمكن الإعتذار، فمن الممكن ادعاء ذلك، ثم زعم أن النبي «صلى الله عليه وآله» عفا وصفح، وأثنى عليهم ومدح..

وربما يدعون أيضاً أنه أسر إليهم: أنه لم يرد إعلان إمامة علي «عليه السلام» في عرفات، بل أراد مجرد التنويه بإسمه، وإظهار فضله..

فكان لا بد من سد الطريق عليهم، ومنعهم من ذلك. وهذا ما حصل بالفعل كما سنوضحه.

الخروج السريع من مكة:

وقد جاءت الخطوة النبوية التالية لتفسد عليهم ما دبروه، وهي المبادرة إلى الخروج من مكة، فإنه بعد أن انتهى النبي «صلى الله عليه وآله» من أداء

المناسك وبعد نفره من منى.. قيل: دخل مكة، وطاف بالبيت، وبقي إلى صباح اليوم التالي، ثم ارتحل(١).

ولكن هذا غير دقيق ولا صحيح، بل الصحيح المروي عن أهل البيت «عليهم السلام» هو أنه لم يطف بالبيت ولا زاره، بل نفر حتى انتهى إلى الأبطح، فطلبت عائشة العمرة، فأرسلها، فاعتمرت، ثم أتت النبي «صلى الله عليه وآله»، فارتحل من يومه، ولم يدخل المسجد الحرام، ولم يطف بالبيت(٢). وكان هذا آخر عهد بالبيت والمسجد الحرام.

وقولهم: إنه صلى الصبح ثم طاف بالبيت سبعاً، ووقف في الملتزم وبين الركن الذي فيه الحجر الأسود، والزق جسده بجدار الكعبة.. ثم ارتحل.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤١٠ و ٤١١ والمغازي للواقدي ج٣ ص١١١٤ وراجع: مغني المحتاج ج١ ص٤٧٢. والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص٣٠٧ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٤ والمجموع ج٤ ص٣٦٣ وج٨ ص٢٤٩ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٩٠ ومصادر كثيرة من كتب أهل السنة.

(٢) الكافي ج٤ ص٢٤٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٣ وج٩٦ ص٣٢٧ وراجع: تهذيب الأحكام ج٥ ص٢٧٥ و ٤٥٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢١٧ و ٢١٨ وج١٤ ص٢٨٤ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٣ وج٨ ص١٥٤ وج١٠ ص٢٢٩ ومستطرفات السرائر لابن إدريس ص٥٥٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٥ و ٤٥٥ وج١٢ ص٢٠٧ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٥ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٣١٩.

غير دقيق أيضاً..

فقد روي عن جابر قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة عند غروب الشمس، وصلى المغرب في سرف(١).

مما يعني: أن وقوفه في الملتزم، وإلزاق جسده بجدار الكعبة لم يحصل، وإن كان قد حصل، فلا بد أن يكون إما قبل النفر من منى، أو في عمرة القضاء.

ولا بد أن يفاجئ الناس هذا الإجراء النبوي، وهم الذين يعلمون أنه «صلى الله عليه وآله» أحرص الناس على تعظيم البيت، والإلتزام بالسنن فيه..

نعم.. إن مبادرته «صلى الله عليه وآله» للخروج من مكة لا بد أن تثير الهواجس الكثيرة، وستنهال الأسئلة الغزيرة عن سبب ذلك.. وسيدرك الجميع أنه لو لم يكن ثمة ما هو أخطر لما فعل «صلى الله عليه وآله»، وسيراقبون حركته بدقة، وسيتوقعون ما يكون منه، وسيدققون في دلالاته ومراميه، وسيربطون ذلك بما حصل في عرفة، ولو بنحو غائم.. إلى أن تنجلي لهم الأمور بموقفه العظيم في يوم الغدير.. كما سنرى.

وأما السبب في هذا كله، فهو أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعلم: أن

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٣٠٥ والمعجم الأوسط للطبراني ج٢ ص١٣٤ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٨ ص٢٤٧.

أي تأخير سيكون معناه: أن يخرج أشتات من الناس إلى بلادهم، ولا يتمكن النبي «صلى الله عليه وآله»، من إيصال ما يريد إيصاله إليهم..

أما حين يخرج «صلى الله عليه وآله» معهم، فمن الطبيعي أن يتقيدوا في مسيرهم بمسيره «صلى الله عليه وآله»، والكون في ركابه، إما حياءً، أو طلباً لليسر والأمن، والبركة، والكون إلى جانبه أكبر قدر ممكن من الوقت، والفوز بسماع توجيهاته.

هذا.. وقد قطع «صلى الله عليه وآله» المسافة ما بين مكة والجحفة، حيث غدير خم ـ وهي عشرات الأميال ـ في أربعة أيام فقط، مع أنه كان يسير في جمع عظيم تبطئ كثرته حركته..

الصحابة يعاقبون النبي صلى الله عليه وآله:

ثم إن ما جرى في منى وعرفات قد أوضح لقريش، ومن تابعها: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مصرٌّ على تنصيب علي «عليه السلام» إماماً وخليفة من بعده.. فضاقت بذلك صدورهم، وأجمعوا أمرهم على مقاطعته ولم يعودوا يطيقون حضور مجلسه، فاعتزلوه وخلا مجلسه منهم.. وابتعدوا عنه.. مع أنهم كانوا دائمي الدخول عليه عادة، وظهر ما أبطنوه على حركاتهم، وفي وجوههم، وعلى تصرفاتهم، وصاروا يعاملونه «صلى الله عليه وآله» بصورة بعيدة حتى عن روح المجاملة الظاهرية.

فواجههم «صلى الله عليه وآله» بهذه الحقيقة، وصارحهم بها، في تلك اللحظات بالذات. ويتضح ذلك من النص التالي:

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل بخم

فتنحى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب، فشق على النبي تأخر الناس، فأمر علياً، فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسداً (يد) علي بن أبي طالب، فحمد الله، وأثنى عليه.. ثم قال:

«أيها الناس، إنه قد كَرِهْتُ تخلفكم عني، حتى خُيِّلَ إلي: أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني»(١).

وروى ابن حبان بسند صحيح على شرط البخاري ـ كما رواه آخرون بأسانيد بعضها صحيح أيضاً:

أنه حين رجوع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة، حتى إذا بلغ

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٦ و ٢٢٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٤٨ والطرائف لابن طاووس ص١٤٥ مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ وتفسير العياشي ج١ ص٣٣١ وتفسير البرهان ج١ ص٤٨٩ وشواهد التنزيل ج١ ص١٩٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٣٣ و١٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٨٩ وج٦ ص٢٥٣ وج٣٠ ص٤٠٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٨ و ٢٣١ ج٩ ص١٦٩ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص٧٥ و ١١٥ والغدير ج١ ص٢٢ و٢١٩ و٢٢٣ و٣٢٧ عنه، وعن الثعلبي في تفسيره، كما في ضياء العالمين، وعن مجمع البيان وعن روح المعاني ج٢ ص٣٤٨.

الكديد أو (قدير)، جعل ناس من أصحابه يستأذنون، فجعل «صلى الله عليه وآله» يأذن لهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر»؟!.

قال: فلم نر من القوم إلا باكياً.

وهو بكاء لا يعبر عن الحقيقة، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الصادق المصدق. إذ لا معنى لهذا البكاء، بعد ما سبقه ذلك الجفاء، الذي بلغ في الظهور حداً دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مطالبته بالإقلاع عنه.

قال: يقول أبو بكر: «إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه في نفسي الخ..»(١).. مع أن المطالب الحقيقي هنا هو أبو بكر بالذات.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج١ ص٤٤٤ ومسند أحمد ج٤ ص١٦ ومسند الطيالسي ص١٨٢ ومجمع الزوائد ج١ ص٢٠ وج١٠ ص٤٠٨ وقال: رواه الطبراني، والبزار بأسانيد رجال بعضها عند الطبراني والبزار رجال الصحيح، وكشف الأستار عن مسند البزار ج٤ ص٢٠٦ وقال في هامش (الإحسان): إنه في الطبراني برقم: ٤٥٥٦ و ٤٥٥٩ و ٤٥٥٧ و ٤٥٥٨ و ٤٥٦٠. وراجع: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص٢١٢ والآحاد والمثاني ج٥ ص٢٤ وصحيح ابن حبان ج١ ص٤٤٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٥٠ و ٥١ وموارد الظمآن للهيثمي ج١ ص١٠٣ وكنز العمال ج١٠ =

= ص٤٧٧ وتهذيب الكمال للمزي ج٩ ص٢٠٨. وراجع: مسند الحارث ج٣ ص١٠٣ والمسند الجامع ج١٢ ص٢٢١ وحلية الأولياء ج٣ ص٩٣.

الفصل الثالث:

حديث الغدير: تاريخ ووقائع..

لا بد من الرجوع لكتاب الصحيح:

إن ما جرى في واقعة الغدير بعد حجة الوداع هام جداً، وحساس، وفيه الكثير من البحوث الهامة التي ذكرنا شطراً منها في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» في الجزئين الأخيرين منه، وقد آثرنا أن نأخذ النصوص المرتبطة بالغدير ومصادرها من ذلك الكتاب بالذات، توفيراً للوقت والجهد.. ثم نشير إلى ما نرى ضرورة للإشارة إليه من استدلالات، أو مناقشات، أو استفادات فنقول:

نصوص حديث الغدير:

١ ـ قال الطبرسي: «اشتهرت الروايات عن أبي جعفر، وأبي عبد الله «عليهما السلام»: أن الله أوحى إلى نبيه «صلى الله عليه وآله»: أن يستخلف علياً «عليه السلام»؛ فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه؛ فأنزل الله هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه..»[١].

---

(١) مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٨٣ وسعد السعود للسيد ابن طاووس ص٦٩ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢٥٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٥٣ والتبيان ج٣ ص٥٨٨ ومجمع البحرين ج١ ص٢٤٢.

والمراد بـ «هذه الآية» قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ.. ﴾(١).

٢ ـ عنه «صلى الله عليه وآله»: أنه لما أُمر بإبلاغ أمر الإمامة قال: «إن قومي قريبوا عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليّهم، وإني أخاف، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ..﴾..»(٢).

٣ ـ عن ابن عباس، وجابر الأنصاري، قالا: أمر الله تعالى محمداً «صلى الله عليه وآله»: أن ينصب علياً للناس، فيخبرهم بولايته، فتخوف النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقولوا: حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك فأوحى الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..﴾..»(٣).

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) شواهد التنزيل ج١ ص١٩١ و (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٢٥٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٣٩ وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٧ وقال في هامشه: راجع البرهان ج٢ ص١٤٦ وكنز الدقائق ج٣ ص١٣٧ و ١٤٠ و ١٥٨ ومجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ وج٣ ص٢٥٩ و ٢٦٠.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص١٩٣ وص٢٩٨ عن أبي الشيخ، وراجع: البرهان ج٢ ص١٤٦ وكنز الدقائق ج٣ ص١٣٧ و ١٤٠ و ١٥٨ ومجمع البيان ج٣ ص٣٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٨٢ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٣ ومكاتيب =

٤ ـ ويقول نص آخر: إنه لما أمر الله نبيه «صلى الله عليه وآله» بنصب علي «عليه السلام»: «خشي رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قومه، وأهل النفاق، والشقاق: أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية، لِما عرف من عداوتهم، ولِما تنطوي عليه أنفسهم لعلي «عليه السلام» من العدواة والبغضاء، وسأل جبرائيل أن يسأل ربّه العصمة من الناس».

ثم تذكر الرواية:

«أنه انتظر ذلك حتى بلغ مسجد الخيف. فجاءه جبرئيل، فأمره بذلك مرة أخرى، ولم يأته بالعصمة.

ثم جاء مرة أخرى في كراع الغميم ـ موضع بين مكة والمدينة ـ وأمره بذلك، ولكنه لم يأته بالعصمة.

ثم لما بلغ غدير خم جاءه بالعصمة».

فخطب «صلى الله عليه وآله» الناس، فأخبرهم: «أن جبرئيل هبط إليه ثلاث مرات يأمره عن الله تعالى، بنصب علي «عليه السلام» إماماً ووليّاً للناس»..

إلى أن قال: «وسألت جبرائيل: أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم ـ أيها الناس ـ لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختل

= الرسول ج١ ص٥٩٧ وروح المعاني ج٢ ص٣٤٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٥٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٢٧ والغدير ج١ ص٢١٩ و ٢٢٣ و ٣٧٧ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢٥٠.

المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم:

﴿**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾(١)، ﴿**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ**﴾(٢)، وكثرة أذاهم لي في غير مرّة، حتى سمّوني أُذناً، وزعموا: أنّي كذلك لكثرة ملازمته إيّاي، وإقبالي عليه، حتى أنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**﴾(٣).

إلى أن قال: ولو شئت أن أسميهم بأسمائهم لسميت، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت، وأن أدل عليهم لفعلت. ولكني والله في أمورهم تكرّمت»(٤).

٥ ـ عن مجاهد، قال: «لما نزلت: ﴿**بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..**﴾. قال: «يا رب، إنما أنا واحد كيف أصنع، يجتمع عليّ الناس؟! فنزلت: ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾..»(٥).

---

(١) الآية ١١ من سورة الفتح.

(٢) الآية ١٥ من سورة النور.

(٣) الآية ٦١ من سورة التوبة.

(٤) راجع: مناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ والإحتجاج ج١ ص٧٣ واليقين ص٣٤٩ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢٠٦ ونور الثقلين ج٢ ص٢٣٦ والغدير ج١ ص٢٢ عنه وعن الثعلبي في تفسيره. وراجع: موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٥٣ والصافي (تفسير) ج٢ ص٥٨.

(٥) الإحتجاج ج١ ص٦٩ و ٧٠ و ٧٣ و ٧٤ وراجع: روضة الواعظين ص٩٠ و =

٦ ـ قال ابن رستم الطبري: «فلما قضى حجّه، وصار بغدير خم، وذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة، أمره الله عز وجل بإظهار أمر علي؛ فكأنه أمسك لما عرف من كراهة الناس لذلك، إشفاقاً على الدين، وخوفاً من ارتداد القوم؛ فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**..﴾..»[١].

٧ ـ وفي حديث مناشدة علي «عليه السلام» للناس بحديث الغدير، أيّام عثمان، شهد ابن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو ذر، والمقداد، أن النبي «صلى الله عليه وآله» وسلم قال، وهو قائم على المنبر، وعلي «عليه السلام» إلى جنبه:

«أيها الناس، إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم، والقائم فيكم بعدي، ووصيي، وخليفتي، والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرب[٢] بطاعته طاعتي، وأمركم بولايته، وإني راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق، وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغها، أو ليعذبني»[٣].

= ٩٢ والبرهان ج١ ص٤٣٧ ـ ٤٣٨ والغدير ج١ ص٢٢١ وفتح القدير ج٢ ص٦٠ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ عن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. وراجع: مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٣٠.

(١) المسترشد في إمامة علي «عليه السلام» (ط مؤسسة الثقافة الإسلامية) ص٤٦٥.

(٢) لعل الصحيح: فقَرَنَ.

(٣) الإحتجاج ج١ ص٢١٤ وإكمال الدين للصدوق ص٢٧٧ والغدير ج١ ص١٦٦ والتحصين للسيد ابن طاووس ص٦٣٤ وبحار الأنوار ج٣١ ص٤١٢ =

وعند سليم بن قيس:

«إن الله عز وجل أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت الناس تكذبني، فأوعدني..»(١).

٨ ـ وعن ابن عباس: لما أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقوم بعلي بن أبي طالب المقام الذي قام به؛ فانطلق النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، فقال:

«رأيت الناس حديثي عهد بكفر (بجاهلية) ومتى أفعل هذا به،

= وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤٢ ومصباح الهداية في إثبات الولاية للسيد علي البهبهاني ص٣٥٤ والمناشدة والإحتجاج بحديث الغدير للشيخ الأميني ص١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٧٩ وج٥ ص٣٦ وج١٣ ص٥٢.

(١) فرائد السمطين ج١ ص٣١٥ و ٣١٦ والغدير ج١ ص١٦٥ ـ ١٦٦ و ١٩٦ و ٣٧٧ عنه، وإكمال الدين ج١ ص٢٧٧ وراجع البرهان ج١ ص٤٤٥ و ٤٤٤ وبحار الأنوار ج٣١ ص٤١١ وج٣٣ ص١٤٧ وكتاب الولاية لابن عقدة الكوفي ص١٩٨ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٣٤٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٢٨ وسليم بن قيس ص١٤٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص١٩٩ والإحتجاج ج١ ص٢١٣ وكتاب الغيبة للنعماني ص٧٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٥ وج٢٠ ص٩٦ و ٣٦١ وج٢١ ص٧٨ وج٢٢ ص٢٨٥ وثمة بعض الإختلاف في التعبير.

يقولوا، صنع هذا بابن عمّه. ثم مضى حتى قضى حجة الوداع»(١).

وعن زيد بن علي، قال: لما جاء جبرائيل بأمر الولاية ضاق النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك ذرعاً، وقال: «قومي حديثو عهد بجاهليّة، فنزلت الآية»(٢).

٩ ـ وروي: أنه «صلى الله عليه وآله» لما انتهى إلى غدير خم: «نزل عليه جبرائيل، وأمره أن يقيم علياً، وينصبه إماماً للناس.

فقال: إن أمتي حديثوا عهد بالجاهلية.

فنزل عليه: إنها عزيمة لا رخصة فيها، ونزلت الآية: ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ..**﴾..»(٣).

١٠ ـ عن ابن عباس إنّه «صلى الله عليه وآله» قال في غدير خم: «إن

---

(١) كتاب سليم بن قيس ص١٤٨ والبرهان ج١ ص٤٤٤ و ٤٤٥ والغدير ج١ ص٥٢ و ٣٧٧ عن سليم بن قيس، وراجع ص٢١٧ عن ابن مردويه. وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٨ وج٨ ص٢٦٢.

(٢) الغدير ج١ ص٥١ ـ ٥٢ و ٢١٧ و ٣٧٨ عن كنز العمال ج٦ ص١٥٣ عن المحاملي في أماليه، وعن شمس الأخبار ص٣٨ عن أمالي المسترشد بالله، وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٧٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٦٩ و ٣٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤٩ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه ص٢٤٠ وكشف الغمة ج١ ص٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٢٥.

(٣) إعلام الورى ص١٣٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٦١.

الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتهموني، وتكذبوني، حتى عاتبني ربي بوعيد أنزله علي بعد وعيد..»(١).

١١ ـ عن الحسن قال في غدير خم أيضاً: «إن الله بعثني برسالة؛ فضقت بها ذرعاً، وعرفت: أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغنّ أوليعذبني، فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**..﴾..»(٢).

١٢ ـ وجاء في رواية عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أنه حين نزلت

---

(١) شواهد التنزيل ج١ ص١٩٣ و (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٢٥٨ والأمالي للصدوق ص٤٣٦ والتحصين لابن طاووس ص٦٣٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١١١ ونور الثقلين ج١ ص٦٥٤ وتأويل الآيات ج١ ص١٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٣٤.

(٢) شواهد التنزيل ج١ ص١٩٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ عن ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ. وراجع: إكمال الدين ص٢٧٦ والإحتجاج ج١ ص٢١٣ وفتح القدير ج٢ ص٦٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٥١ والتحصين لابن طاووس ص٦٣٣ وبحار الأنوار ج٣٣ ص١٤٧ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٢٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٥٥ و ٢٧٠ ولباب النقول (دار إحياء العلوم) للسيوطي ص٩٤ و (دار الكتب العلمية) ص٨٢ والغدير ج١ ص١٦٥ و ١٩٦ و ٢٢١ ومسند ابن راهويه ج١ ص٤٠٢ ومسند الشاميين ج٣ ص٣١٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٤١٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨.

آية إكمال الدين بولاية علي «عليه السلام»:

«**قال عند ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»**: إن أمتي حديثو عهد بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطلق لساني، فأتتني عزيمة من الله بتلةً، أوعدني: إن لم أبلغِّ أن يعذبني. فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾..»(١).

وفي بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما أخر نصبه «عليه السلام» فَرَقاً من الناس، أو لمكان الناس(٢).

ولما انتهى النبي «صلى الله عليه وآله» من نصب علي «عليه السلام» لقي عمر علياً فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة(٣).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ج١ ص٤٨٨ والكافي ج١ ص٢٩٠ والتفسير الأصفى ج١ ص٢٨٥ ونور الثقلين ج١ ص٥٨٨ والصافي (تفسير) ج٢ ص٥٢ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٨٧.

(٢) تفسير العياشي ج١ ص٣٣٢ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤٨٩ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٣٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٦٢ وتفسير الميزان ج٦ ص٥٣ وغاية المرام ج٣ ص٣٢٥.

(٣) مسند أحمد ج٤ ص٢٨١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٠٣ وكنز العمال =

= ج١٣ ص١٣٤ والتفسير الكبير للرازي (ط الثالثة) ج١٢ ص٢ و ٤٩ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٩ وج٧ ص٣٨٦ والمناقب للخوارزمي ص١٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٨٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٣ و ١١٦ و ١٢٠ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٦٤ و ٦٥ وبشارة المصطفى ص٢٨٤ وذخائر العقبى للطبري ص٦٧ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١٠٩ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٩٨ و ١٠١ و ١٥٨ وج٢ ص٢٨٥ ومودة القربى (المودة الخامسة)، وبناء المقالة الفاطمية لابن طاووس ص٢٩٤ و ٢٩٧ وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج٦ ص١٧٠ وخصائص الوحي المبين ص٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٣٦ و ٢٣٧ والعمدة لابن البطريق ص٩٢ و ٩٦ و ١٠٠ والمراجعات ص٢٦٣ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٦وج٦ ص١٢٠ والعدد القوية للحلي ص١٨٥ والطرائف ص١٤٦ و ١٥٠ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٤٩ و ١٥٩ و ١٧٩ و ١٩٨ و ٢٤٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٤ و ١٤٨ والإكمال في أسماء الرجال ص٢٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٣٠٥ وج٧ ص٢٩ و ٥٤ و ٦١ و ٦٩ و ٨٦ و ٩٢ و ١١٥ و ١١٩ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٧ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٦٧ و ١٧٠ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٩٢ و ١٩٦ و ٢٠٨ و ٢١٨ و ٢٥٣ و ٢٨٥ و ٢٩٥ و ٣٠١ و ٣٢١ و ٣٢٦ وج٨ =

أو قال له: بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة(١).

= ص٢١٨ و ٢٣٤ و ٢٤١ و ٢٤٧ و ٢٥٩ و ٢٧٢ وج٩ ص٩٣ والغدير ج١ ص١٩ و ١٤٣ و ١٤٤ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٣٠٦ و ٣٥٥ وج٢ ص٣٧ وج٦ ص٥٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٦ و ١١٨ و ١٢٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٦٤ و ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٩٠ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٦ وج١٤ ص٣٤ و ٥٦١ و ٥٦٩ و ٥٨٣ وج٢٠ ص١٧٣ و ١٧٤ و ٣٥٨ و ٦٠٣ وج٢١ ص٣١ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٦٦ و ٨٦ و ٨٨ وج٢٢ ص١١٣ و ١١٥ و ١٢١ وج٢٣ ص٤ و ٩ و ٣٢٥ و ٥٥٤ و ٦٣٥ و ٦٣٧ وج٣٠ ص٢٣ و ٤١٨ و ٤١٩ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٣٦٨ و ٣٧٠.

(١) ما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لأبي نعيم ص٨٦ وثمار القلوب للثعالبي ص٦٣٦ وراجع: تاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٨٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٣٣ و ٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج١٩ ص٣٢٨ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٨٦ والمناقب للخوارزمي ص١٥٦ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٣٠ و ٥١٦ وينابيع المودة =

ماذا جرى يوم الغدير؟!:

قال العلامة الأميني «رحمه الله»:

«فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً إلى المدينة، ومعه من كان من

____

= ج٢ ص٢٤٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٨ و ٣٣٥ وكشف اليقين ص٢٠٨ و ٢٥٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٢٧ والإرشاد ج١ ص١٧٧ وكنز الفوائد ص٢٣٢ والعمدة لابن البطريق ص١٠٦ و ١٧٠ و ١٩٥ و ٣٤٤ والطرائف ص١٤٧ والمحتضر للحلي ص١١٤ وبشارة المصطفى ص١٥٨ و٤٠٢ وإعلام الورى ج١ ص٢٦٢ و ٣٢٩ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٨٨ وج٣٧ ص١٠٨ و ١٤٢ و ٢٥١ وج٣٨ ص٣٤٤ وج٩٤ ص١١٠ وج٩٥ ص٣٢١ ومسار الشيعة للمفيد ص٣٩ والأمالي للصدوق ص٥٠ ورسائل المرتضى للشريف المرتضى ج٤ ص١٣١ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٣٥٦ وروضة الواعظين للنيسابوري ص٣٥٠ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٦ وج٦ ص١٢٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٤ و ٢٤٦ و ٢٧٧ و ٣٤٤ و ٣٥٤ وج٨ ص٢٦١ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٣٠٢ و ٣٠٣ وج٩ ص١٨٦ والغدير ج١ ص١١ و ٢٢٢ و ٢٣٣ و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٩٢ و ٤٠٢ والمعيار والموازنة ص٢١٢ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص١١٢ وتفسير فرات ص٥١٦ وخصائص الوحي المبين ص٩٧ و ١٥٣ وكنز الدقائق ج١ ص١١٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٢٠٣ وج٢ ص٣٩١.

الجموع المذكورات، وصل إلى غدير خم من الجحفة، التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[١]. وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية، وفرض الطاعة على كل أحد.

وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات خمس متقاربات، دوحات عظام، أن لا ينزل تحتهن أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فَقُمَّ ما تحتهن.

حتى إذا نودي بالصلاة ـ صلاة الظهر ـ عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء، وظلّل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بثوب على شجرة سمرة من الشمس.

فلما انصرف «صلى الله عليه وآله» من صلاته، قام خطيباً وسط القوم[٢]

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) راجع: الغدير ج١ ص٢١٠ ـ ٢٢٣ وقد صرح بنزول الآية في هذه المناسبة كثيرون، فراجع ما عن المصادر التالية: ابن جرير الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير كما في ضياء العالمين، والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ وفتح =

على أقتاب الإبل، وأسمع الجميع رافعاً عقيرته[1]، فقال:

= القدير ج٢ ص٥٧ و ٦٠ عن ابن أبي حاتم، وكنز العمال ج١١ ص٦٠٣ وعن أبي بكر الشيرازي وابن مردويه، وكشف الغمة للأربلي ص٣٢٤ و ٣٢٥ وعن تفسير الثعلبي، والعمدة لابن البطريق ص١٠٠ والطرائف لابن طاووس ج١ ص١٥٢ و ١٢١ ومجمع البيان ج٣ ص٣٤٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٩ وأبي نعيم في كتابه ما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» ص٨٦ وخصائص الوحي المبين ص٥٣ وأسباب النزول ص١٣٥ وشواهد التنزيل ج١ ص٢٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٣٧ والتفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٤٩ ومفتاح النجا في مناقب آل العبا ص٣٤ ومودة القربى (المودة الخامسة) وفرائد السمطين ج١ ص١٥٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤٢ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٠٦ وغرائب القرآن للنيسابوري ج٦ ص١٧٠ وشرح ديوان أمير المؤمنين للميبذي ص٤٠٦ وعن أبي الشيخ، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن مردويه، وثمار القلوب للثعالبي ص٦٣٦ وراجع: روح المعاني ج٦ ص١٩٢ وينابيع المودة ج١ ص١١٩ وراجع: تفسير المنار ج٦ ص٤٦٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١١٥ ونور الثقلين ج١ ص٦٥٧ وإعلام الورى ج١ ص٢٦١ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٥٣ وكشف اليقين ص٢٤٠ وتفسير القمي ج١ ص١٧٣ والصافي (تفسير) ج٢ ص٦٩.

(١) راجع: الغدير ج١ ص١٠ وراجع: بحار الأنوار ج٣٧ ص١٦٦ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٤٤.

«الحمد لله، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.. أيها الناس، قد نبأني اللطيف الخبير: أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟!

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، و أن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟!

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟!

قالوا: نعم.

قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبُصرى[١]، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين[٢].

---

(١) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. وبُصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

(٢) الثقل، بفتح المثلثة والمثناة: كل شيء خطير نفيس.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟!

قال: الثقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي، فلا تَقَدَّموهما فتهلكوا، ولا تُقَصِّروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟!

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات ـ وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ـ ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ الآية[1]»[2].

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) وقد روي نزول الآية في يوم الغدير في المصادر التالية: الغدير ج١ ص١١ و ٢٣٠ ـ ٢٣٧ و ٢٩٦ وروى ذلك الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير، كما في ضياء العالمين. وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤ عن ابن مردويه، والدر =

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي.

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وممن هنأه في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، كلٌّ يقول: بَخٍ بَخٍ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولايَ ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم(١).

= المنثور ج٢ ص٢٥٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٣٧ والإتقان ج١ ص٣١ وكشف الغمة ج١ ص٣٣٠ وعن مفتاح النجا، وعن الفرقة الناجية وما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لأبي نعيم ص٥٦ وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٢٨ وتاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص١٨ والعمدة لابن البطريق ص١٠٦ وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٢٠١ والمناقب للخوارزمي ص١٣٥ و١٥٦ وفرائد السمطين ج١ ص٧٤ و٧٢ وعن النطنزي في كتابه الخصائص العلوية، وتوضيح الدلائل للصالحاني، وتذكرة الخواص ص٣٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٠. وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص٣٩٠ وج٣٧ ص١٣٤ و ١٦٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٠١ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٤٤ وإعلام الورى ج١ ص٢٦١ ـ ٣٦٣ قصص الأنبياء للراوندي ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٢٠ وكشف اليقين ص٢٥٣.

(١) الغدير ج١ ص١٠ و ١١. وراجع: العمدة لابن البطريق ص١٠٤ ـ ١٠٦ وبحار =

الخطبة برواية الطبري:

وعن زيد بن أرقم: أنه «صلى الله عليه وآله» خطب في يوم الغدير خطبة بالغة، ثم قال: إن الله تعالى أنزل إليَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[1]، وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد، وأُعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي، ووصيي، وخليفتي، والإمام بعدي.

فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي، لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المؤذين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي، وشدة إقبالي عليه، حتى سموني أذناً، فقال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾[2]. ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرمت.

فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه. فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله

= الأنوار ج٣٧ ص١٨٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٢ وج٨ ص١٢٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤١ و ٣٤٢ عن ابن المغازلي.

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

مولاكم، وعلي إمامكم.

ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله وهم، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم.

فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيَّ، ونقلته إليه؛ فلا تضلوا عنه، ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك، أن يعذبه عذاباً نكراً أبد الآبدين.

فهو أفضل الناس بعدي، ما نزل الرزق، وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، فلتنظر نفس ما قدمت لغد.

إفهموا محكم القرآن، ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا آخذ بيده، وشائل بعضده، ومُعْلِمُكم: أن من كنت مولاه فهذا (فعلي) مولاه، وموالاته من الله عز وجل أنزلها عليَّ.

ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبي «صلى الله عليه وآله» وقال:

معاشر الناس! هذا أخي، ووصيي، وواعي علمي، وخليفتي على من آمن بي، وعلى تفسير كتاب ربي.

وفي رواية: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب على من جحد حقه.

اللهم إنك أنزلت عند تبيين ذلك في علي: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[١] بإمامته، فمن لم يأتم به، وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة، فأولئك حبطت أعمالهم، وفي النار هم خالدون.

إن إبليس أخرج آدم «عليه السلام» من الجنة، مع كونه صفوة الله، بالحسد[٢]، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم، وتزل أقدامكم.

في علي نزلت سورة ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٣].

معاشر الناس! آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾[٤]. النور من الله فيَّ، ثم في عليٍّ، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر الناس! سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون، وإن الله وأنا بريئان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار. وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً، فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان و ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾[٥]»[٦].

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) لنا كتاب مستقل حول هذا الموضوع أسميناه «براءة آدم» راجع ذلك.

(٣) الآيتان ١ و ٢ من سورة العصر.

(٤) الآية ٤٧ من سورة النساء.

(٥) الآية ٣٥ من سورة الرحمن.

(٦) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٢١٥ و ٢١٦ عن ضياء العالمين للفتوني عن كتاب =

النبي صلى الله عليه وآله يعلمهم التهنئة والبيعة:

وتذكر الروايات أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قال:

«معاشر الناس! قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نؤديه إلى من رأينا من أولادنا وأهالينا، لا نبغي بذلك بدلاً، وأنت شهيد علينا، و كفى بالله شهيداً.

قولوا ما قلت لكم، وسلموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: ﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ**﴾(١)، فإن الله يعلم كل صوت، وخائنة كل عين، ﴿**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾(٢). قولوا ما يرضي الله عنكم، فـ ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ**﴾(٣)»(٤).

= الولاية للطبري. وراجع: كتاب الإحتجاج ج١ ص١٣٣ ـ ١٦٢ والتحصين لابن طاووس ص٥٧٩ ـ ٥٩٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٩١ ـ ١١٢ والعدد القوية للحلي ص١٦٩ ـ ١٨٣ والصافي (تفسير) ج٢ ص٥٦ ـ ٦٧ وفيها زيادات هامة، وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢٠١ ـ ٢١٩ وروضة الواعظين ص١٠٠ ـ ١١٣ وغاية المرام ج١ ص٤٠٢ ـ ٤١٩ وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠١ ـ ٣٠٤.

(١) الآية ٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٣) الآية ٧ من سورة الزمر.

(٤) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢٧٠ =

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم، سمعنا وأطعنا لما أمرنا الله ورسوله، بقلوبنا، وأنفسنا، وألسنتنا، وجميع جوارحنا.

ثم انكبوا على رسول الله، وعلى عليٍّ بأيديهم..

وكان أول من صافق رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبو بكر وعمر، وطلحة والزبير، ثم باقي المهاجرين [والأنصار وباقي] الناس على طبقاتهم، ومقدار منازلهم، إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، ولم يزالوا يتواصلون البيعة والمصافقة ثلاثاً، ورسول الله كلما بايعه فوج بعد فوج يقول: «الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين».

وصارت المصافقة سنة ورسماً، واستعملها من ليس له حق فيها(١).

= عن الطبري في كتاب الولاية ص ٢١٤ ـ ٢١٦، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والطي. وعيد الغدير في الإسلام للشيخ الأميني ص٢٠ وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢١٧.

(١) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢٧٠ وعن الطبري في كتاب الولاية، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والطي. وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠٣ والإحتجاج ج١ ص٨٤ واليقين لابن طاووس ص٣٦٠ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢١٧ والصافي (تفسير) ج٢ ص٦٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٢ والعدد القوية للحلي ص١٨٣.

ثم جلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خيمة تختص به، وأمر أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» أن يجلس في خيمة أخرى، وأمر أطباق الناس بأن يهنئوا علياً في خيمته.

ولما فرغ الناس عن التهنئة له أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمهات المؤمنين بأن يسرن إليه ويهنئنه، ففعلن.

وممن هنأه من الصحابة: عمر بن الخطاب، فقال: هنيئاً لك (أو بَخٍ بَخٍ لك) يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات[١].

---

(١) راجع: تاريخ روضة الصفا لابن خاوند شاه ج٢ ص٥٤١ وحبيب السير ج١ ص٤١١.

وحول تهنئة عمر له راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج١٢ ص٧٨ ومسند أحمد ج٤ ص٢٨١ وجامع البيان ج٣ ص٤٢٨ والغدير ج١ ص٢٧٣ و ٢٧٤ عن الحسن بن سفيان الشيباني النسوي وعن شرف المصطفى للخركوشي، وابن مردويه، وعن الكشف والبيان، وعن العاصمي في زين الفتى، وعن فضائل الصحابة للسمعاني، والمناقب لابن الجوزي، والخصائص العلوية للنطنزي، وعن مودة القربى، وعن الصراط السوي للقادري، وعن السهارنپوري، وعن ولي الله الدهلوي، وعن مفتاح النجا ومعارج العلى، وعن تفسير شاهي والرياض النضرة ج٣ ص١١٣ وعن حياة علي بن أبي طالب للشنقيطي ص٢٨ ونظم درر السمطين ص١٠٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص١٨ وسر العالمين ص٢١ والملل والنحل ج١ ص١٤٥ =

وفي نص آخر: قال أبو بكر وعمر: أمسيت يابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة(١).

= والمناقب للخوارزمي ص٩٤ والتفسير الكبير ج١٢ ص٤٩ والنهاية في اللغة ج٥ ص٢٢٨ وعن أسد الغابة ج٤ ص١٠٨ وتذكرة الخواص ص٢٩ ووسيلة المتعبدين ج٥ ق٢ ص١٦٢ وفرائد السمطين ج١ ص٧٧ ومشكاة المصابيح ج٣ ص٣٦٠ وبديع المعاني ص٧٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٩ و ٢١٠ والخطط للمقريزي ج١ ص٣٨٨ وكنز العمال ج١٣ ص١٣٣ وشرح ديوان أمير المؤمنين للميبذي ص٤٠٦ ووفاء الوفاء ج٣ ص١٠١٨ والمواهب اللدنية ج٣ ص٣٦٥ ووسيلة المآل ص١١٧ ونزل الأبرار ص٥٢ والروضة الندية ص١٥٥ ووسيلة النجاة ص١٠٢ ومرآة المؤمنين ص٤١ وتاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ ومصادر أخرى تقدمت.

(١) راجع: الغدير ج١ ص٢٧٣ عن كتاب الولاية لابن عقدة، وعن المرزباني في كتابه سرقات الشعر، وعن الدارقطني، وعن الإبانة لابن بطة، وعن التمهيد للباقلاني، وعن العاصمي في زين الفتى، والصواعق المحرقة ص٤٤ وكفاية الطالب ص٦٢ ـ ٦٤ وفيض القدير للمناوي ج٦ ص٢١٨ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٧ ص١٣ والفتوحات الإسلامية ج٢ ص٣٠٦. والفضائل لابن شاذان ص١٣٣ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٥٥ وبحار الأنوار ج١٠٤ ص١١٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١١ و ٢٦٣ و٣٦٤ و ٤٠٥ و ٤١٢ وج٨ ص٨٢ وج٩ ص٩٧ و ١٤٣ و المراجعات ص٢٨٢ والغدير ج١ ص١١ و ٢٧٣ و ٢٨١ و ٢٨٢=

فقال حسان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تسمعهن.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسان، فقال: يا معشر مشيخة قريش، أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال[1]:

= و ٣٠٣ و ٣٠٩ و ٣٥٤ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٣٦٦ وج٢٠ ص٥٨١ و ٥٩٩ وج٢١ ص٥٠ و ٥٢ و ٥٦ وج٣١ ص٥٠٠ ونهج الإيمان ص١٢٧.

(١) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص١١ و ٢٣٢ ورسائل المرتضى ج٤ ص١٣١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص١١٩ و ٣٦٣ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٤٦٩ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٩٤ والطرائف ص١٤٦ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص٦٤ والجمل للمفيد ص١١٧ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» وما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لابن مردويه ص٢٣٣ والمناقب للخوارزمي ص١٣٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٨٨ وج٣٧ ص١١٢ و ١٦٦ و ١٧٨ و ١٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٥٦ وج٢٠ ص١٩٩ والأمالي للصدوق ص٦٧٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٦ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص٤٢ وروضة الواعظين ص١٠٣ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢٠ ونظم درر السمطين ص١١٢ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص٢٩٠ والإرشاد ج١ ص١٧٧ وأقسام المولى للشيخ المفيد ص٣٥ والصراط المستقيم ج١ ص٣٠٥ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٣٠ وكنز =

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم فاسمع بالرسول مناديا
يقول: فمن مولاكم ووليكم؟! فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولم تر منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه وكن للذي عادا علياً معاديا

وحسب رواية سليم بن قيس:

ألم تعلموا أن النبي محمداً لدى دوح خم حين قام مناديا
وقد جاءه جبريل من عند ربه بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلغهم ما أنزل الله ربهم وإن أنت لم تفعل وحاذرت باغيا
عليك فما بلغتهم عن إلههم رسالته إن كنت تخشى الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفه بيمنى يديه معلن الصوت عاليا
فقال لهم: من كنت مولاه منكم وكان لقولي حافظاً ليس ناسيا
فمولاه من بعدي علي وإنني به لكم دون البرية راضيا
فيا رب من والى علياً فواله وكن للذي عادى علياً معاديا
ويا رب فانصر ناصريه لنصرهم إمام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا

= الفوائد ص١٢٣ ومسار الشيعة للشيخ المفيد ص٣٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٦٢ والدر النظيم ص٢٥٣ و ٣٩٦ وكشف الغمة ج١ ص٣٢٥.

ويا رب فاخذل خاذليه وكن لهم   إذا وقفوا يوم الحساب مكـافيـا[١]

وعن عمر بن الخطاب قال:

نصب رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً علماً، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدي عليهم.

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح، قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلا منافق.

فأخذ رسول الله بيدي فقال: يا عمر، إنه ليس من ولد آدم، لكنه جبرائيل أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي[٢]..

---

(١) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٢٨ و ٨٢٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص٣٥٦ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٩٥.

(٢) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٥٧ عن مودة القربى لشهاب الدين الهمداني، المودة الخامسة، وينابيع المودة ج٢ ص٧٣ و (ط دار الأسوة) ص٢٨٤ عنه.

وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨٧ وج٩ ص٢٧٣ والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص١٧٨ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٥٢ عن أرجح المطالب (ط لاهور) ص٥٦٥ وج٢١ ص٦٥ عن آل محمد (نسخة مكتبة السيد الأشكوري) ص٤٥٣ وراجع: الدر النظيم ص٢٥٣.

الفصل الرابع:

هكذا حورب عيد الغدير..

بداية ضرورية:

لقد حاول مناوؤا علي «عليه السلام»، والرافضون لامامته بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يتخلصوا من حديث الغدير باتجاهان:

١ ـ تغييبه من التاريخ بادعاء أن هذه الواقعة أما حدث جاهلي، أو حدث اسلامي، ولكن لا ربط له بموضوع الإمامة، بل اريد به تبرئة علي «عليه السلام» من تهمة وجهت إليه.

٢ ـ تغيبه عن الممارسة ومنعه من الحضور في الواقع العملي عن طريق محاربته في كل سنة، والمنع من الإحتفال به..

٣ ـ الطعن في أسانيده، وهذه الأمور الثلاثة هي التي سنتحدث عنها بايجاز في هذا الفصل..

٤ ـ التشكيك في دلالة مضمونة، وهذا ما سنتعرض له في الفصول التي تليه.

وعلى هذا الأساس نقول:

حديث الغدير واقعة حرب:

زعم الدكتور ملحم إبراهيم الأسود: أن واقعة الغدير هي واقعة حرب

معروفة[١].

ونقول:

إن من المعلوم: أنه ليس في غزوات النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا في سراياه أية واقعة حرب معروفة بهذا الاسم.

وقد ذكر: أنه كان في الجاهلية واقعة حرب بهذا الإسم[٢]، وتطبيقها على حديث الغدير هنا لا معنى له، فإنه لم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» ولا لعلي «عليه السلام» أدنى ارتباط به.. فلا معنى لتفسير المراد بذلك بصورة مطلقة، وبطريق التعميم.. فإن ما حدث في الإسلام وذكر فيه النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» لا يمكن أن يراد به تلك الواقعة التي كانت في الجاهلية.

يوم الغدير لتبرئة علي عليه السلام:

قال ابن كثير: «فصل: في إيراد الحديث الدال على أنه «صلى الله عليه وآله» خطب بمكان بين مكة والمدينة، مرجعه من حجة الوداع، قريب من الجحفة ـ يقال له غدير خم ـ فبين فيها فضل علي بن أبي طالب، وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة، التي ظنها بعضهم جوراً، وتضييقاً وبخلاً،

(١) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص١٢ وج٢ ص٣٣١ عن شرح ديوان أبي تمام ص٣٨١ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٥٦٩.

(٢) الأغاني ج١٠ ص١٤ و١٥ والعقد الفريد ج٥ ص٩٩.

والصواب كان معه في ذلك.

ولهذا لما تفرغ «صلى الله عليه وآله» من بيان المناسك، ورجع إلى المدينة بيَّن ذلك في أثناء الطريق. فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذٍ ـ وكان يوم الأحد بغدير خم ـ تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل علي، وأمانته وعدله، وقربه إليه، ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه»[١].

إلى أن قال: «قال محمد بن إسحاق ـ في سياق حجة الوداع ـ: حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لما أقبل علي من اليمن، ليلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة، تعجل إلى رسول الله، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل، فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي.

فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك! ما هذا؟

قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس.

قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز.

قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم[٢].

---

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٤.

(٢) البداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٦٠٣ و (نشر مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص١٠٢١ وبحار =

ثم روى ابن إسحاق، عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس علياً، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فينا خطيباً، فسمعته يقول:

«أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يُشكى»(١).

ونقول:

١ ـ قد تحدثنا عن القضية التي أشار إليها ابن كثير في فصل سابق.. فلا بأس بمراجعة ما ذكرناه هناك.

٢ ـ إن ما زعمه ابن كثير من أن السبب هو قضية الحلل، التي من الخمس، حيث منع علي «عليه السلام» المقاتلين من الإستيلاء عليها.. ليس له ما يدل عليه في كلمات الرسول في غدير خم، ولا في النصوص التاريخية التي

= الأنوار ج٤١ ص١١٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٧٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٣٠٤ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤.

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ وج٧ ص٣٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٥ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤ ومسند أحمد ج٣ ص٨٦ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٦٠٣ و (نشر مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص١٠٢٢ وينابيع المودة ج٢ ص٣٩٨ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٨٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٩٩ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص١٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٤٠ و ٢٣٤ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ وج٢٠ ص٣٠٠ و ٣٠٢ وج٢٣ ص٦٠٦ وج٣١ ص٤٨.

يمكن التعويل عليها، بل هو مجرد حدس، وتخمين من ابن كثير على الأظهر.. إن لم نقل: أن وراء الأكمة ما وراءها من الكيد، والتعصب ضد علي «عليه السلام».. والسعي لإنكار مقاماته وفضائله..

والنصوص المعتبرة والمتواترة صريحة: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد نصب علياً «عليه السلام» ولياً في ذلك اليوم، وليست القضية قضية تبرئة علي «عليه السلام» مما نسب إليه..

٣ ـ إن نزول قوله تعالى: ﴿**أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾[١] شاهد صدق على ما نقول، ويسقط ما يريد ابن كثير أن يسوِّق له.. وسيأتي الكلام حول ذلك إن شاء الله تعالى..

٤ ـ إن الخطبة التي رواها ابن إسحاق هي خطبة أخرى، لا ربط لها بما جرى في غدير خم.. ولكن ابن كثير اجتهد في تطبيق هذه على تلك، وتجاهل الخطبة الحقيقية، والنصوص الصحيحة المتواترة، الآتي شطر منها.

يوم الغدير عيد:

هذا.. ولا حاجة بنا إلى إثبات أن يوم الغدير عيد إسلامي أصيل، وأنه لم يزل معروفاً بهذه الصفة منذ القرون الثلاثة الأولى.

فلا يصح قول المقريزي عن عيد الغدير: «أول ما عرف في الإسلام

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

بالعراق، أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة، فاتخذه الشيعة من حينئذٍ عيداً»(١).

ويدل على بطلانه:

١ ـ قول المسعودي: «وولْدُ علي «عليه السلام»، وشيعته يعظمون هذا اليوم»(٢).

والمسعودي قد توفي قبل التاريخ المذكور، أي في سنة ٣٤٦ هـ.

٢ ـ وروى فرات بن إبراهيم، وهو من علماء القرن الثالث عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه «عليهم السلام»، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي الخ..»(٣).

٣ ـ وعن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» أنه خطب في سنة اتفق فيها الجمعة والغدير، فقال: «إن الله عز وجل جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين..».

---

(١) الخطط للمقريزي ج١ ص٢٨٨.

(٢) التنبيه والإشراف ص٢٢١ و ٢٢٢.

(٣) راجع: الغدير ج١ ص٢٨٣ والأمالي للصدوق ص١٨٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٦٤ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٠٩ وج٩٤ ص١١٠ ونور الثقلين ج١ ص٥٨٩ وبشارة المصطفى للطبري ص٤٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٣٩ وروضة الواعظين ص١٠٢.

والخطبة طويلة يأمرهم فيها تفصيلاً بفعل ما ينبغي فعله في الأعياد، وبإظهار البشر والسرور، فمن أراد فليراجع(١).

٤ ـ وعن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: قال: قلت: جعلت فداك، للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى، ويوم الجمعة، ويوم عرفة؟!

قال: فقال لي: «نعم، أفضلها، وأعظمها، وأشرفها عند الله منزلة، هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأنزل على نبيه محمد: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ الآية(٢)»(٣).

٥ ـ وفي الكافي: عن الحسن بن راشد، عن الإمام الصادق «عليه

---

(١) مصباح المتهجد ص٦٩٨ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٥٤ والغدير ج١ ص٢٨٤ عنه، ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٥ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٧ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٥٦ والمصباح للكفعمي ص٦٩٧ وبحار الأنوار ج٩٤ ص١١٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢١ والغدير ج١ ص٢٨٤ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج٢ ص٢٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٧٢.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) الغدير ج١ ص٢٨٤ و ٢٨٥ وتفسير فرات ص١١٧ حديث ١٢٣ ومستدرك الوسائل ج٦ ص٢٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٧٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٦ ص١٨٠ و ٣١٣ و ٤١٣.

السلام» أيضاً: أنه اعتبر يوم الغدير عيداً.

وفي آخره قوله: «فإن الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً».

قال: قلت: فما لمن صامه؟!

قال: «صيام ستين شهراً»(١).

٦ ـ ويؤيده: ما رواه الخطيب البغدادي، بسند رجاله كلهم ثقات، عن أبي هريرة: من صام يوم ثماني عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم الخ..»(٢).

---

(١) الكافي ج٤ ص١٤٨ و ١٤٩ والغدير ج١ ص٢٨٥ عنه، ومصباح المتهجد ص٦٨٠ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٣٧ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥١٩ ومشارق الشموس (ط.ق) ج٢ ص٤٥١ والحدائق الناضرة ج١٣ ص٣٦١ وجامع المدارك ج٢ ص٢٢٤ وثواب الأعمال للصدوق ص٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٩٠ وتهذيب الأحكام ج٤ ص٣٠٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤١ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٤ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٧٢ وج٩٤ ص١١١ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢٠ وبشارة المصطفى للطبري ص٣٦٤.

(٢) تاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٨٤ وأشير إليه في تذكرة الخواص ص٣٠ والمناقب للخوارزمي ص٩٤ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص١٥٦ وفيه ستين سنة بدل ستين شهراً، ومناقب الإمام علي =

٧ ـ وفي رواية أخرى: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوصى علياً «عليه السلام» أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً(١).

= «عليه السلام» لابن المغازلي ص١٩ وفي فرائد السمطين الباب١٣ ج١ ص٧٧ كما في المناقب للخوارزمي، والغدير ج١ ص٢٣٢ و ٤٠١ و ٤٠٢ عنهم، وعن زين الفتى للعاصمي. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢٥ والأمالي للصدوق ص٥٠ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٦ وج٦ ص١٢٠ وينابيع المودة ج٢ ص٢٨٣ والطرائف ص١٤٧ وروضة الواعظين ص٣٥٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٤ و ١٨٧ و ٢٤٦ و ٢٧٧ و ٣٤٤ و ٣٤٨ و ٣٥٤ وج٨ ص٢٧٧ و ٢٨١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٣٠١ و ٣٠٢ والعمدة لابن البطريق ص١٠٦ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٠٨ وج٩٤ ص١١٠ وج٩٥ ص٣٢١ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٢٠٠ و ٢٠٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٣٣ و ٢٣٤ وبشارة المصطفى للطبري ص١٥٨ و ٤٠٢ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٢٥٨ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٣٤ و ٢٥٥ و ٣٥٣ وج١٤ ص٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ وج٢٠ ص١٩٧ وج٢١ ص٦١ و ٦٤ وج٣٠ ص٧٧ و و ٧٨ و ٧٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣٣ و ٣٨٦.

(١) الكافي ج٤ ص١٤٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٧٢ والغدير ج١ ص٢٨٥ و ٢٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥١٩ وجامع أحاديث =

٨ ـ وليراجع ما رواه المفضل بن عمر، عن الصادق «عليه السلام»[١].

٩ ـ وما روي عن عمار بن حريز العبدي عنه «عليه السلام»[٢].

١٠ ـ وعن أبي الحسن الليثي عنه «عليه السلام»[٣].

= الشيعة ج٩ ص٤١٩ والحدائق الناضرة ج١٣ ص٣٦٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٢.

(١) الخصال ج١ ص٢٦٤ والغدير ج١ ص٢٨٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٥ وبحار الأنوار ج٩٤ ص١١ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٢.

(٢) مصباح المتهجد ص٦٨٠ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٣٧ والغدير ج١ ص٢٨٦ وبحار الأنوار ج٩٥ ص٢٩٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص ٣٢٦ ومستدركات علم رجال الحديث ج٨ ص٤٧٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٤ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٥٣٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٧ ص٤١١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٣٣.

(٣) الغدير ج١ ص٢٨٧ عن الحميري، ومستدرك الوسائل ج٦ ص٢٧٦ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٧٩ وبحار الأنوار ج٩٥ ص٣٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٧ ص٤١١ وموسوعة الإمام علي «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٣.

١١ ـ وعن زياد بن محمد عن الصادق «عليه السلام»[١].

١٢ ـ وعن سالم عن الإمام الصادق «عليه السلام»[٢].

١٣ ـ وقال الفياض بن عمر الطوسي سنة تسع وخمسين ومائتين، وقد بلغ التسعين: إنه شهد أبا الحسن علي بن موسى الرضا «عليه السلام» في يوم الغدير، وبحضرته جماعة من خاصته، قد احتبسهم للإفطار، وقد قدم إلى منازلهم الطعام، والبر والصلات، والكسوة حتى الخواتيم والنعال، وقد غير من أحوالهم، وأحوال حاشيته، وجددت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وقدمه[٣].

---

(١) مصباح المتهجد ص٦٧٩ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٣٦ والمصباح للكفعمي ص٦٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤١٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٣٨.

(٢) الكافي ج٤ ص١٤٩ والغدير ج١ ص٢٨٥ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥١٩ والحدائق الناضرة ج١٣ ص٣٦٢ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٣ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٦٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤١٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٦ ص١٩٢ وج٧ ص٣٩٢ وج٨ ص٣٦.

(٣) الغدير ج١ ص٢٨٧ ومصباح المتهجد ص٦٩٦ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) =

وفي المحتضر، بالإسناد، عن محمد بن علاء الهمداني الواسطي، ويحيى بن جريح البغدادي، قالا في حديث: قصدنا جميعاً أحمد بن إسحاق القمي، صاحب الإمام أبي محمد العسكري «عليه السلام»، بمدينة قم، وقرعنا عليه الباب، فخرجت إلينا من داره صبية عراقية، فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول بعيده، فإنه يوم عيد.

فقلنا: سبحان الله، أعياد الشيعة أربعة: الأضحى، والفطر، والغدير، والجمعة الخ..»[1].

وبعد.. فقد حشد العلامة الأميني، في كتابه القيم: «الغدير» عشرات النصوص عن عشرات المصادر الموثوقة عند أهل السنة، والتي تؤكد على عيدية يوم الغدير في القرون الأولى، وأنه كان شائعاً ومعروفاً في تلك العصور..

وتكفي مراجعة الفصل الذي يذكر فيه تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر

= ص٧٥٢ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٦ وبحار الأنوار ج٩٤ ص١١٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢١ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج٢ ص٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليه السلام» ج٨ ص٧٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٦.

(١) الغدير ج١ ص٢٨٧ وبحار الأنوار ج٣١ ص١٢٠ وج٩٥ ص٣٥١ والمحتضر ص٩٣.

لأمير المؤمنين «عليه السلام» بهذه المناسبة، فقد ذكر ذلك عن ستين مصدراً..

هذا.. عدا المصادر الكثيرة التي ذكرت تهنئة الصحابة له «عليه السلام» بهذه المناسبة، وعدا المصادر التي نصت على عيدية يوم الغدير، فإنها كثيرة أيضاً(١).

عيد الغدير لا أصل له:

ومن ذلك كله يعلم: عدم صحة قول ابن تيمية عن عيد الغدير: «إن اتخاذ هذا اليوم عيداً لا أصل له، فلم يكن في السلف، لا من أهل البيت، ولا من غيرهم، من اتخذ ذلك عيداً»(٢).

فإنه كلام ساقط عن الإعتبار، لأنه لا يستند إلى دليل علمي، ولا تاريخي على الإطلاق.. وإنما الأدلة كلها على خلافه.

---

(١) الغدير ج١ ص٢٦٧ ـ ٢٨٩ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢٧٠ عن الطبري في كتاب الولاية، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والطي. وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢١٧. وراجع: التنبيه والإشراف للمسعودي ص٢٢٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٣٦٧.

(٢) إقتضاء الصراط المستقيم ص٢٩٤ و (ط سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م) ج٢ ص٨٣.

ماذا يقول شانئو علي عليه السلام؟!:

ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة يعدل صيام ستين شهراً، ولكن نفوس شانئي علي «عليه السلام»، والمتحاملين عليه لم تحتمل سماع هذه الفضيلة له، فبادرت إلى تكذيبها بصورة قاطعة معززة بالأيمان المغلظة، وكان مستندهم في ذلك غريباً وعجيباً، فاستمع إلى ابن كثير وهو ينقل لنا ذلك عن الذهبي، فيقول عن هذا الحديث:

«إنه حديث منكر جداً، بل كذب، لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة، يوم عرفة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بها كما قدمنا.

وكذا قوله: إن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم، يعدل صيام ستين شهراً، لا يصح، لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح: أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً؟! هذا باطل.

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث: هذا حديث منكر جداً. ورواه حبشون الخلال، وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيري، وهما صدوقان، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة.

قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية.

قال: وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

قاله، وأما: اللهم وال من والاه، فزيادة قوية الإسناد. وأما هذا الصوم فليس بصحيح، ولا والله، ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة، قبل غدير خم بأيام، والله تعالى أعلم»(١).

ونقول:

إن كلام الذهبي مرفوض جملة وتفصيلاً، وذلك لما يلي:

١ ـ قد ذكرنا: أن نزول الآية في يوم عرفة في ضمن سورة المائدة لا يعني عدم نزولها مرة أخرى بعد ثمانية أيام في غدير خم..

بل إن ثمة آيات وسوراً قد نزلت أكثر من مرة لمناسبات اقتضت نزولها أكثر من مرة..

٢ ـ إن هؤلاء رووا أيضاً: أن من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر(٢).

---

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢٥.

(٢) سنن أبي داود ج١ ص٥٤٤ ومجمع الزوائد ج٣ ص١٨٣ وفتح الباري ج٤ ص١٩٤ ومسند الحميدي ج١ ص١٨٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٦٣ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٢٩٨ والمعجم الأوسط ج٥ ص١٧١ والمعجم الكبير ج٤ ص١٣٦ وأمالي الحافظ الأصبهاني ص٢١ و ٣٤ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص٤٥٠ والإستذكار ج٣ ص٣٧٩ والإنصاف للمرداوي ج٣ ص٣٤٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١٠٩ وج ٣٢١ والبرهان للزركشي ج٢ ص١٣٦ الدر المنثور ج٣ ص٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٣٥.

٣ ـ عن يزيد بن هارون، عن شعبة، عن أنس بن سيرين، عن عبد الملك بن المنهال، عن أبيه، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أنه كان يأمر بصيام البيض. ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة. ويقول: «هو كصوم الدهر، أو كهيئة صوم الدهر»(١).

٤ ـ وعن علي «عليه السلام»: «في رجب يوم وليلة، من صام ذلك اليوم، وقام تلك الليلة، كان له من الأجر كمن صام مائة سنة، وقام مائة سنة. وهي لثلاث ليال بقين من رجب. في ذلك اليوم بعث الله محمداً نبياً»(٢).

٥ ـ وروي: من صام يوماً من رجب كان كصيام سنة(٣).

٦ ـ عن ابن عمر عنه «صلى الله عليه وآله»: صوم يوم عرفة صوم

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٢٧ و ٢٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٤٤ وعمدة القاري ج١١ ص٩٦ والآحاد والمثاني ج٣ ص٢٦٨ وج٤ ص٢٨٩ والمعجم الكبير ج١٠ ص١٣٧ وج١٩ ص١٧ وراجع: مسند أبي داود الطيالسي ص١٧٠ وأسد الغابة ج٤ ص١٩٥ و ٤١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٢٩٤ وفتح الباري ج٤ ص١٩٧ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٨١.

(٢) تذكرة الموضوعات للفتني ص١١٦ وفضائل الأوقات للبيهقي ص٩٦ والدر المنثور ج٣ ص٢٣٥.

(٣) فضائل الأوقات للبيهقي ص٩٣ وكنز العمال ج٨ ص٥٧٨ وج١٢ ص٣١١ والدر المنثور ج٣ ص٢٣٥.

سنة(١).

وفي نص آخر: يعدله بصوم سنتين(٢).

٧ ـ عن أبي قتادة قال: صيام يوم عرفة يعدل السنة والتي تليها، وصيام عاشوراء يعدل سنة(٣).

٨ ـ وروي مرسلاً: صيام كل يوم من أيام العشر كصيام شهر، وصيام عرفة كصيام أربعة عشر شهراً(٤).

٩ ـ وعن ابن عباس، عنه «صلى الله عليه وآله»: من صام يوم عرفة كان له كفارة سنتين، ومن صام يوماً من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوماً(٥).

١٠ ـ وروى البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن ماجة وغيرهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعبد الله بن عمرو: صم ثلاثة أيام من الشهر صوم

---

(١) مسند أبي يعلى ج١٠ ص١٧ وكنز العمال ج٥ ص٧٥ و ١٩٣ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٧٢.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٣٠٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٥٢.

(٣) كنز العمال ج٥ ص٧٥ و ٧٦ وراجع: السنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٢٧٧.

(٤) كنز العمال ج٥ ص٧٦ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢٧ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٥٢٩.

(٥) مجمع الزوائد ج٣ ص١٩٠ والمعجم الصغير ج٢ ص٧١ والجامع الصغير ج٢ ص٦١٤ والعهود المحمدية ص١٩١ وكنز العمال ج٨ ص٥٧٢ وفيض القدير ج٦ ص٢١٠.

الدهر كله[١].

فهل يستطيع العجلوني والذهبي، ومن ينسج على منوالهما أن يحكم بكذب هذه الروايات كلها وسواها مما يدخل في هذا السياق، مع أن بعضها وارد في صحاحهم، ولا يكاد يخلو منه كتاب حديث لهم يتعرض لثواب صيام الأيام؟!

أم أن وراء الأكمة ما وراءها من التحامل على علي «عليه السلام»، والتشكيك في كل ما يؤيد إمامته، ويسعى لتكذيب ما جرى عليه وعلى زوجته فاطمة الزهراء «عليهما السلام» بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

الإبتداع الغبي:

وقالوا عن سنة ٣٨٩ هـ: «وفيها أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، فيما يزعمونه، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنّة؛ فادعوا: أنّه في مثل هذا اليوم حصر النبي «صلى الله عليه وآله» وأبو بكر في الغار، فامتنعوا من ذلك»[٢].

---

(١) مسند أحمد ج٢ ص١٨٩ وسنن النسائي ج٤ ص٢١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٢٩٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٣١.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج١١ ص٣٢٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١١ ص٣٧٣ والمنتظم ج٧ ص٢٠٦ وشذرات الذهب ج٣ ص١٣٠ والخطط =

واستمر أهل السنّة يعملون هذا العيد المزعوم دهراً طويلاً. وقد أظهروا فيه الزينة، ونصب القباب، وإيقاد النيران الخ..(١).

ونقول:

١ ـ إن الشيعة لم يبتدعوا هذا الأمر من عند أنفسهم، وإنما عملوا بقناعاتهم، وبما ثبت لديهم أنه من الدين، فهل الذي يعمل بقناعاته الإيمانية، التي يستند فيها إلى الدليل والبرهان القاطع يعتبر جاهلاً؟!..

٢ ـ وهل يصح مساواة من يعمل بما ثبت لديه بالدليل بالذي يعتدي عليه من غير حق، وبدون وجه شرعي، وإنما لمجرد البغي عليه، والتجبر فيه، والتحكم به، انطلاقاً من العصبية والهوى؟!

٣ ـ وإذا كان هذا الرجل قد اعترف بأن المعتدين على الشيعة جهلة من حيث إن هؤلاء المعتدين هم أهل نحلته، وهو أعرف الناس بهم، فمن أين علم أن الآخرين جهلة أيضاً، ولماذا يتهمهم بما لا يحق له اتهامهم به؟!

٤ ـ ولماذا لا يردع عقلاء أهل السنة جهلاءهم المعتدين عن عدوانهم؟!

= المقريزية ج١ ص٣٨٩ والكامل في التاريخ ج٩ ص١٥٥ وذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ ونهاية الإرب ج١ ص١٨٥.

(١) راجع: البداية والنهاية ج١١ ص٣٢٥ ـ ٣٢٦ وشذرات الذهب ج٣ ص١٣٠ والمنتظم ج٧ ص٢٠٦ والكامل في التاريخ ج٩ ص١٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٣٨٠ ـ ٤٠٠هـ) ص٢٥ وعن تاريخ كزيده ص١٤٨ وذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع ج٣ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

٥ ـ وما هو المبرر لاختراع عيد جديد لم نجد من علمائهم أية إدانة له، أو اعتراض عليه، رغم اعترافه بأنه بدعة، والبدعة لا يصح ترويجها، ورغم أنهم حنابلة يتشددون في مثل هذا الأمر إلى حد تكفير فاعله ولا سيما إذا أصر عليه؟! ولا أقل من أنهم يرون ذلك خروجاً عن حدود الشرع والدين، فلا بد لهم من النهي عن المنكر..

فكيف إذا استمر هذا العيد بينهم دهراً طويلاً، كما صرحوا به أنفسهم، دونما مانع أو رادع؟!

٦ ـ واللافت هنا: أن علماءهم ينسبون هذا العيد إلى العوام، ويتحاشون التعبير بكلمة عيد، وينأون بأنفسهم عن توصيفه بالبدعة، فيقولون: عمل عوام السنة يوم سرور، وكأن الأسماء تغير الواقع وتلغيه.

ولكن ما أسرعهم إلى وصم الآخرين الذين يخالفونهم في الإجتهاد والرأي ـ ولو كانوا من أهل السنة بالكفر ـ والشرك، وما إلى ذلك، لأتفه الأسباب، وأوهى العلل..

٧ ـ والأدهى من ذلك كله.. : أن عيدهم هذا قد ارتكز على تزوير عظيم وظالم، لتاريخٍ بريء من هذا الأمر، براءة الذئب من دم يوسف، ولا علاقة له بموضوع الغدير والإمامة والبيعة، حيث الزموا أنفسهم بأن يجعلوا يوم الثامن عشر من ذي الحجة هو عيد الهجرة المرتبطة بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وحصره بالغار! في حين أن الأمة بأسرها مجمعة على أن ذلك قد حصل في شهر ربيع الأول..

فلماذا لم يلفت علماؤهم نظرهم إلى هذا الخطأ الفادح والمعيب؟!

وإن كان علماؤهم يوافقونهم على ذلك، ولم يلتفتوا إلى هذا الخطأ فعلى الإسلام السلام..

٨ ـ على أننا لا ندري لماذا اعتبروا يوم حصر النبي «صلى الله عليه وآله» في الغار يوم سرور وفرح؟! ولم لا يكون سائر ما جرى على النبي أعياداً، وايام فرح وسرور؟! مثل يوم قلع باب خيبر، ويوم فتح مكة، ويوم قتل عمرو بن عبد ود، وسائر أيام النصر أعياداً..

٩ ـ إذا كان حصر النبي في الغار من موجبات السرور والفرح عند هؤلاء، فهل لنا أن نتوقع أن يتخذوا يوم وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم عيد أيضاً؟!.. تماماً كما اعتبروا يوم عاشوراء يوم توسعة على العيال، ولبس الجديد، وما إلى ذلك؟!

الفصل الخامس:

حديث الغدير: ثابت.. ومتواتر..

المنكرون والمشككون....:

هناك من حاول الطعن في سند حديث الغدير، ولكن بصورة عشوائية وأهوائية، وهم إما لم يقدموا أي دليل على رفضهم لهذا الحديث، أو قدموا دليلاً، لا أساس له من الصحة.. فلاحظ ما يلي:

١ ـ زعم التفتازاني: أن أكثر الذين تنسب إليهم رواية حديث الغدير لم يرووه على الحقيقة[١].

وهذا تحكم غير مقبول، ودعوى بلا دليل، ولا مبرر له من الناحية العلمية..

٢ ـ زعم ابن تيمية: أنه لا ريب في كذب هذا الحديث[٢].

وهذا كسابقه، من حيث إنه محض دعوى لم يقدم دليلاً عليها، ولو جاز رد الأحاديث بهذه الطريقة لبطل الدين، ومحقت شريعة سيد المرسلين..

كما أنه لو جاز رد الأحاديث التي لها هذه الأسانيد الصحيحة والمتواترة كما سنرى، فإنه لا يمكن إثبات أية حقيقة على الإطلاق..

---

(١) شرح المقاصد ج٥ ص٢٧٤.

(٢) منهاج السنة ج٤ ص٨٥.

٣ ـ وثمة من طعن في حديث الغدير، واعترف بصحة الدعاء: وهو قوله «صلى الله عليه وآله»: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وقال: لم يخرِّج غير أحمد إلا الجزء الأخير من قوله: «اللهم وال من والاه إلخ..»(١).

وهذا الكلام أيضاً تحكم باطل.. وأدنى مراجعة للمصادر تظهر ذلك، على أن نفس هذا الدعاء الذي اعترف بصحته كاف في إثبات إمامته «عليه السلام».. فإن من يكون كذلك هو الذي يصلح لمقام الإمامة، بل يكون هو الإمام دون سواه، ولا سيما قوله «صلى الله عليه وآله»: وانصر من نصره، واخذل من خذله..

٤ ـ وثمة من يقول: «لم يروه علماؤنا»(٢)، ويقول: «لا يصح من طريق الثقات»(٣).

وهذا كذب صراح، فإن المصادر التي تقدمت تكفي في إثبات زيفه..

٥ ـ ومثله قول بعضهم: «لم يذكره الثقات من المحدثين»(٤) إذا ما أكثر الثقات الذين رووه وذكروه..

---

(١) الغدير ج١ ص٣١٥ عن نجاة المؤمن لمحمد محسن الكشميري.

(٢) الغدير ج١ ص٣١٥ عن ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة.

(٣) الغدير ج١ ص٣١٥ والفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ ص١٤٨ وعنه في منهاج السنة ج٤ ص٨٦.

(٤) الغدير ج١ ص٣١٦ عن السهام الثاقبة لسبط ميرزا مخدوم بن عبد الباقي.

٦ ـ وهناك من يزعم: أنه لم يخرجه إلا أحمد في مسنده[١].

وكل ذلك تحكم جائر، وتمحل غبي، يظهر عواره للعيان، حتى للعميان، فضلاً عن العوران والحولان..

مصادر حديث الغدير:

قد جمع العلامة الأميني في كتابه القيم «الغدير» طائفة كبيرة من مصادر حديث الغدير، ولكنه لم يستطع أن يستقصيها كلها أو أكثرها، ويمكن الإستدراك عليه بمثل ما جمعه أو يزيد.

وقد ألف الكثيرون في مصادر هذا الحديث وطرقه، وأسانيده ـ كما سيمر معنا ـ وكثير من رواياته هي في عداد الصحاح والحسان..

علماً بأن هذا الحديث متواتر بلا ريب، وتواتره يغني عن النظر في أسانيده، فلا عبرة بعدها بتضعيف بعض ما لا خبرة له..

طرق حديث الغدير:

قال العلامة الأميني «رحمه الله»: «رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وفي تعليق هداية العقول ج٢ ص٣٠ عن الأمير محمد اليمني (أحد شعراء

---

(١) الغدير ج١ ص٣١٥ عن نجاة المؤمن لمحمد محسن الكشميري.

الغدير في القرن الثاني عشر): إن له مائة وخمسين طريقاً»[١]. وكذا في طبق الحلوى، عن السيد محمد إبراهيم.

وأنهاها أبو العلاء العطار إلى مائتين وخمسين طريقاً[٢].

وجمع الدارقطني الحافظ طرقه في جزء[٣].

وجمع الحافظ ابن عقدة الكوفي كتاباً مفرداً فيه الخ..[٤]. عن سبعين صحابياً وأكثر[٥].

وقال العسقلاني في فتح الباري: «وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها

---

(١) الغدير ج١ هامش ص١٤ وذكر تفاصيل ذلك ص١٥٢ ـ ١٥٨.

(٢) الغدير ج١ هامش ص٣٠٢ و ١٥٨ عن القول الفصل ج١ ص٤٤٥ للعلوي الهدار الحداد، ونهج الإيمان لابن جبر ص١٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٦٧٨.

(٣) الغدير ج١ ص١٥٤ و ٢٩٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٥٠ عن كفاية الطالب ص٦٠.

(٤) كفاية الطالب ص٥٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٠٢ والغدير ج١ ص٢٩٧ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٣٩.

(٥) تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٣٩ و (ط دار الفكر) ج٧ ص٢٩٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٣ والغدير ج١ ص١٥٣ و ٢٩٩ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٨٩.

ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»(١).

وقال العاصمي: «هذا حديث تلقته الأمة بالقبول، وهو موافق بالأصول»(٢).

وقال ابن عبد البر عن حديث المؤاخاة، وحديثي الراية والغدير: «وهذه كلها آثار ثابتة»(٣).

وقال ابن المغازلي عن هذا الحديث: «وقد رواه نحو مائة نفس، منهم العشرة المبشرة، وهو حديث ثابت، لا أعرف له علة»(٤).

---

(١) الغدير ج١ ص١٥٣ و ٣٩٩ و ٣٠٤ و ٣١٠ وفتح الباري ج٧ ص٦١ والمواهب اللدنية ج٣ ص٣٦٥ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ ووسيلة المآل ص١١٧ و ١١٨ ونزل الأبرار ص٥٤ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٩٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١١ و ٢١٦ وينابيع المودة ج٢ ص٣٦٩ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٥.

(٢) الغدير ج١ ص٢٩٥ عن زين الفتى.

(٣) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٣٧٣ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٠٩٩ والغدير ج١ ص٢٩٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» ص٤٤.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٧ والعمدة ص١٠٨ والطرائف ص١٤٢ والصراط المستقيم ج١ ص٣٠٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٢١ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٨٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٩ وج٩ ص١٦ والغدير ج١ ص٢٩٥ و ٣١٥ ونهج الإيمان ص١٢٢.

وفي سر العالمين: «أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خم، باتفاق الجميع»(١).

وفي المناقب لابن الجوزي: «اتفق علماء السير»(٢).

وقال السمناني: «هذا حديث متفق على صحته»(٣).

وقال الذهبي: «صدر الحديث متواتر، أتيقن أن رسول الله قاله «صلى الله عليه وآله» قاله، وأما «اللهم وال من والاه..» فزيادة قوية الإسناد»(٤).

كما أن شمس الدين الجزري روى حديث الغدير من ثمانين طريقاً، وأفرد في إثبات تواتره رسالته المسماة بـ (أسنى المطالب).

---

(١) سر العالمين ص٢١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٨٤ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢٥١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص١٨٦ والغدير ج١ ص٢٧٦ و ٢٩٦ و ٣٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج٣٧ ص١٥٠ وج١٠٩ ص١٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٥٠ وج٩ ص١٩٥ والغدير ج١ ص٢٩٦ و ٣٩٢ والعدد القوية ص١٨٣.

(٣) العروة لأهل الخلوة ص٤٢٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٣١٤ و ٣١٥ والغدير ج١ ص٢٩٧ و ٣٩٦.

(٤) البداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص٣٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢٦ وراجع: الغدير ج١ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ و (ط مركز الغدير للدراسات) ج١ ص١٣٢ و ١٣٣ وراجع: روح المعاني ج٦ ص١٩٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٨٢.

وقال بعد ذكر مناشدة أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم الرحبة: «هذا حديث حسن من هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»..»[١].

رواة حديث الغدير:

وتابع الأميني «رحمه الله»: ولا شك في أن هذا الحديث متواتر أيضاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»، رواه الجم الغفير عن الجم الغفير. والروايات الصحاح والحسان كثيرة فيه، رغم أن تواتر الحديث يغني عن النظر في الأسانيد، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا اطِّلاع ولا بصيرة له في هذا العلم، فقد ورد مرفوعاً ـ كما قالوا ـ عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطلب، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وحبشي بن جنادة، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأسعد بن زرارة، وخزيمة بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وسهل بن حنيف، وحذيفة بن اليمان، وسمرة بن جندب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) الغدير ج١ ص٢٩٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨٦ و ١٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢١ ص١٠٢.

وصحح عن جماعة منهم ممن يحصل القطع بخبرهم(١).

وقد أحصى العلامة الأميني رواية مائة وعشرة من الصحابة لهذا الحديث، وربما يمكن إضافة عدد وافر آخر إليهم بالإستفادة من الجهاز الآلي (الكمبيوتر)، تبعاً لازدياد المصادر التي تضاف إلى ذاكرته.

تواتر حديث الغدير:

تقدم معنا ما دل على تواتر حديث الغدير، ونزيد هنا قول جمال الدين الحسيني الشيرازي: أصل هذا الحديث ـ سوى قصة الحارث(٢) ـ تواتر عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو متواتر عن النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً، ورواه جمع كثير، وجم غفير من الصحابة(٣).

وعن السيوطي أيضاً: إنه حديث متواتر(٤).

---

(١) الغدير ج١ ص٢٩٨ و ٢٩٩ وأسنى المطالب ص٤٧ و ٤٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢١ ص١٠٣.

(٢) أي التي نزلت آيات سورة المعارج بسببها.

(٣) الغدير ج١ ص٣٠١ و ٣٠٢ عن الأربعين للشيرازي، وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٨ وج٨ ص٢٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٩٤.

(٤) فيض القدير ج٦ ص٢١٨ وقطف الأزهار ص٢٧٧ والبيان والتعريف ج٣ ص٧٥ و ٢٣٣ والغدير ج١ ص٣٠٠ و ٣٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٩١.

وعده المقبلي أيضاً في جملة الأحاديث المتواترة، والمفيدة للعلم(١).

وقال محمد الصنعاني: حديث الغدير متواتر عند أكثر أئمة الحديث(٢).

وعده العمادي الحنفي من المتواترات(٣).

وراجع كتاب تشنيف الآذان ص٧٧، فإنه حكم بتواتره وذكر طائفة من طرقه أيضاً.

الرازي.. والأربع مئة طريق:

يقول الرازي: «ظفرت بأربع مئة طريق إلى حديث الغدير، ومع ذلك لم يؤثر صحته في قلبي»(٤).

وللرازي مكانته المرموقة بين علماء أهل السنة، وهو هنا كما ترى يصرح بأنه ينقاد لدواعي الهوى والتعصب، وهذا تصريح خطير منه، نكل أمر الحكم عليه إلى ضمير القارئ، ليعرف مع من نتعامل، وبمن ابتلي علي

---

(١) الغدير ج١ ص٣٠٦ عن كتاب الأبحاث المسددة في الفنون المتعددة، وعن هداية العقول إلى غاية السؤول ج٢ ص٣٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٣.

(٢) الروضة الندية ص١٥٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٨ والغدير ج١ ص٣٠٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٩٦.

(٣) الصلات الفاخرة ص٤٩ والغدير ج١ ص٣١٠.

(٤) رسالة في الإمامة للشيخ عباسي نجل الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة ص٩٨.

أمير المؤمنين «عليه السلام»، وماذا يمكن أن يكون قد جرى لكثير من الحقائق المرتبطة به «عليه السلام» التي لم توفق إلى أربع مئة طريق من الأسانيد؟! وهل بلغتنا؟! وإن كانت قد بلغتنا، فهل وصلت سليمة عن التحريف والتزييف، والتقليم والتطعيم؟!..

وإذا كان هذا هو حال علماء السلف القريب، فكيف كان حال سلف الرازي نفسه، والذين ذاقوا أو ذاق آباؤهم وإخوانهم طعم سيف علي «عليه السلام»، وواجهوا صلابته في دينه «عليه السلام»؟!

هذا مع العلم بأن الرازي يتهم بالتشيع أيضاً.. فاضحك بعد هذا، أو فابك، ما بدا لك..

ما أصعب أن يتواتر حديث الغدير!:

وكلنا يعلم مدى شراسة أعداء علي «عليه السلام»، ولا سيما الأمويين والعباسيين، وغيرهم ممن جاء بعدهم، وإلى يومنا هذا تجاه كل من يروي فضيلة لعلي «عليه السلام» مهما كانت، ومدى الأخطار التي يواجهها العلماء في هذا المجال، حيث يتعرضون لمختلف أنواع الأذى، وأهونها تشويه السمعة، والإهانات والضرب والزج بالسجون، وقطع الأرزاق، إن لم يمكنهم قطع الأعناق..

هذا فضلاً عن أن الكثيرين من حملة الحديث كانت الأحقاد والضغائن تصدهم عن رواية أي شيء يتعلق بعلي «عليه السلام»، فهل يروون له حديث الغدير الذي يدينهم في اعتقادهم، ويسقط حجتهم؟!..

من أجل ذلك نقول:

إن تواتر هذا الأمر الذي يحاربه الأكثرون، ويعاقَبُ من يرويه بأشد ما يكون. لا يحتاج إلى كل هذا العدد الهائل، بل يكفي لإثباته، وظهور تواتره خمس هذا العدد، أو أقل من ذلك، ما دام أن الراوي له إنما يحمل دمه على كفه، ويخاطر بروحه ونفسه، ويسير إلى حتفه بظلفه..

وقد قال ابن قتيبة عن تعصب أهل السنة على علي «عليه السلام» ما يلي:

«وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله «عليه السلام»، أو يظهروا ما يجب له.. وأهملوا من ذَكَرَه، أو روى حديثاً من فضائله، حتى تحامى كثير من المحدثين ثوابها، وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص، ومعاوية! كأنهم لا يريدونهما بذلك. بل يريدونه.

فإن قال قائل: أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي، وأبو سبطيه الحسن والحسين، وأصحاب الكساء: علي، وفاطمة، والحسن والحسين، تمعَّرت الوجوه، وتنكرت العيون، وطرَّت حسائك الصدور.

وإن ذكر ذاكر قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، و «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» واشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج ليتنقصوه ويبخسوه حقه». انتهى[1].

---

(١) الإختلاف في اللفظ (ط دار القدسي بمصر سنة ١٣٤٩ هـ) ص٤٧ وفتح الملك العلي لأحمد بن الصديق المغربي ص١٥٤ ودفع الإرتياب عن حديث الباب لعلي بن محمد العلوي ص٣٣.

أسباب إنكارهم التواتر:

ولأن الشيعة يقولون: لا بد في الأمور الإعتقادية الأساسية، ومنها الإمامة من الثبوت بالدليل القطعي، من العقل، أو النقل، فلا يكفي خبر الواحد.. فقد سعى بعض الناس إلى إنكار تواتر حديث الغدير، زعماً منهم أنهم بذلك يسقطون هذا الحديث عن صلاحية الإستدلال به..

وقد غفلوا عن أن المتواتر عند بعض علماء أهل السنة: هو الذي يرويه ثمانية من الصحابة[1]، أو أربعة منهم[2]، أو خمسة[3]، بل إن هذا المدعي نفسه يجزم بتواتر حديث الأئمة من قريش، وقد رواه عندهم ثلاثة أشخاص فقط، هم: أنس، وابن عمر، ومعاوية، وروى معناه ثلاثة آخرون هم: جابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وعبادة بن الصامت[4].

ومنهم من يحكم بتواتر حديث روي باثنتي عشرة طريقاً[5]، وجوَّد

(١) الصواعق المحرقة ص٢٣ والغدير ج١ ص٣٢١ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٣٥.

(٢) المحلى لابن حزم ج٢ ص١٣٥ وج٧ ص٥١٢ وج٨ ص٤٥٣ وج٩ ص٧ والغدير ج١ ص٣٢١ والفصول في الأصول للجصاص ج٣ ص٥١ وفيض القدير ج١ ص٦٤٩.

(٣) المنخول للغزالي ص٣٢٩.

(٤) الفصل لابن حزم ج٤ ص٨٩.

(٥) البداية والنهاية ج٧ ص٢٨٩ ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص١٦.

السيوطي قول من حدد التواتر بعشرة[١].

فكيف إذا كان الحديث مروياً بمئات الطرق ذكر منها بعضهم مائة وخمسين، وبعضهم الآخر مائتين وخمسين طريقاً عن أكثر من مائة وعشرة من الصحابة؟! والرازي يقول: «ظفرت بأربع مئة طريق إلى حديث الغدير..».

أما أحمد أمين، فقد فضح نفسه، حين قال: إن الشيعة يروون حديث الغدير عن البراء بن عازب.. فاقرأ واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً!

الغدير لم يخرِّجه الشيخان:

وطعن بعضهم في حديث الغدير: بأن البخاري ومسلم لم يخرِجاه[٢].

بل قال بعضهم: إن أحداً من أصحاب الصحاح لم يخرجه[٣].

مع أن الترمذي قد أخرجه في صحيحه، وكذلك ابن ماجة في سننه، فضلاً عمن عداهم، مثل الضياء في المختارة وغيره.

وعدم إخراج الشيخين له إنما يوجب الطعن بهما، من حيث إنه يشير

---

(١) ألفية السيوطي في علم الحديث ص٤٤ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٣٢ ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٨.

(٢) شرح المقاصد للتفتازاني ج٥ ص٢٧٤ والمواقف لعضد الدين الأيجي ص٤٠٥ والغدير ج١ ص٣١٦.

(٣) الغدير ج١ ص٣١٧ عن مرافض الروافض للسهارنپوري.

إلى تعصبهما، ومجانبتهما سبيل الإنصاف، واتباعهما طريق الإعتساف..

على أن هناك آلافاً من الأحاديث التي لم يخرجها الشيخان، فراجع المستدرك للحاكم، وتلخيصه للذهبي، فضلاً عن مستدركات أخرى ذكرها آخرون، فهل يرضى هؤلاء بإهمالها، أو بطمسها؟!

المؤلفات في حديث الغدير:

وقد أشار العلامة الأميني «رحمه الله» إلى طائفة من المؤلفات في حديث الغدير بلغت ستة وعشرين مؤلفاً.

كما أن للعلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي «رحمه الله» كتاباً بعنوان: «الغدير في التراث الإسلامي» صدر عن دار المؤرخ العربي في بيروت سنة ١٤١٤ هـ. أشار فيه إلى الكثير مما لم يذكره العلامة الأميني «رحمه الله».

وقد حكي عن الجويني الملقب بإمام الحرمين، وهو أستاذ الغزالي: أنه كان يتعجب ويقول: «رأيت مجلداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم، مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون»[(١)].

---

(١) بحار الأنوار ج٣٧ ص٢٣٦ والغدير ج١ ص١٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٤٥ وقاموس الرجال ج١١ ص٥١٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٣٤ وينابيع المودة ج١ ص١١٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٩٢.

وقال الذهبي: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير، فاندهشت له، ولكثرة تلك الطرق[١].

ثم إن أكثر من حضر يوم الغدير كان من أعراب البوادي، الذين ذهبوا وذهب ما عندهم، ولم ينقل شيء عنهم إلى غيرهم إلا ما شذ..

---

(١) تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧١٣ ومشكل الآثار ج٢ ص٣٠٨ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ والمعتصر من المختصر ج٢ ص٣٠١ والمرقاة في شرح المشكاة ج١٠ ص٤٧٦ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٤٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٩ والغدير ج١ ص١٥٢ و ٣٠٧ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد الرحماني ص٨٠٨ وفتح الملك العلي لابن الصديق المغربي ص١٥.

الفصل السادس:

خطبة الغدير: حدث.. ودلالة..

قبل أن يبدأ النبي صلى الله عليه وآله خطبته:

بعد ما جرى في عرفات، وإلى أن بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» غدير خم، خطب الناس مرات عديدة وجرت أحداث لها العديد من الإشارات والدلالات، ونذكر من ذلك:

ألف: إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين خطب بمنى اسمع الله الناس كلهم صوته، لتكون هذه المعجزة تذكيراً للناس بالهيمنة والتصرف الإلهي، لكي لا يظنوا أن ما جرى في عرفة دليل على قوة أولئك المتجرئين وضعف في النبي «صلى الله عليه وآله».. ولكي يعرفوا أن الله تعالى لم يعاملهم بعدله، وإنما عاملهم بحِلمه..

أي أنه إنما سكت عنهم رحمة بهم، وتكرماً وتفضلاً عليهم، وذلك يزيد في ظهور قبح عملهم، ولا بد أن يؤكد سر النبوة، ونبل وخلق الأصفياء، والأطياب من أهل الله تبارك وتعالى..

ب : ثم كانت مبادرته «صلى الله عليه وآله» للخروج من مكة بمجرد نفره من منى، فلم يطف بالبيت، ولم يدخل المسجد الحرام أصلاً، ولو لإلقاء نظرة الوداع على أحب الأمكنة إليه..

ج : ثم قطع المسافة بين مكة والجحفة، ثم غدير خم في مدة أربعة أيام،

مع أن عائشة بذلت محاولة لإعاقته «صلى الله عليه وآله» عن مقصده هذا، حيث أصرت عليه أن يعمرها عمرة مفردة، فأخبرها بأن طوافها بالبيت، وبالصفا والمروة قد أجزأ عن حجها وعمرتها، فأبت إلا أن تعتمر، فأرسلها مع أخيها إلى التنعيم لتعتمر منه، وواعدها أن تلقاه في مكان كذا وكذا..[1].

د: إن حبس النبي «صلى الله عليه وآله» المتقدمين في غدير خم، وانتظاره المتأخرين قد عرَّف الناس أن ثمة أمراً يريده النبي «صلى الله عليه وآله» منهم، حيث إنه لم يفعل ذلك إلا هذه المرة.. فهو لم يتركهم يجتمعون في بعض المنازل، ثم يقوم فيهم خطيباً، بصورة مفاجئة، لأنهم قد يتلقَّون ذلك على أنه أمر عادي من نبي يريد ان يعظ قومه، وأن ينصحهم، فلا يهتمون بالإصغاء إليه، وقد يخطر على بال بعضهم أن يذهب للإستراحة، أو

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٤ وراجع: نيل الأوطار ج٥ ص٥٩ ومسند أحمد ج٦ ص١٢٢ و ٤٣ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص١٥١ و ١٩٦ و ٢٠١ و ٢٠٢ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٤ ص٣٢ و ٣٣ وسنن النسائي ج٥ ص١٧٨ وعمدة القاري ج٩ ص١٩٥ وج١٠ ص٩٨ و ١٢٣ و ١٢٥ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٨٦٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٦٦ و ٤٧٤ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وتغليق التعليق ج٣ ص١١٤ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٣٩ وسبل السلام ج٢ ص١٨٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٣١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٢٣١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٨٩.

لأي حاجة أخرى.

كما أن الكثيرين منهم قد لا يبلغهم أن النبي «صلى الله عليه وآله» يريد أن يخطبهم، أو لا يبلغه خبر ذلك إلا بعد أن ينتهي الأمر، ولعل أحداً لا يعرف بما جرى أصلاً.

وخلاصة الأمر: إن هذا التصرف منه «صلى الله عليه وآله» لا بد أن يثير فيهم الرغبة للتدقيق فيما يجري، وسيجعلهم ذلك أشد انتباهاً وتيقظاً، وسعياً لتحليل الحدث وفهم معانيه ومراميه.. وستفقد سائر الصوارف قدرتها على التأثير في درجة اهتمامهم به..

هـ: ومما يضاعف شعورهم بخطورة وأهمية الحدث الذي ينتظرونه: أن هذا الإجراء قد جاء في حر الهاجرة، التي يصفها زيد بن أرقم بقوله: «ما أتى علينا يوم كان أشد حراً منه»[١] مع أنه «صلى الله عليه وآله» أرأف الناس بالناس، وأشدهم عطفاً عليهم، وقد وصفه الله بقوله: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾[٢]، أي يعز عليه أدنى تعب ينالكم مهما كان قليلاً وضئيلاً..

و: ويتأكد ما ذكرناه: أنه «صلى الله عليه وآله» منعهم من النزول تحت

---

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص٥٣٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٤٨ وج٩ ص٨٣ والغدير ج١ ص٣٢ والمعجم الكبير ج٥ ص١٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٤٣٨ وج١٨ ص٢٧١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٤٠ وراجع: شرح الأخبار ج١ ص٩٩ .

(٢) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

دوحات خمس كانت هناك، وهي دوحات عظام متقاربات، وقد أمر بإزالة الشوك، وتمهيد المكان هناك..

وهذا يدل على أن عليهم أن ينتظروا حدثاً من نوعٍ مّا عند تلك الشجرات، ولا بد أن تبقى تلك الشجرات وما حدث عندها ماثلة في عمق وجدان وذاكرة الناس كل الناس..

حيث إنه في ذلك المكان بالذات نودي بالصلاة، فعمد «صلى الله عليه وآله» إليهن، فصلى بالناس تحتهن، ثم نصب لهم علياً «عليه السلام» ولياً وإماماً(١).

علي عليه السلام في السحاب:

وعن علي «عليه السلام» أنه قال: عممني رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم غدير خم بعمامة، فسدلها خلفي (أو فسدل طرفها على منكبي)، ثم قال: «إن الله أمدَّني (أيدني) يوم بدر وحنين بملائكة يعتمّون هذه العمة».

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص٢٤١ والغدير ج١ ص١٠ و ٢٦ و ٢٧ عن مصادر كثيرة أخرى، والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٩ وج٧ ص٣٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٢٦ والصواعق المحرقة ص٤٣. وراجع: كتاب الأربعين للماحوزي ص١٣٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٥٥ و ١٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤٢ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٣ وغاية المرام ج١ ص٢٩٩ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص١٤٧.

وقال: «إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان»[١].

وعن ابن شاذان في مشيخته عن علي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» عممه بيده، فذنب العمامة من ورائه، ومن بين يديه، ثم قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أدبر.

فأدبر.

ثم قال له: أقبل.

فأقبل.

وأقبل على أصحابه، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: هكذا تكون تيجان الملائكة[٢].

---

(١) مسند أبي داود ص٢٣ وكنز العمال ج١٥ ص٣٠٦ و ٤٨٢ و ٤٨٣ والسمط المجيد ص٩٩ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٢ وفرائد السمطين ج١ ص٧٥ و ٧٦ وعن ابن أبي شيبة، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج١ ص٣٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٤ والرياض النضرة ج٣ ص١٧٠ والغدير ج١ ص٢٩١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٢٣٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٠ وشرح الأخبار ج١ ص٣٢١ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤١ وعن الصراط السوي.

(٢) الغدير ج١ ص٢٩١ وفرائد السمطين ج١ ص٧٦ ونظم درر السمطين ص١١٢ وكنز العمال ج١٥ ص٤٨٤ وراجع: وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٥٦ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٣٧٧. =

والعمامة التي عممه بها تسمى السحاب[١].

وقال ابن الأثير: «كان اسم عمامة النبي «صلى الله عليه وآله» السحاب»[٢].

قال الملطي: «قولهم ـ يعني الروافض ـ: علي في السحاب. فإنما ذلك قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي: أقبل، وهو معتم بعمامة للنبي «صلى الله عليه وآله» كانت تدعى «السحاب».

فقال «صلى الله عليه وآله»: قد أقبل علي في السحاب، يعني في تلك العمامة التي تسمى «السحاب»، فتأولوه هؤلاء على غير تأويله»[٣].

وقال الغزالي والحلبي والشعراني: «وكانت له عمامة تسمى السحاب،

= وراجع: كشف اللثام (ط.ج) ج٣ ص٢٦٣ والحدائق الناضرة ج٧ ص١٢٧ والكافي ج٦ ص٤٦١ وجواهر الكلام ج٨ ص٢٤٧ وغنائم الأيام ج٢ ص٣٥٣ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٩ وج٨٠ ص١٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٧٤٧ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص١٢٠ ورياض المسائل ج٣ ص٢١٣.

(١) الفردوس ج٣ ص٨٧ وفرائد السمطين ج١ ص٧٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٢٣٦ والغدير ج١ ص٢٩٠ و ٢٩١.

(٢) النهاية في اللغة ج٢ ص٣٤٥ وراجع: بحار الأنوار ج١٠ ص٥ وج١٦ ص٩٧ و ١٢١ و ١٢٦ وج٣٠ ص٩٤ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص٧١ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢٧١ ولسان العرب ج١ ص٤٦١ وتاج العروس ج٢ ص٦٨.

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص١٩ والغدير ج١ ص٢٩٢.

فوهبها من علي، فربما طلع علي فيها، فيقول «صلى الله عليه وآله»: طلع علي في السحاب»(١).

قال الزبيدي: «ومن المجاز: عُمِّمَ ـ بالضم ـ أي سُوِّد، لأن تيجان العرب العمائم، فكلما قيل في العجم: توج، من التاج قيل في العرب: عمم.. وكانوا إذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء، وكانت الفُرْسُ تتوج ملوكها، فيقال له: المتوج..»(٢).

وقال: «والعرب تسمي العمائم التاج، وفي الحديث: «العمائم تيجان العرب» جمع تاج، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر، أراد أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك؛ لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس أو بالقلانس، والعمائم فيهم قليلة.. والأكاليل: تيجان

---

(١) إحياء علوم الدين ج٢ ص٣٤٥ والبحر الزخار ج١ ص٢١٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤١ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٥٢ والغدير ج١ ص٢٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٥٦٣ و ٥٦٤ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص ٢٨٣ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٥٩ وبحار الأنوار ج١٦ ص٢٥٠ وج٣٨ ص٢٩٧ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٤٩٩ وج٧ ص٣٨٠ وسنن النبي للطباطبائي ص١٧٤ وتفسير الميزان ج٦ ص٣١٩.

(٢) تاج العروس ج٨ ص٤١٠ و (ط دار الفكر) ج١٧ ص٥٠٦ والغدير ج١ ص٢٩٠ وراجع: لسان العرب ج١٧ ص٥٠٦.

ملوك العجم. وتوّجه: أي سوّده، وعممه»(١).

وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «العمائم تيجان العرب»(٢).

ونقول:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» مازج بين حركة الواقع، وبين رمزه المشير إليه، الأمر الذي يجعل الإنسان يعيش الشعور التمثلي الرابط بين الواقع وبين الرمز بصورة واقعية..

٢ ـ من أجل ذلك نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» اسبغ على علي «عليه السلام» مقام الرئاسة والسيادة بإعلانه إمامته من بعده، ثم عممه بيده، ولم يطلب منه أن يلبس العمامة، وذلك لتتوافق هذه الحركة العملية الواقعية مع مضمون الموقف النبوي القاضي بنصبه «عليه السلام» من قبل الله تعالى..

وكأنه «صلى الله عليه وآله» يريد للناس أن يربطوا بأنفسهم بين هذه الحركة

---

(١) تاج العروس ج٢ ص١٢ و (ط دار الفكر) ج٣ ص٣٠٥ والغدير ج١ ص٢٩٠ ولسان العرب ج٢ ص٢١٩.

(٢) راجع بالإضافة إلى تاج العروس ج٢ ص١٢: الجامع الصغير ج٢ ص١٩٣ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص١٩٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٥٦ و ٥٧ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٣٧٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص١١٩ وأدب الإملاء والإستملاء للسمعاني ص٣٩ ومسند الشهاب لابن سلامة ج١ ص٧٥ والغدير ج١ ص٢٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٧٤٦ ونور الأبصار ص٥٨ والفردوس للديلمي ج٣ ص٨٧ حديث رقم ٤٢٤٦.

الرمز ـ وهي أنه عممه بيده ـ وبين إنشاء الحاكمية له، لتصبح هذه الحركة بمثابة إنشاء عملي آخر منه «صلى الله عليه وآله».. والعمائم تيجان العرب..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يتوِّجه «عليه السلام» بأية عمامة كانت، بل توجه بعمامة تميزت عما سواها، ولها إسم خاص بها، فعرَّف الناس أن العمامة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وذلك ليشير بذلك: أنه إنما يعطيه موقع خلافته، بما له من خصوصية امتاز بها عن كل ما سواه ـ وليفهمهم أنه يريده امتداداً له فيما يمثّله وفيما يوكل إليه من مهام، وبما هو مبلغ لرسالات الله تبارك، وتعالى.

كما أن اسم هذه العمامة «السحاب» ربما يشير إلى رفعة المقام، وصعوبة الوصول إليه من سائر الناس.

٤ ـ ثم هو يتجاوز هذا الفعل التعبيري إلى التصريح القولي، بأنه يقصد بهذا التتويج معنى السيادة والحاكمية، فإن العمائم تيجان..

٥ ـ ثم انتقل إلى ما هو أوضح وأدل، حين أعطى تصرفه هذا مضموناً دينياً عميقاً ومثيراً بإعلانه أن ما فعله بعلي من تتويجه بعمامته لا يشبه لبس غيره من الحكام والأسياد لعمائم السادة، بل هي سيادة خاصة ومقدسة، تمتد قداستها بعمقها الروحي، وبمضمونها الإيماني لترتبط بالسماء.. من حيث أن الملائكة فقط هم الذين يعتمون بهذه العمامة..

٦ ـ ولم يكن فعل الملائكة هذا مجرد ممارسة لأمر يخصهم، ولا كان يريد لعلي أن يتشبه بهم في ذلك، أو أن يكون له شبه بهم، بل هو فعل له امتداداته الواقعية التي ترتبط بفعل جهادي وإيماني تجعل الملائكة يستمدون هذه

الخصوصية من علي نفسه، وذلك حين ذكر أن الملائكة تعتم بهذه العمامة في خصوص بدر وحنين، المتشابهتين في كثير من خصوصياتهما.

وهاتان الواقعتان هما لخصوص علي «عليه السلام»، لأنه هو الذي جاء بالنصر فيهما.. أما غير علي «عليه السلام»، فقد فر في إحداهما، ولم يظهر له أثر إيجابي جهادي في الأخرى..

٧ ـ ثم جاء التصريح بعد التلميح، بأن هذه العمامة هي الحد الفاصل بين تلويثات الشرك، وبين الإيمان الخالص من دنس الشرك، مهما كان خفيفاً وضئيلاً، ولو كان أخفى من دبيب النمل، فإنه مرفوض بمختلف مظاهره وحالاته، ولو بمستوى أن يراود الخاطر، أو يلوث الوجدان أية استجابة لأي نوع من أنواع إيثار شيء من متاع الدنيا.

٨ ـ أما ما نسبه الملطي للروافض، من أنهم قد تأولوا قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «طلع علي في السحاب»، فلعله لا يقصد بالروافض الإمامية الاثني عشرية أعزهم الله تعالى.. فإننا لا نشعر أن لديهم أي تأويل يعاني من أية شائبة تذكر..

أما غيرهم، فإن كان الملطي صادقاً فيما ينسبه لهم، فلسنا مسؤولين عن أفعال وأقوال أهل الزيغ، بل سنكون مع من يناوئهم، ويدفع كيدهم، ويسقط أباطيلهم.

أكثر من خطبة:

ويبدو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد خطب الناس في أيام إقامته في غدير خم أكثر من مرة، فإن النصوص تارة تذكر أنه «صلى الله عليه وآله»

خطبهم في حر الهاجرة، بعد صلاة الظهر.. كما تقدم عن قريب، وتارة تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» خطبهم عشية بعد الصلاة(١).

ويؤيد ذلك أمران:

أحدهما: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بقي في ذلك المكان ثلاثة أيام، واختلاف أوقات الخطب.. في حر الهاجرة بعد صلاة الظهر تارة، وبعد صلاة العشاء أخرى يصبح أمراً طبيعياً..

والثاني: اختلاف نصوص الخطب المنقولة..

وتصرح بعض النصوص: بأنه «صلى الله عليه وآله» كان ينادي بأعلى صوته(٢).

---

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٤٣٧ وج٩ ص٣٢١ وج١٨ ص٢٧٢ وج٢١ ص٤١ وج٢٤ ص١٨٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص١٥٣ وج٧ ص١٠٥ و ٢٦١ و ٣٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٢٤ والغدير ج١ ص٣١ والإكمال في أسماء الرجال ص١١٩.

(٢) راجع: المناقب للخوارزمي ص٩٤ والغدير ج١ ص٢٧٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٥ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٩٨ وغاية المرام ج٢ ص١٠٨ و ٢٤٤ و ٢٥٦ وج٣ ص٣٣٦ وكتاب الغيبة للنعماني ص٧٥ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٧ وراجع ج٢٨ ص٩٨ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٧ وراجع: الكافي ج٨ ص٢٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج١ ص١٨٥ وج٢ ص٤٢ والدرجات الرفيعة ص٢٩٧ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٨٨.

هذا وقد تضمنت خطبته «صلى الله عليه وآله» في ذلك المقام أموراً كثيرة، نود أن نشير إلى بعضها، ضمن ما يلي من عناوين..

الضلال والهدى:

استهل «صلى الله عليه وآله» خطبته يوم الغدير بالحديث عن الهدى والضلال، وكل الناس يحبون ـ ويعتزون بالهدى، وبانتسابهم إليه، حتى لو لم تكن النسبة واقعية، ويربأون بأنفسهم عن الوصف بالضلال حتى لو كانوا من أهل الضلال بالفعل..

فإذا كان المتحدث نبياً، فالكل يحب أن يجد نفسه في عداد الفريق الذي يحبه ذلك النبي..

ولعل الكثيرين منهم قد أشعرتهم هذه البداية بأنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يبين لهم أمراً له مساس بموضوع الهدى والضلال.. وذلك يعني أن كل شخص منهم سيكون معنياً بما سيقوله..

يوشك أن أدعى فأجيب:

وأكد لهم على لزوم التنبه الشديد لما سيقوله لهم، حين ساق كلامه باتجاه مثيرٍ لمشاعر الخوف من المستقبل، الذي لا سبيل إلى معرفته، والرهبة من فقدان ما يرونه ضماناً لهم من كل شر وسوء، وما يشعرون معه بالسكينة والأمان في كل حركة وموقف، حيث قال لهم: «يوشك أن ادعى فأجيب..».

وهذا معناه: أن عليهم أن يهتموا بما سيقوله لهم، لأنه سيكون مفيداً في هدايتهم، وفي حفظهم في خصوص تلك المرحلة المخيفة، وأعني بها مرحلة

ما بعد موته «صلى الله عليه وآله»..

كما أن ذلك يثير لديهم مشاعر الحب والحنان متمازجة مع الشعور بالحزن لموت الحبيب والطبيب.. ألا وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

إني مسؤول، وأنتم مسؤولون:

ثم أكد لهم «صلى الله عليه وآله» شدة حساسية هذا الأمر، الذي يريد أن يثيره أمامهم حين قال: إني مسؤول، وأنتم مسؤولون..، فما أنتم قائلون؟!..

فساوى نفسه بهم في المسؤولية عن هذا الأمر، مما دل على أنه أمر بالغ الخطورة، وأن المسؤولية عنه تلاحقهم، والمطالبة به تنتظرهم، ولا سيما في الآخرة..

ثم أفهمهم «صلى الله عليه وآله» أنه لا يريد أن يفرض عليهم أمراً بعينه، بل ترك الخيار لهم، في أن يقبلوا وأن يرفضوا، ولذلك قال: فما أنتم قائلون؟!..

أي أن المطلوب هنا هو إعطاء العهد والإلتزام، والإستجابة إلى الحق.. فمن نكث بعد ذلك، فإنما ينكث على نفسه..

التذكير بالمنطلقات العقائدية:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» ذكرهم بالركائز العقائدية، والإيمانية، ووضعهم أمام العقل والضمير لكي يكونا هما الحافز لهم لتقبل القرار الرباني، الذي سيثقل عليهم، بسبب هيمنة الأهواء والعصبيات عليهم، لكي تحميهم

تلك الركائز الإعتقادية، وحياة الضمير من طغيان الهوى، وجذبات الغرائز.. وارتكاس الجاهلية.. وحدد لهم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيته مرجعاً لهم في ظلمات الجهالة، وعند حيرة الضلالة..

بماذا.. ولماذا قررهم؟!:

ثم واجههم «صلى الله عليه وآله» بأسئلة تقريرية تفرض عليه التنبه التام، والوعي لكل كلمة ينطق بها، فالسؤال يتطلب الإجابة، والإجابة مسؤولية وقرار، والتزام يحتاج منهم إلى استنطاق كل حرف ينطق به الرسول «صلى الله عليه وآله»، والتعامل معه بجدية تامة وبمسؤولية بالغة.

وستأتي النتيجة بعد ذلك كله في غاية الوضوح، وذات نتائج دقيقة وصادقة بالنسبة لبراءة ذمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مما هو مسؤول عنه، وهو البلاغ التام لما أنزل عليه من ربه..

وبأسلوب التقرير الذي انتهجه معهم، منع أي تأويل، أو ادعاء لوجوهٍ اجتهادية في المعنى، أو اللجوء إلى التنصل بحجة عدم السماع، أو عدم الفهم، أو عدم الإلتفات أو غير ذلك مما يمكِّن ذوي الأغراض من تمييع القضية، أو الإنتقاص من حيويتها، أو من الشعور بأهميتها وخطورتها..

أما مضمون أسئلته التقريرية، فكان هوالأهم، من حيث أنه يدفع بوضوح القضية، وسلامة وصحة الإلتزام منهم أمام الله، وأمام ضمائرهم إلى أقصى مداه، فقد سألهم أولاً ـ بما هم جماعة ـ ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم سألهم عن أولويته بكل فردٍ منهم من نفسه.. ليدلهم بذلك على أن الأمر يعنيهم بما هم جماعة لها شؤونها العامة.. ويعنيهم أيضاً بما هم أفراد

فرداً فرداً، بلحمه ودمه، وبكل وجوده..

ثم سألهم ثالثاً: عن حدود سلطتهم على أنفسهم، ويريد أن يسمع إقرارهم له بأن سلطته وولايته عليهم، وموقعه منهم فوق سلطة وموقعية وولاية حتى أمهاتهم وآبائهم، وحتى أنفسهم على أنفسهم.

وهذا يؤكد لهم: أن القرار الذي يريد أن يتخذه يعنيهم في صميم وجودهم، وينالهم في أخص شؤونهم وحالاتهم.

ولا بد أن يزيد ذلك من اهتمامهم بمعرفة هذا الأمر الخطير، والتعامل معه بإيجابية متناهية.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بسؤالهم عن ذلك لمرة واحدة، بل كرر السؤال عن هذه الأمور الأساسية والحساسة عليهم ثلاث مرات، على سبيل التعميم أولاً، ثم على سبيل التحديد والتشخيص بفرد بعينه أخرى، فقد روي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي. يقول ذلك ثلاث مرات.

ثم قال في الرابعة، وأخذ بيد علي: اللهم من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ـ يقولها ثلاث مرات ـ ألا فليبلغ الشاهد الغائب[١].

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٢٣٧ ـ ٢٤١ وكشف الغمة ج١ ص٤٩ ـ ٥٠ عن الزهري، وينابيع المودة ج١ ص١١٨ ـ ١١٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ =

وفي نص آخر: كرر ذلك أربع مرات[1].

وعن البراء بن عازب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نزل بعد حجته في بعض الطريق، وأمر بالصلاة جامعة، فأخذ بيد علي، فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟!

قالوا: بلى.

قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟!

قالوا: بلى.

= ص٢٢٩ وج٩ ص١٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٤ و ٣٠١ وج٢١ ص٩٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١١٨ وسعد السعود لابن طاووس ص٧١ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٥٦ والغدير ج١ ص١١ و ٣٣ و ١٧٦ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص١٩٩ وغاية المرام ج١ ص٢٩٨ وقاموس الرجال للتستري ج١١ ص٢١٥ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص٦٦ وراجع: الإصابة لابن حجر (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٣٤.

(١) مشكاة المصابيح ج٣ ص٣٦٠ وتذكرة الخواص ص٢٩ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص٥٨٦ وعن مسند أحمد ج٥ ص٤٩٤ وكفاية الطالب ص٢٨٥ وعن ابن عقدة، والغدير ج١ ص١١ و ٣٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٢٥٨ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٤ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥.

قال: فهذا ولي من أنا مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه(١).

وفي نص آخر عن البراء: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى نزلنا غدير خم، بعث منادياً ينادي.

فلما اجتمعنا قال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟!

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: ألست أولى بكم من أمهاتكم؟!

قلنا: بلى يا رسول الله.

---

(١) الطرائف ص١٤٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٦ والعمدة لابن البطريق ص٩٦ و ١٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٣٦ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٥٩ ومسند أحمد ج٤ ص٢٨١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٣ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٤٤٢ وج٢ ص٣٧٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٨٠ و ٨٦ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٤٧ و ٢٩٤ و ٣٠١ و ٣٣٥ وج٨ ص١١٧ و ٢١٨ و ٢٤٧ وج٩ ص٢٦١ والغدير ج١ ص٢٢٠ و ٢٧٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧ و ٢٧٩ ونظم درر السمطين ص١٠٩ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٨٩ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣٢ وبشارة المصطفى ص٢٨٤ والمناقب للخوارزمي ص١٥٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٢٠ وينابيع المودة ج١ ص١٠٢ وج٢ ص٢٨٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٥ و ٢٣٨ وج١٤ ص٣٤ وج٢٠ ص١٧٣ و ٣٥٧ وج٢١ ص٣٤ و ٣٨ و ٣٩ وج٢٣ ص٣٢٥ و ٥٥٤ وج٣٠ ص٤١٨ و ٤١٩.

قال: ألست أولى بكم من آبائكم؟!

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: ألست؟! ألست؟! ألست؟!

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن(١).

التزيين الشيطاني:

وقد بدأ «صلى الله عليه وآله» خطبته بالإستعاذة بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.. باعتبار أن الإنسان قد لا يبادر إلى بعض المعاصي إلا إذا زينها له الشيطان، وأظهرها له على غير واقعها، وقلب له الحقائق، فجعل له

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٣٦٨ و ٤٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٩ و ١٤٦ وج٩ ص٩٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٦١ و ٣٧٦ والغدير (ط مركز الغدير) ج١ ص٥٠ ـ ٥٣ و (ط دار الكتاب العربي) ج١ ص١٩ و ٢٠ متناً وهامشاً عن مصادر كثيرة جداً.

القبيح حسناً، والعكس، ولو بإيهامه أن هذا من مصاديق ذلك العمل الحسن مثلاً قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ..﴾(١).

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾(٢).

وهناك أمور تكون زينتها ظاهرة فيها، من حيث أنها تلاءم نوازع النفس الأمارة، فيتلهي بزينتها عن التدبر في واقعها السيء، ومثال هذا جميع ما يندفع إليه الإنسان بغرائزه وشهواته، ومنها الإمارة والحكم..

فإن الإندفاع إلى الإمارة لا يحتاج إلى تزيين، بل النفس تشتهيها وتميل إليها، وربما يرتكب الإنسان من أجلها العظائم، والجرائم.

ولأجل ذلك استعاذ «صلى الله عليه وآله» من شرور النفس وسيئات الأعمال..

ولعله يريد بذلك الإلماح إلى ما سيكون بعده من منازعة الأمر أهله، والتحذير منه، لا سيما وأن بوادر ذلك قد ظهرت في عرفة، كما أوضحناه..

الله يعيذهم:

وقد أفهمهم «صلى الله عليه وآله»: أن الله تعالى هو الذي يعيذهم من شرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، من حيث إنه المالك الحقيقي للتصرف،

---

(١) الآية ١٣٧ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٣٧ من سورة التوبة.

فإذا كانوا صادقين في لجوئهم إليه تعالى، بقطعهم أية علاقة أو أمل بغيره، فسيجدون أنفسهم في حصن حصين، وسيعني هذا اللجوء الصادق استحقاقهم أن يعود تعالى عليهم بالفضل، ويفتح لهم أبواب الرحمة.. لتكون استقامتهم على طريق الحق ضماناً للكون في أمانه الدائم..

كما أنه حين يكون الإنسان نفسه هو السبب في أن توصد أبواب الرحمة في وجهه، فلن يستطيع أحد أن يفتحها له، إلا أن يصلح الإنسان نفسه ما أفسده، فإن الله وحده المالك الحقيقي لذلك، ولأجل ذلك قال «صلى الله عليه وآله»: لا هادي لمن أضل إلخ..

وقد قال تعالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(١).

الإعلان بالشهادتين:

وقد شهد «صلى الله عليه وآله» لله بالوحدانية، ولنفسه بالعبودية لله وبالرسولية، لينال ثواب الجهر بالشهادة، وليتلذذ بهذه العبارة، ولتكون موطئة لإقرار ذلك الحشد العظيم بمثل ذلك، وتسهيلاً لذلك عليهم، ورفعاً لاستهجانهم، وإبعاداً لأي احتمال قد يراود ذهن بعضهم حول مستوى ثقته «صلى الله عليه وآله» بصدق إيمانهم، وحقيقة إسلامهم..

كل ذلك لأنه يريد أن يأخذ منهم عهداً، ويريد أن يغلظ عليهم فيه، ليكون ذلك أدعى لإلزامهم بما ألزموا به أنفسهم، وأقوى وأشد في تعظيم

(١) الآية ٢ من سورة فاطر.

أمر النكث وتهجينه، واستقباح صدوره منهم، إن لم يكن تديناً، وخوفاً من العقوبة الأخروية، فالتزاماً بالإعتبارات التي يلزمون أنفسهم بها في الحياة الدنيا.

ولصاحب الحق أن يضيق الخناق على الباطل، وأن يؤكد وضوح الحق بكل وسيلة مشروعة، (أي لا تتضمن تمرداً على أمر الله تعالى)، فهو نظير ما فعله من إثارة معاني الغيرة، والحياء في الناس، لأجل ضبط حركة النساء في محيط الرجال، الذي استفاد منه أمير المؤمنين في قوله: أما تستحيون، ولا تغارون؟! نساؤكم يخرجن إلى الأسواق ويزاحمن العلوج[(١)].

وهكذا فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه ذكرهم بأصل التوحيد، فشهدوا لله تعالى بالوحدانية، وبأصل النبوة، فشهدوا له «صلى الله عليه وآله» بأنه رسول من الله إليهم، مما يعني أن ما يأتيهم به هو من عند الله؟!

وذكَّرهم بالنار التي يعاقب بها المتمردون على الله، المخالفون لرسوله، وبالجنة التي يثاب بها المطيعون لهما، وبأن الموت حق، والبعث والحساب

---

(١) الكافي ج٥ ص٥٣٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٠ ص٢٣٦ و (ط دار الإسلامية) ج١٤ ص١٧٤ ومشكاة الأنوار ص٤١٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٢٧١ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٨ ص٢٤٣ ومسند أحمد ج١ ص١٣٣ والشرح الكبير لابن قدامة ج٨ ص١٤٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٣ ص٧٨٠.

حق، فلماذا يتعلقون بالدنيا، ويفسدون آخرتهم من أجلها؟!

ثم ذكَّرهم بالإمامة، وبما يحفظ من الهداية والضلال، وبميزان الأعمال من خلال التأكيد على حديث الثقلين.

كل ذلك توطئة لنصب أمير المؤمنين «عليه الصلاة السلام» ولياً وهادياً، ومرجعاً وإماماً.

فليبلغ الشاهد الغائب:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» لم يتكل على ما يعرفه من رغبة الناس بنقل ما يصادفونه في أسفارهم، إلى زوارهم بعد عودتهم، فلعل أحداً يكتفي بذكر ذلك مرة واحدة فور عودته، ثم لا يعود لديه دافع إلى ذكره في الفترات اللاحقة، فجاء أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم ليلزمهم بإبلاغ كل من غاب عن هذا المشهد، مهما تطاول الزمن، وجعل ذلك مسؤولية شرعية في أعناقهم، فقال: «فليبلغ الشاهد الغائب»[1].

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٢٣٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٤ وكشف الغمة ج١ ص٤٩ ـ ٥٠ عن الزهري، وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٢٥٨ وج٧ ص٢٢٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٤ و ٣٠١ وج٢١ ص٩٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١١٨ وسعد السعود لابن طاووس ص٧١ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٥٦ والغدير ج١ ص١١ و ٣٣ و ١٧٦ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص٥٥ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص١٩٩ وغاية المرام ج١ ص٢٩٩ وكشف المهم في =

وبذلك يكون قد سد باب التعلل من أي كان من الناس بادعاء أن أحداً لم يبلغه هذا الأمر، وأنه إنما كان قضية في واقعة، وقد لا ينشط الكثيرون لذكرها، إن لم يكن ثمة ما يلزمهم بذلك.. ولعلهم قد كانت لديهم اهتمامات أخرى شغلتهم عنها..

الحب والبغض إختياريان:

وإثبات العقوبة الإلهية على الحب والبغض، والعداء والموالاة، يدل على أنهما من الأمور الاختيارية المقدورة للإنسان، ولو بواسطة قدرته على أسبابهما، فإن القدرة على السبب قدرة على المسبب..

وأكثر الأمور لا يقدر الإنسان عليها إلا بعد الإتيان بمقدماتها، فإن من يريد زيارة كربلاء مثلاً، يحتاج إلى قطع المسافة أولاً..

ولأجل ذلك دعا «صلى الله عليه وآله» في غدير خم، فقال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه..

وأدر الحق معه حيث دار:

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «وأدر الحق معه حيث دار» يدل على أن المولوية المجعولة لعلي «عليه السلام» تختزن معنى الحق، والمسؤولية عنه، علماً، أو عملاً، أو كليهما.. ولولا ذلك لم يحتج إلى هذا الدعاء.

= طريق خبر غدير خم ص١٤٧ وراجع: الإصابة لابن حجر (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٣٤.

أي مولى الخلق لا بد أن يعرف الحق، وأن يلتزم به، وأن يفرضه في كل الواقع الذي يتحمل مسؤوليته.. ولذلك جاء هذا الدعاء: «وأدر الحق معه حيث دار».

حديث الثقلين:

وهذه المسؤولية عن الحق هي التي فرضت أن يقرن «صلى الله عليه وآله» بين القرآن والعترة لحفظ الأمة من الضلال، وأن يجعل استمرار هذا الاقتران بينهما من مسؤولية الأمة أيضاً.

ولا بد أن يكون اقتراناً متناسباً مع شمولية القرآن، ومع ما تضمنه من حقائق، وما يتوخى من موقف للأمة تجاهه.. ومتناسباً مع مسؤولية العترة تجاه القرآن في مجال العلم والعمل، والتربية، وما يترتب على ذلك من لزوم الطاعة والنصرة، وما إلى ذلك.. ولا يكون ذلك إلا بالتمسك به، وبالعترة، في العلم، وفي العمل والممارسة.. سواء في الأحكام أو في القضاء بين الناس، أو في السياسات، أو الإعتقادات، أو الأخلاق، و في كل ما عدا ذلك من حقائق، لهج وصرح بها القرآن الكريم. وهذا يختزن معنى الإمامة بكل أبعادها وشؤونها..

وانصر من نصره:

ويؤكد هذا المعنى، ويزيده رسوخاً قوله «صلى الله عليه وآله»: «وانصر من نصره، واخذل من خذله..»، فإن إيجاب النصر له على الناس، وتحريم الخذلان إنما هو في صورة التعرض للتحدي، والمواجهة بالمكروه، من أي

نوع كان، ومن أي جهة صدر.

وذلك يشير إلى: أنه «عليه السلام» هو المحق في كل نزاع يحاول الآخرون أن يفرضوه عليه، وأن على الأمة نصره، بردع المعتدي، فإن لم تستطع، فلا أقل من أن لا تنصر أعداءه عليه، وأن تعتقد بأن غيره ظالم له، معتد عليه، مبطل في ما يدَّعيه.

وقد جاءت هذه الإشارات اللائحة، والدلالات الواضحة قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بيسير، وقد واجه علي «عليه السلام» المحنة التي فرضها عليه نفس هؤلاء الذين خاطبهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا الخطاب!! واستنطقهم، وقررهم، وردوا عليه الجواب. وهم الذين هنأوا علياً «عليه السلام»، وبخبخوا له، وبايعوه، حتى قال ابن عباس: وجبت ـ والله ـ في أعناق القوم.

معنى الولاية في حديث الغدير:

قال السيد المرتضى «رحمه الله»: أولى بمعنى مولى، كما قاله أئمة اللغة في تفسير الآية[1].

---

(١) راجع: رسائل المرتضى ج٣ ص٢٥٣ وج٤ ص١٣١ والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج٢ ص٢٦١ وراجع: العمدة لابن البطريق ص١١٦ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢٣٨ وج٣٧ ص٢٤٠ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٢٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٢٤ والصراط المستقيم ج١ ص٣٠٨ والرسائل العشر للشيخ الطوسي ص١٣٥ وراجع: كنز الفوائد ص٢٢٩ وقد ذكر العلامة الأميني =

أما سائر معاني كلمة مولى فهي إما بديهية الثبوت لعلي، فيكون ذكرها في يوم الغدير عبثاً.. مثل: «ابن العم، والناصر» التي ذكر أنها من معاني «المولى».

وإما هي واضحة الإنتفاء، ولا يصح إرادتها. مثل: «معنى المعتِق والمعتَق، فلا يصح إرادتها في مناسبة الغدير، لأن ذلك يستلزم الكذب فيهما.. وهو لا يصدر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..».

فأجاب الرازي بما ملخصه: لو كان مولى وأولى بمعنى واحد لصح استعمال كل منهما مكان الآخر، فيصح أن يقال: هذا مولى من فلان.. كما صح أن يقال: هذا أولى من فلان[1].

وأجاب علماؤنا على كلام الرازي هذا بما يلي:

أولاً: إن الترادف إنما يكون في حاصل المعنى، دون الخصوصيات التي تنشأ من اختلاف الصيغ، والإشتقاقات، أو أنحاء الإستعمال.. فكلمة «أفضل» تضاف إلى صيغة التثنيه بدون كلمة «من»، فيقال: زيد أفضل الرجلين، لكن حين تضاف إلى المفرد، فلا بد من كلمة من، فلا يقال: زيد

= طائفة كبيرة من أقوال العرب وأهل اللغة، فراجع كتاب الغدير ج١ ص٣٤٥ ـ ٣٤٨.

(١) راجع: التفسير الكبير ج٢٩ ص٢٢٧ والغدير ج١ ص٣٥٠ و ٣٥١ عنه، وعن نهاية العقول، وتفسير الآلوسي ج٢٧ ص١٧٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص١٨١.

أفضل عمرو، بل يقال: زيد أفضل من عمرو.

ثانياً: لنأخذ معنى الناصر في كلمة «مولى».. فإنه يصح أن يقال: فلان ناصر دين الله، ولكن لا يصح أن يقال: فلان مولى دين الله.

وقال عيسى: ﴿**مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ**﴾[١]. ولا يقال: من مواليّ إلى الله..

ويقال: الله ولي المؤمنين ومولاهم.. ويقال: فلان ولي الله، ولا يقال: مولى الله، كما ذكره الراغب[٢].

ويقال: إنك عالم. ولا يقال: إنَّ أنت عالم.

فالمولى اسم للمتولي، والمالك للأمر، والأولى بالتصرف. وليس صفة ولا هو من صيغ أفعل التفضيل بمنزلة الأولى، لكي يقال: إنه لا يأخذ أحكام كلمة «أولى» التي هي صفة..

ثالثاً: إذا لاحظنا المعاني المذكورة، فنقول:

ألف: إن كان المراد بالمولى المحب والناصر، فقوله «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

إن كان المراد به: الإخبار بوجوب حبه «عليه السلام» على المؤمنين، أو إنشاء وجوب حبه عليهم، فذلك يكون من باب تحصيل الحاصل، لأن كل مؤمن يجب حبه على أخيه المؤمن، فما معنى أن يجمع عشرات الألوف في ذلك المكان؟! ليقول لهم: يجب أن تحبوا أخاكم علياً؟!

---

(١) الآية ٥٢ من سورة آل عمران.

(٢) مفردات الراغب ص٥٣٣.

ولماذا يكون ذلك موازياً لتبليغ الرسالة ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؟!(١).

ولماذا يكمل به الدين، وتتم به النعمة؟!.

ولماذا يهنئه عمر وأبو بكر بهذا الأمر، ويقولان له: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟! وكأنه لم يكن كذلك. قبل هذا الوقت باعتقادهما!!

ألم يكن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يحب بعضهم بعضاً؟!

ألم يكن الله قد اعتبر المؤمنين بمثابة الإخوة؟!

يضاف إلى ما تقدم: أن وجوب النصرة والمحبة لا يختص بعلي «عليه السلام»، بل يشمل جميع المؤمنين.

وإن كان المقصود هو إيجاب نصرة مخصوصة تزيد على ما أوجبه الله على المؤمنين تجاه بعضهم، فهو المطلوب، لأن هذا هو معنى الإمامة، ولا سيما مع الإستدلال على هذه النصرة الخاصة بمولوية النبي «صلى الله عليه وآله» لهم..

وإن كان المراد الإخبار بأنه يجب على علي «عليه السلام» أن يحب المؤمنين وأن ينصرهم.. فلا يحتاج هذا إلى جمع الناس يوم الغدير، ولا إلى نزول الآيات، وما إلى ذلك.. إذ كان يكفي أن يخبر علياً بأنه يجب عليه ذلك..

على أن ذلك يطرح سؤالاً عن السبب في تخصيص هذا الأمر بعلي؟!

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وعلى كل حال، فإن قوله «صلى الله عليه وآله»: «ألست أولى بكم من أنفسكم» يفيد أنها ولاية نصرة ومحبة ناشئة عن هذه الأولوية منهم بأنفسهم.. كما أن جعل وجوب نصرة علي «عليه السلام» كوجوب نصرة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم يؤكد ذلك..

فإن نصرة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم إنما هي من حيث نبوته، وملكه لأمورهم، وزعامته عليهم.. وليست كوجوب نصرتهم أو محبتهم لبعضهم بعضاً.

ب: أما القول بأن المراد بالمولى المالك والمعتق، فيرد عليه: أنه لم يكن هناك مالكية حقيقية، ولا عتق، ولا انعتاق.

ج: إن كان المراد بكلمة مولى: السيد، فهو يقترب من معنى الأولى، لأن السيد هو المتقدم على غيره. وهذا التقدم ليس بالقهر والظلم، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قرن سيادة علي «عليه السلام» بسيادة نفسه، فلا بد أن يكون التقدم بالإستحقاق، من خلال ما يملك من مزايا ترجحه عليهم، وبديهي: أن أية مزية شخصية لا توجب تقدماً، ولا تجعل له حقاً عليهم، يجعله أولى بهم من أنفسهم، إلا إذا كانت هذه المزية قد أوجبت أن يجعل من بيده منح الحق ومنعه لصاحب هذه المزية مقام الأولوية بهذا المستوى الذي هو من شؤون النبوة والإمامة. وليس لأحد الحق في منح هذا المقام إلا لله تبارك وتعالى..

د: ولو كان المراد بكلمة المولى، المتصرف، والمتولي للأمر، فالأمر كذلك أيضاً، فإن حق التصرف إنما يثبت له بجعل من له الحق في الجعل، وهو الله

سبحانه وفق ما ذكرنا آنفاً..

الجمع بين المعاني:

وقد ذكر العلامة الأميني وغيره: أن الذي يجمع تلك المعاني كلها هو أن يراد: الأولى بالشيء، فإنه مأخوذ من جميع تلك المعاني بنوع من العناية، فـ «المعتِق» أولى. لأن له حقاً على «المعتَق»، وهو أولى به لتفضله عليه.

والمالك أولى بالمملوك، والسيد أولى بمن هم تحت سيادته، والابن أولى بالأب، والأخ أولى بأخيه، والتابع أولى بمتبوعه، والصاحب أولى بصاحبه الخ..

فالمعاني التي تذكر لكلمة مولى ليست معاني لها على سبيل الإشتراك اللفظي، بل هي خصوصيات في موارد استعمال كلمة مولى، ولا دخل لها في معناها وهو «الأولى». وقد اشتبه عندهم المفهوم بخصوصية المصداق.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «ألست أولى بكم من أنفسكم» يدل على ما نقول..

ويدل عليه أيضاً: ما ورد في بعض نصوص الحديث، من أنه «صلى الله عليه وآله» سأل الناس، فقال: فمن وليكم؟!

قالوا: الله ورسوله مولانا.

وقوله «صلى الله عليه وآله» في نص آخر: «تمام نبوتي، وتمام دين الله في ولاية علي بعدي..» فإن ما يتم به الدين هو الولاية بمعنى الإمامة.

وفي بعض النصوص أنه «صلى الله عليه وآله» قال في تلك المناسبة: هنئوني، هنئوني، إن الله تعالى خصني بالنبوة، وخص أهل بيتي بالإمامة..

يضاف إلى ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي.

ويؤيد ذلك أيضاً، بل يدل عليه: بيعتهم لعلي «عليه السلام» في تلك المناسبة، وقد استمرت ثلاثة أيام.

وكذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: «إني راجعت ربي خشية طعن أهل النفاق ومكذبيهم، فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني» أو ما هو قريب من هذه المعاني، فإن طعن أهل النفاق، وخوف النبي «صلى الله عليه وآله» من الإبلاغ إنما هو لأمر جليل كأمر الإمامة، ولا ينسجم ذلك مع إرادة المحب أو الناصر من كلمة المولى.

يضاف إلى ذلك، التعبير بكلمة: «نصب علياً»، أو «أمر الله تعالى نبيه أن ينصبني»، أو «نصبني» أو نحو ذلك.

وعبارة ابن عباس: وجبت والله في رقاب (أو في أعناق) القوم.

ونزول قوله تعالى: ﴿**وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(١).

وثمة مؤيدات وقرائن أخرى ذكرها كلها العلامة الأميني في كتابه الغدير، فراجع الجزء الأول منه، فصل «القرائن المعيّنة لمعنى الحديث». وراجع الأحاديث الأخرى المفسرة لمعناه أيضاً في كتاب الغدير ج١ ص٣٨٥ ـ ٣٩٠.

أمهات المؤمنين يهنئن علياً عليه السلام:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر أمهات المؤمنين بأن يسرن إلى

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

علي «عليه السلام» ويهنئنه، ففعلن، وما ذلك إلا لأنه يريد أن يقطع العذر لمن تريد منهن أن تشن عليه حرباً ضروساً، يقتل فيها المئات والألوف، فليس لها أنها تدَّعي أنها بسبب عزلتها في خدرها، وكونها رهينة الحجاب، لم تعرف شيئاً مما جرى في يوم الغدير.

أو أن تدّعي: أن ما عرفته من أفواه الناس من أقاربها كان لا يقيم حجة، ولا يقطع عذراً، أما النساء فإنهن وإن أبلغنها بشيء مما كان يجري، لكن حالهن حالها، وربما يبلغها ما لا يبلغهن، أو أن ما يبلغها قد يكون أكثر دقة مما يتناهى إلى مسامعهن، بعد أن تعبث به الأهواء، ويختلط بالتفسيرات والتأويلات، والإجتهادات وما إلى ذلك..

وإن نفس الطلب إلى نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يقمن بهذا الأمر، يقتضي فسح المجال لهن لكي يسألن عن سبب هذه التهنئة، وعن حقيقة ما جرى. لا سيما إذا كانت هذه أول مرة يطلب فيها من أمهات المؤمنين أن يشاركن في تهنئة أحد، في أمر له ارتباط بالرجال غير رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وقد جاء الأمر بذلك عاماً وشاملاً لهن من دون استثناء، فلا مجال للتأويل والتحليل، أو لاحتمال أن ذلك كان لخصوصية اقتضت طلب ذلك من امرأة بعينها.. بل هو امتداد لبيعتهن لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتزامهن بطاعة الله ورسوله من ناحية، وتأسيس لمرحلة ما بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ناحية أخرى.

الفصل السابع:

آيات الغدير..

متى نزلت سورة المائدة؟!:

في سورة المائدة آيتان ترتبطان بموضوع الغدير، هما آية كمال الدين، وآية الأمر بإبلاغ ما أنزل إليه من ربه، وقد تقدمت الأولى على الثانية، فلماذا كان ذلك؟!

وقبل البدء في بيان ما نرمي إليه نشير إلى تاريخ نزول سورة المائدة، فنقول:

إن سورة المائدة نزلت كما يقول محمد بن كعب القرظي في حجة الوداع بين مكة والمدينة[1].

وروي عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله في حجة الوداع: «إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً»[2].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٢٠ والدر النثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد، والغدير ج٦ ص٢٥٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٦ و فتح القدير ج٢ ص٣ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧.

(٢) الغدير ج١ ص٢٢٧ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٥ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٦٩ و ١٧٢ وتفسير أبي السعود ج٣ ص٤ و ١٠ وتفسير الخازن ج١ ص٤٢٩ والجامع =

وصرحت عدة روايات بنزولها في حجة الوداع. فراجع ما روي عن محمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس[(١)].

وعن عائشة: إن المائدة آخر سورة نزلت[(٢)].

= لأحكام القرآن ج٦ ص٣٥٠ ودقائق التفسير لابن تيمية ج٢ ص١٥ والبرهان للزركشي ج١ ص١٩٤ و ٢٦٢ وتفسير البيضاوي ج٢ ص٢٩٨ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٦١٥ وإمتاع الأسماع ج٤ ص٣٣٤ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد، عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس. وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٧٧ والفتح السماوي للمناوي ج٢ ص٥٥٢ وبحار الأنوار ج٧٧ ص٢٥٣ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٠٤ وراجع: الصراط المستقيم ج٣ ص٢٨٤ وعوالي اللآلي ج٢ ص٦ و ٩٥ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٢٦ والتفسير الصافي ج٢ ص١٣.

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد وابن جرير، وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٥ و ١٩٦ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧ والغدير ج٦ ص٢٥٦ وجامع البيان للطبري ج٦ ص١١٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ج٢ ص١٥٥ وراجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة.

(٢) الغدير ج١ ص٤٢٩ عن تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ عن أحمد، والحاكم، والنسائي، والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أحمد، وأبي عبيد في فضائله، والنحاس في ناسخه، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، والمحلى لابن حزم ج٧ ص٣٩٠ وج٩ ص٤٠٧ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي=

وعن عبد الله بن عمر: إن آخر سورة أنزلت، سورة المائدة، والفتح[١]، يعني سورة النصر، قاله السيوطي في الإتقان[٢].

وعن أبي ميسرة: آخر سورة أنزلت سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة

= ج١ ص٨٤ ونيل الأوطار ج٩ ص٢٠٤ ومسند أحمد ج٦ ص١٨٨ ومسند الشاميين ج٣ ص١٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣١ وتفسير السمرقندي ج١ ص٣٨٨ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٦١٥ والفتح السماوي ج٢ ص٥٥٢ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٧٧ وفتح القدير ج٢ ص٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٥ ص٣٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٣٣ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٩٥٦ وعون المعبود ج١٠ ص١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص١٧٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣١١.

(١) الغدير ج٢ ص٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٥٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٧٧ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٢٦ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٤٦ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص٨٤ والفتح السماوي ج٢ ص٥٥٣ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧ و فتح القدير ج٢ ص٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ عن الترمذي، والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أحمد، والترمذي وحسّنه، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٨٤ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٤٦ وراجع: الفتح السماوي ج٢ ص٥٥٣ والغدير ج٢ ص٢٢٨.

فريضة(١).

وسيأتي المزيد مما يرتبط بتاريخ نزول السورة حين الحديث عن نزولها إن شاء الله تعالى..

موقع آية الإكمال:

وقد أنزل الله تعالى في مناسبة الغدير قوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾(٢).

وهي في وسط آية ذكرت بعض المحرمات، كما يلي: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾(٣)

فقد يقال: إن وقوع هذه الفقرة في ضمن بعض المحرمات، يدل على أن

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن سعيد بن منصور، وابن المنذر، وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٠.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٣ من سورة المائدة.

إكمال الدين: معناه: أن الله قد أكمل الدين بتشريع هذه الأحكام.. فلا ربط لها بالإمامة والولاية..

والجواب:

إن قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**..﴾[1] جملة إعتراضية وقعت بين هذه الأحكام، التي كان قد سبق بيانها في آيات أخرى نزلت قبل ذلك بسنوات، إما صراحة، أو ببيان عناوين عامة تشملها..

وهنا ثلاثة أسئلة وأجوبتها:

السؤال الأول: لماذا جملة إعتراضية؟!

والجواب: أن الإتيان بجملة إعتراضية بين أمرين ظاهري التلازم يشير إلى الأهمية البالغة للأمر الذي يراد بيانه بها، وأنه لا مجال لتأجيله، إذ لا يقطع أحد كلامه لأجل بيان أمر تافه، أو عادي.

السؤال الثاني: لماذا جاء الإعتراض بين أحكام سبق بيانها، وليس من بينها أي حكم يبين للمرة الأولى؟!

والجواب: أن المطلوب هو أن لا يتوهم أحد أن الدين قد كمل ببيان هذا الحكم، الذي يبين لأول مرة، كما أن ذلك يشير إلى تناغم بين مضمون الإعتراض وبين مساق الآية، حيث إن الآية تريد التأكيد على مضمون أحكام سبق بيانها بهدف حفظها..

والإمامة التي كمل بها الدين تريد حفظ الشريعة أيضاً، وإلزام الناس

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

بها، وإشاعة الإلتزام بها، بالإضافة إلى أن من وظائف الإمام حفظ الشريعة من التحريف، والإهمال، وضمان صحة تطبيقها في حياة الأمة.

السؤال الثالث: لماذا وردت الجملة الإعتراضية في سياق أحكام إلزامية تحريمية لا وجوبية ولا استحبابية؟!.

والجواب: أنها بين أحكام إلزامية، للإيحاء بأن أدنى درجة من التفريط في هذا المورد معناها الوقوع في الهلكة.. وهي تحريمية، لأنها لو وقعت بين أحكام وجوبية لتوهم متوهم: أن المطلوب هو جلب المصلحة، والمصلحة قد يتخلى الإنسان عنها لسبب أو لآخر..

وبذلك يتضح:

أنه لا مجال لإيرادها في سياق بعض الأحكام المستحبة، أو المكروهة، أو بعض التوجيهات الأخلاقية، أو في سياق بيان بعض السياسات التدبيرية أو غير ذلك، لكي يمكن لأحد التأويل فيها، والتهرب من مضمونها الإلزامي.

متى يئس الذين كفروا؟!:

وقد يقال: قد دلت آية إكمال الدين على أن يأس الذين كفروا من ديننا هو في نفس يوم إكمال الدين..

فقيل: هو يوم فتح مكة (١).

---

(١) تفسير السمرقندي ج١ ص٣٩٣ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٦٠ وفتح القدير ج٢ ص١٠ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٠ وتفسير الميزان ج٥ ص١٦٩ وراجع: تفسير الجلالين ص١٣٥.

وقيل: ما بعد تبوك، حيث نزلت سورة براءة، وانبسط الإسلام على جزيرة العرب كلها، وعفيت آثار الشرك، وذهبت سنن الجاهلية(١).

وقيل: يوم عرفة(٢).

ونجيب:

بأن هذا غير صحيح، لما يلي:

ألف: إذا كان كمال الدين بإتمام إبلاغ أحكام الشريعة، فقد قلنا: إن الأحكام الواردة في الآية كانت قد بينت قبل ذلك بسنوات ـ في آيات أخرى، إما بالتنصيص على بعض مفرداتها، وإما ببيان أحكام باقي المفردات في عمومات تشملها(٣).

---

(١) تفسير الميزان ج٥ ص١٦٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٢٨٠ وجامع البيان للطبري ج٦ ص١٠٥ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٩٢ و ٤٠٥ وتفسير الثعلبي ج٤ ص١٦ وتفسير ابن زمنين ج٢ ص٨ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٠ وتفسير البغوي ج٢ ص١٠ وتفسير الواحدي ج١ ص٣٠٨ وتفسير الثعالبي ج٢ ص٣٤٢ وزاد المسير لابن الجوزي ج٢ ص٢٣٨ عن مجاهد وابن زيد، والتفسير الكبير للرازي ج٥ ص١٩١ وج١١ ص١٣٧ والمحرر الوجيز ج٢ ص١٥٤ وتفسير العز بن عبد السلام ج١ ص٣٧٠ والتسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص١٦٨ وتيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ص٢٢٠ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص٥٨.

(٣) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٣١ ص٣٠٠ و ٣٠١.

ب: إن نفس تحريم هذه الأمور الواردة في الآية لا يوجب يأس الذين كفروا، فإنها لا تختلف عن غيرها من الأحكام..

ج: قد استمر تشريع الأحكام إلى ما بعد يوم الفتح.. وبعد نزول سورة براءة، وقد تضمنت سورة المائدة بعضاً من ذلك كما بيناه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

د: إنه لا مبرر ليأس الذين كفروا في يوم عرفة، إذ لم يحصل فيه شيء يوجب ذلك.

إلا إن كان المراد: أنهم قد يئسوا يوم عرفة بسبب ما جرى في فتح مكة، أو بنزول سورة براءة، أو لما جرى في غزوة تبوك، أو غير ذلك..

ويجاب:

بأن هذا اليأس في تلك الأحداث قد حصل حين وقوعها، ولا مبرر لتأخر حصوله إلى يوم عرفة.

فإن قلت: لعل سبب اليأس في يوم عرفة هو إبلاغ جميع الأحكام فيه.

قلت: هذا لا يصح، فإن آية الكلالة التي في آخر سورة النساء، وآيات الربا قد نزلت بعد يوم عرفة، كما قاله عمر بن الخطاب في خطبة له(١).

---

(١) صحيح مسلم ج٢ ص٨١ وج٥ ص٨ والغدير ج٦ ص١٢٧ ونهج السعادة ج٨ ص٤٢٢ ومسند أحمد ج١ ص٢٦ و ٢٨ و ٤٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٥٠ وشرح مسلم للنووي ج٥ ص٥٣ وج١١ ص٥٧ ومسند أبي يعلى ج١ ص١٦٦ وج٥ ص٧٥ وجامع البيان للطبري ج٦ ص٥٩ وتفسير البغوي ج١=

وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً(١).

وقد يقال: إن نفس حضور النبي «صلى الله عليه وآله» في يوم عرفة بعد أن كان قد أخرج من مكة أوجب يأس الذين كفروا من هذا الدين.

ويجاب:

بأنه لا خصوصية لحضور النبي «صلى الله عليه وآله» في يوم عرفة، في موسم الحج، في هذا اليأس، وقد حضر «صلى الله عليه وآله» إلى مكة فاتحاً

= ص٤٠٤ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٦٠٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٦٩ و ١٦٨ والدر المنثور ج٢ ص٢٤٩ وفتح القدير ج١ ص٥٤٤ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٤ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص١٩٥ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٤٥٠ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٩.

(١) راجع: أسباب نزول الآيات ص٩ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٥٦٣ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٥ و ٢٩٥ وج١١ ص٢٠٢ وج٢٣ ص٢٤٦ والبرهان للزركشي ج١ ص٢٠٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص٣٢٤ والسنن الكبرى ج٦ ص٣٠٧ وجامع البيان ج٣ ص١٥٦ و ١٥٧ وتفسير السمرقندي ج١ ص٢٠٩ ومعاني القرآن للنحاس ج١ ص٣١٢ والمعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٢٩٣ وج١٢ ص١٩ وتخريج الأحاديث للزيلعي ج١ ص٣٧١ والفتح السماوي ج٢ ص٥٤٥ والتبيان للطوسي ج٢ ص٣٦٩ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٢١٣ وتفسير الثوري ص٧٣ وتفسير الثعلبي ج٢ ص٢٨٩ وتفسير البغوي ج١ ص٥٠٤ وزاد المسير ج١ ص٣ و ١٥ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٦٠ وج٣ ص٣٧٥ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٤٠.

يوم الفتح، وقبلها في عمرة القضاء.

السبب الحقيقي ليأس الذين كفروا:

والذي نراه: أن سبب يأس الذين كفروا من هذا الدين هو بإيجاد العلة المبقية لهذا الدين، وتكريس معنى الإمامة فيه بنصب الحافظ له، والمبين لحقائقه، والأمين على شرائعه، والعالم بمعاني قرآنه، والعارف بناسخه وبمنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، والمسدد والمؤيد، والمعصوم الذي لا يخطئ في شيء من ذلك وسواه.

وبذلك يئس الذين كفروا من التمكن بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تحريف هذا الدين، والتلاعب بأحكامه، وإلقاء الشبهات حول حقائقه..

وكما أن الكافرين ييأسون، فإن المؤمنين سوف يشعرون بكمال دينهم، وبتمام النعمة عليهم، بعد أن وضعت الضمانات لحفظه، وبذلك رضي الله لهم الإسلام ديناً عالمياً باقياً، وأبدياً للبشرية كلها.

فلا تخشوهم واخشوني:

وبذلك تكون قد زالت موجبات خشية المؤمنين من كيد الذين كفروا، وأصبح الأمر مرهوناً بالمسلمين أنفسهم، وبمدى التزامهم بما أُخِذَ عليهم من عهد وميثاق منه تعالى، وخضوعهم للتدبير الرباني، وباستجابتهم لما يحييهم، وطاعتهم لمن نصبه الله ورسوله ولياً وحافظاً لهم، ولدينهم..

ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[١].

فالآية تريد أن تحدد المسؤوليات، وتسد أبواب التملصات المقيتة، من قبل من يظهرون الطاعة والإنقياد، ويبطنون الصدود والعناد، ويدبرون في الخفاء للإستئثار بالأمر، وإقصاء صاحبه الشرعي عنه، ولا شيء يدفعهم إلى ذلك سوى حب الدنيا وزينتها، وعدم الإعتداد بشيء آخر سواها..

فعلى الناس أن يحفظوا نعمة الله عليهم، وأن لا يفرطوا فيما حباهم الله به، ولا يخضعوا لأهواء أهل الكفر، ولا يخشوا كيدهم ومؤامراتهم، وإلا فإنهم سيذوقون وبال أمرهم، وستكون أعمالهم هي السبب في سلب هذه النعمة منهم وعنهم.

أكملت.. أتممت:

ويلاحظ: أن الآية قد عبرت بالإكمال بالنسبة للدين، وبالإتمام بالنسبة للنعمة، وربما يكون الفرق بينهما: أن الإكمال هو تتميم خاص، فإنه يستعمل حيث يكون للشيء أجزاء لها أغراض وآثار مستقلة، فكلما حصل جزء، تحقق معه أثره وغرضه.

فهو من قبيل العموم الأفرادي، ويمكن أن يمثل له بصيام شهر رمضان، فإن صيام أي يوم منه يوجب تحقيق أثره، ويسقط وجوبه، وتبقى سائر الأيام على حالها..

---

(١) الآية ١٥٠ من سورة البقرة.

أما الإتمام، فيستعمل فيما يكون له أجزاء لا يتحقق لها أثر حتى تكتمل، فيكون الأثر لمجموعها، فلو فقد واحد منها لانتفى الأثر المترتب على المجموع.

فهو نظير ساعات اليوم الذي يصام فيه، فإنها لا يترتب الأثر على صيامها إلا بعد انضمام أجزائها إلى بعضها، بحيث لا يتخلف جزء منها، فإنه يوصف بالتمام في هذه الحال، ولذلك قال تعالى: ﴿**أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾[1]، وكذلك الحال في الصلاة بالنسبة لأجزائها الأساسية الواجبة، فإن بطلان أو إسقاط أي جزء منها يوجب سقوط الصلاة نفسها، وبطلانها.

والدين هو مجموعة قضايا، ومفاهيم وأحكام، لها آثارها الخاصة بها، ولكل واحد منها طاعته ومعصيته على حدة.. فيصح التعبير عنه بالإكمال.

أما النعمة التي أتمها الله فهي هنا تشريع ما يكون موجباً لحفظ الدين، وهو ولاية أولياء الله تبارك وتعالى، لتقام بهم أركان الإسلام، وتنشر بهم أعلامه. وبذلك يأمن المؤمنون من أي فتنة أو افتتان.

ويتحقق بذلك شرط قبول أعمال العباد، فإذا نقض المسلمون عهدهم، ولم يلتزموا بطاعة الإمام، حرموا من بركات وجوده، وعاشوا في المصائب والبلايا في حياتهم الدنيا، ويكونون عرضة للفتن والمحن بما كسبت أيديهم.

---

(١) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

الإسلام مرضي لله تعالى دائماً:

وليس معنى قوله تعالى: ﴿..وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1]. أن الإسلام لم يكن مرضياً قبل ذلك اليوم.. فإن الإسلام مرضي دائماً لله تعالى، والآية لا مفهوم لها..

لأنها تريد أن تقول: إن يأس الكفار، وإتمام النعمة وإكمال الدين، الذي رضيه الله تعالى لكم أيها البشر قد كان في هذا اليوم، فالله سبحانه راض لكم هذا في كل حين، وقد بلغه لكم على لسان أنبيائه، ووضع الضمانات لحفظ حدوده وشرائعه، وهيأ الظروف لبقائه واستمراره، من خلال تشريع الولاية، وتعريف الناس بأئمة دينهم، وبها يحفظهم من الضلال، ويدفع عن دينه تحريف المبطلين، وشبهات المضلين..

أو يكون المراد: أن الله كما لا يرضى الإسلام الناقص، لا يرضى الإسلام بدون حافظ لحدوده وشرائعه..

فإذا لم يبلغ النبي «صلى الله عليه وآله» ما أنزل إليه من ربه كان الإسلام ناقصاً، وبلا حافظ معاً. ولا سيما مع ملاحظة: أن قبول الأعمال مرهون بولايته «عليه السلام».

آية الإكمال نزلت مرتين:

ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

أموراً كثيرة حول آية الأمر بالبلاغ.. وآية إكمال الدين.. فلا غنى عن مراجعته.

وقلنا في ذلك الكتاب ما يلي: إن سورة المائدة قد نزلت يوم عرفة دفعة واحدة، فقرأها النبي «صلى الله عليه وآله» على الناس، وسمعوا آية الإكمال، وحاول أن يبلغ أمر الإمامة في عرفة، فمنعته قريش وأعوانها.

ثم بدأت الأحداث تتوالى، وتتنزل تلك الآيات المرتبطة بكل حدث على حدة. فنزلت بعد ذلك آية: ﴿**بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[1]. وجاءته بالعصمة من ربه، فبادر إلى إعلان إمامة علي «عليه السلام» يوم الغدير، ثم تلا عليهم، أو نزلت عليه آية الإكمال بعد نصبه «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» في ذلك اليوم الأغر، وقبل أن يشرع الناس بالتفرق.

فيكون الحديثان في نزول هذه الآية يوم عرفة، ويوم الغدير صحيحين معاً، لكن نزولها يوم عرفة كان في ضمن السورة، التي نزلت دفعة واحدة، ونزولها يوم الغدير كان بصورة منفردة عن بقية آيات السورة، بل ومنفردة عن سائر فقرات الآية التي هي في ضمنها كجملة إعتراضية، حسبما بيناه..

وقد نقل الرواية بذلك الطبرسي في الإحتجاج ونقلها غيره أيضاً[2]،

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) راجع: الإحتجاج (ط دار النعمان ـ النجف الأشرف) ج١ ص٦٦ فما بعدها، وبحار الأنوار ج٣٧ ص٢٠١ واليقين لابن طاووس ص٣٤٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٥٣ وروضة الواعظين ص٨٩ وغاية المرام ج١ ص٣٢٧ وج٢ ص١٤٢ وج٣ ص٣٣٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٨ ص٤٨ .

وفيها: أنه «صلى الله عليه وآله» قرأ عليهم آية إكمال الدين يوم عرفة، حيث أمره الله تعالى بتبليغ ولاية علي «عليه السلام»، ولم تنزل العصمة.

ويعلم بالمراجعة: أنه «صلى الله عليه وآله» حاول تنفيذ هذا الطلب، فمنع، فنزل قوله تعالى: ﴿**بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..**﴾(١)، ففعل ذلك في يوم الغدير، ولم ينبس أحد منهم ببنت شفة إلا همساً.

ويؤيد هذ المعنى: ما ذكر في بعض الروايات، من أن يوم الغدير كان يوم الخميس كما سيأتي.

وهذا لا يتلاءم مع قولهم: إن يوم عرفة كان يوم الخميس، بل يتلاءم مع كون عرفة يوم الثلاثاء.

وقد روي عن عمر(٢)، ومعاوية، وسمرة بن جندب، ونسب إلى علي

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ عن الحميدي، و عن عبد بن حميد، وأحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبان، والبيهقي في سننه، وراجع: صحيح البخاري ج٥ ص١٨٦ وج٨ ص١٣٧ و (ط دار المعرفة) ج١ ص١٦ وصحيح مسلم ج٨ ص٢٣٨ و ٢٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٨١ وج٥ ص١١٨ وسنن النسائي ج٨ ص١١٤ ومسند أحمد ج١ ص٢٨ وسنن الترمذي ج٤ ص٣١٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٩ وج٢٥ ص٢٣ ومسند الحميدي ج١ ص١٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤٢٠ =

«عليه السلام» أيضاً أن آية الإكمال نزلت في يوم عرفة [1].

وهو ما يعني: أن آية الإكمال قد نزلت يوم عرفة في ضمن تمام السورة. ثم نزلت في موردها وحدها يوم الخميس، وهو يوم غدير خم.

ولو قلنا: إن الآية لم تنزل يوم الغدير، بل نزلت يوم عرفة فقط، لم يمكن أن نجد لمضمون الآية مورداً، ومنطبقاً حسبما أوضحناه.

كلام الأميني رحمه الله:

توضيح: أما العلامة الأميني «رحمه الله» فلم يرتض ما ذكروه من أن

= والمعجم الأوسط للطبراني ج١ ص٢٥٣ وج٤ ص١٧٤ ومسند الشاميين ج٢ ص٦٠ وفضائل الأوقات للبيهقي ص٣٥١ وكنز العمال ج٢ ص٣٩٩ وجامع البيان ج٦ ص١٠٩ و ١١١ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٢٦١ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٠ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢١ وج١١ ص٢٧٨ والمحلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٧٢.

(١) راجع: مجمع الزوائد ج٧ ص١٣ والمعجم الكبير ج٧ ص٢٢٠ وج١٢ ص١٩٨ وج١٩ ص٣٩٢ ومسند الشاميين ج٣ ص٣٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣١٨ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٨ ص٥٠٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥ والكامل لابن عدي ج٥ ص١١ وكنز العمال ج٢ ص٤٠٠ وجامع البيان ج٦ ص١٠٦.

آية إكمال الدين قد نزلت في عرفة، وأورد أدلة عديدة على بطلان ذلك..

وكلامه صحيح إن كان يقصد تكذيب قولهم: إن شأن نزولها هو يوم عرفة وحسب، وأنها نزلت فيه لحضور مناسبة نزولها.. فراجع كلامه(١)..

ولكننا ذكرنا: أن سورة المائدة كانت قد نزلت قبل يوم الغدير كلها، بما فيها آية الإكمال، ثم صارت الأحداث تحصل، فتنزل الآيات المرتبطة بها مرة ثانية، فكلام الأميني «رحمه الله» لا ينفي قولنا هذا..

أبو طالب لم يكن حاضراً:

وقد رووا عن ابن عباس: أن أبا طالب «عليه السلام» كان يرسل كل يوم رجالاً من بني هاشم، يحرسون النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى نزلت هذه الآية ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(٢)، فأراد أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عم: إن الله عصمني من الجن والإنس(٣).

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٣١ ص٣١٣ و ٣١٥.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص١٥٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٨١ والغدير ج١ ص٢٢٨ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص٩٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص٨٣ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٧ وأسباب نزول الآيات ص١٣٥ والمعجم الكبير ج١١ ص٢٠٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ وعن ابن مردويه، والطبراني.

ونقول:

أولاً: إن ما ذكرناه آنفاً من الإجماع على نزول سورة المائدة في المدينة، وأنها آخر ما نزل، أو من آخر ما نزل.. ومن الصحابة من يقول: إنها نزلت في حجة الوداع ـ إن ذلك ـ يكفي للرد على هذه المزعمة. فإن أبا طالب قد توفي قبل الهجرة إجماعاً..

ثانياً: لقد كانت هناك حراسات للنبي «صلى الله عليه وآله» تجري في المدينة، وفي المسجد أسطوانة يقال لها: أسطوانة المحرس.. وكان علي «عليه السلام» يبيت عندها يحرس رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإذا كانت الآية المشار إليها قد نزلت في مكة، فترك الحرس منذئذٍ، فلا معنى لتجديد الحراسات عليه في المدينة.

ثالثاً: تقدم في هذا الكتاب: أن أبا طالب «عليه السلام» كان في الشعب إذا حلَّ الظلام، وهدأت الأصوات يقيم النبي «صلى الله عليه وآله» من موضعه، وينيم علياً «عليه السلام» مكانه. حتى إذا حدث أمر، فإن علياً يكون هو الفداء للنبي «صلى الله عليه وآله».

فلو صح: أن أبا طالب كان يرسل رجالاً لحراسته «صلى الله عليه وآله» كل يوم، فلا تبقى حاجة لهذا الإجراء، فإن الحرس موجودون، وأي أمر يحدث، فإنهم هم الذين يتصدون له..

ويلاحظ هنا: أن أبا طالب لم يختر غير علي «عليه السلام» لهذه المهمة، الأمر الذي لم يكن بلا موجب وسبب، ولعل السبب أمر إلهي كان لا بد من امتثاله..

رابعاً: إن آية الهجرة التي دلت على مبيت النبي «صلى الله عليه وآله» في الغار، وحديث مبيت علي «عليه السلام» في فراش النبي «صلى الله عليه وآله» يكذب هذه الرواية أيضاً.

ويظهر لنا: أن المطلوب بهذه الرواية المكذوبة إلقاء الشبهة حول مبيت علي «عليه السلام» مكان النبي «صلى الله عليه وآله» في الشعب، وحول مبيته «عليه السلام» مكانه «صلى الله عليه وآله» في ليلة الهجرة.

بلغ ما أنزل إليك.. في اليهود:

من الأساليب التي يتبعونها لتضييع الحقيقة تكثير الأقوال في المورد، وقد زعموا: أن الأقوال في شأن نزول آية: ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(١). بلغت العشرة(٢).

وقد رجح الرازي: أنها تريد أن تؤمن النبي «صلى الله عليه وآله» من كيد اليهود والنصارى، فأمره الله بإظهار التبليغ، وعدم المبالاة بهم، ودليله على ذلك: أن ما قبل الآية وما بعدها مرتبط بأهل الكتاب(٣).

ونقول:

أولاً: إن السياق ليس حجة، ولا سيما بعد ورود الروايات الكثيرة المبينة لشأن النزول..

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) التفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٤٩ والغدير ج١ ص٢٢٥ و٢٢٦.

(٣) التفسير الكبير ج١٢ ص٥٠ والغدير ج١ ص٢٢٦.

ثانياً: إن أمر اليهود قد حسم قبل نزول الآية بعدة سنوات، أما النصارى فلم يكن لهم حضور يذكر ولا نفوذ ذو بال في جزيرة العرب..

ثالثاً: لم يكن قد بقي شيء من الشريعة يتوهم أنه «صلى الله عليه وآله» يمتنع عن إبلاغه خشية منهم، فكيف إذا كانت تصرح بأن الذي أمر الله نبيه بإبلاغه يعدل الدين كله، فقد قالت: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾(١). مع أنه «صلى الله عليه وآله» قد بلغ الرسالة كلها.. باستثناء بضعة أحكام قد لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة.

فذلك كله يدل: على أن ما أمر «صلى الله عليه وآله» بإبلاغه له مساس بجميع أحكام الدين وشرائعه وحقائقه.. وهو الأمر الذي تخشاه قريش والطامعون والطامحون.. والذين أسلموا في الفتح وبعده.. وهو أخذ البيعة لعلي «عليه السلام» بالخلافة من بعده.

مم يخاف النبي صلى الله عليه وآله؟!:

وفي الآية وعد للنبي «صلى الله عليه وآله» بأن الله تعالى سوف يعصمه من الناس، ويحفظه منهم، فيرد سؤال: من أي شيء كان «صلى الله عليه وآله» يخاف، إن بلَّغ ما أمره الله به؟! مع علمنا: بأنه «صلى الله عليه وآله» لا يبخل بنفسه ولا بأي شيء يعود إليه عن البذل في سبيل الله تعالى..

ونجيب:

بأن الذي أظهرته النصوص التي تقدمت في فصل سابق تحدثنا فيه عما

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

جرى في عرفة: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخاف من قومه الذين كانوا حديثي عهد بجاهلية أن يتهموه فيما يبلغهم إياه بما يبطل أثر تبليغه، ويوجب فساد دعوته، فهو «صلى الله عليه وآله» كان بصدد تحصين دعوته عن أن ينالها أولئك المتربصون بها بسوء.

ولعلك تقول: إذا كان هذا هو ما يخشاه الرسول «صلى الله عليه وآله»، فلا شك في أن الله يعلمه، فلماذا أمره بالتبليغ مع علمه بعدم إجتماع شرائطه؟!

ونجيب:

أولاً: إن الله تعالى تارة يأمر نبيه أمراً تنجيزياً فعلياً حاضراً بأمر قد اجتمعت شرائطه، وارتفعت موانعه.. وتارة يأمره بإبلاغ أمر بنحو يجعل للنبي «صلى الله عليه وآله» نفسه مهمة توفير بعض الشرائط، وإزالة بعض الموانع، وتوخي الوقت الأنسب، والأسلوب الأصوب في ذلك، والأمر في موضوع الإمامة من هذا القبيل، فإنه كان يحتاج إلى الإعداد الصحيح، وتهيئة النفوس، وتمهيد الوسائل المناسبة له..

ثانياً: إن قوله تعالى لنبيه وإن لم تفعل، لا يعني أنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي يختار أن لا يفعل، بل معناه: أن هذا الفعل إن لم يصدر منك بسبب منعهم إياك، كما حصل في عرفات، ثم في منى، فإننا سوف نعتبر أننا قد عدنا معهم إلى نقطة الصفر، وربما تقوم الضرورة بحربهم، كما حوربوا في بدر وأحد، والخندق، والفتح، وحنين..

ومما يدل على أن المشكلة هي في الناس الذين يمنعون النبي «صلى الله

عليه وآله» قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. فإن هذه الفقرات قد جاءت لتؤيد وتؤكد صحة فعله «صلى الله عليه وآله»، وصدق توقعاته، وأن ما فعله كان في محله، وأنه لولا العصمة الإلهية لم يصح التبليغ، لأنه سيكون بمثابة التفريط بالمهمة، وعدم توخي الظرف الملائم.

وربما يشير إلى ذلك أيضاً: أنه عطف بالواو لا بإلفاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾[1]، إذ لو عطف بإلفاء لأفاد أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يمتنع عن الإبلاغ بقرار منه، ووجود الداعي إلى هذا الإمتناع لديه، ولكنه حين عطف بالواو أفاد أن عدم الفعل سوف يطرأ عليه بسبب مانع وعارض.

فما بلغت رسالته:

إن قوله تعالى: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2]. يدل على أن هذا الذي يراد تبليغه يوازي في أهميته وخطورته تبليغ الرسالة كلها، فبدونه تصبح الرسالة كلا شيء، وتذهب كل الجهود والتضحيات التي بذلت سدى أو فقل: لولاه تصبح الرسالة كلها، بمثابة الجسد الذي لا روح فيه، فهو تام التكوين، ولكن جميع أعضائه معطلة، فإذا نفخت فيه الروح، وسرت فيه الحياة، تحركت جميع الأجهزة وعملت بصورة منتظمة، فتصير العين ترى،

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

والأذن تسمع، واللسان يتكلم، واليد تتحرك.. والقلب ينبض..وتكون له مشاعر وأحاسيس، فيحب ويبغض، ويفرح ويحزن و.. و.. إلخ..

وولاية علي «عليه السلام» كذلك، فإنها إن فقدت، فإن جميع أعمال الإنسان تفقد خصوصية التأثير في السعادة الأخروية، ويفتقد معها كثيراً من المنافع في الدنيا..

ولأجل ذلك ورد: أما لو أن رجلاً صام نهاره وقام ليله، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله ثواب، ولا كان من أهل الايمان[1].

تبرئة الرسول صلى الله عليه وآله:

والتعبير في الآية الكريمة بـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[2]، ليفيد: أن هذا الأمر ليس أمراً تدبيرياً أتى به الرسول من عند

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) راجع: وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١١٩ وج٢٧ ص٤٢ و ٦٦ و (ط دار الإسلامية) ج١ ص٩١ وج١٨ ص٢٦ و ٤٤ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٦٩ وبحار الأنوار ج٢٣ ص٢٩٤ وج٦٥ ص٣٣٣ والكافي ج٢ ص١٩ والمحاسن للبرقي ج١ ص٢٨٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٩٧ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٥٨٨ وج١٠ ص٤٥٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٣ ص٤٤٠ وج١٢ ص٢٢٧ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٥٤٤ والوافية للفاضل التوني ص١٧٤ وغاية المرام ج٣ ص٧٨.

نفسه، بل هو أمر يبلغه لهم من حيث هو رسول يأتيهم بالقرار الرباني، الذي لا خيار له ولهم فيه..

ثم بين لهم بصورة أصرح وأوضح أن هذا الأمر ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾.

ولكي لا تذهب بهم الأوهام إلى أن الذي جاء به هو الملك أو غيره، صرح لهم: بأنه ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾.

الفصل الثامن:

آيات سورة المعارج.. وسورة العصر..

الغدير وآيات سورة المعارج:

وتذكر هنا قضية ذلك المستكبر الذي لم يرض بنصب علي «عليه السلام» إماماً يوم الغدير، فطلب من الله تعالى أن ينزل عليه العذاب، فنزل، ونزل قوله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ**﴾(١). وقد ناقش ابن تيمية في صحة هذه القضية.. ورد العلماء كلامه..

وقد ذكرنا ذلك كله في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وقد رأينا أنفسنا أمام أحد ثلاثة خيارات:

أولها: أن نهمل ذلك كله، فلا نورد منه شيئاً في كتابنا هذا.. ولم يعجبنا هذا الخيار لأسباب كثيرة منها حرمان القارئ الكريم من أمر له ارتباط ظاهر بحياة علي «عليه السلام»، وبأهم قضية تعنيه.

الثاني: أن نعيد كتابة ذلك كله من جديد. وهو خيار غير سديد، لأنه سيكون مجرد إتلاف للوقت، وضرب للجهد، لأجل اعتبارات شخصية ليست ذات أهمية.

الثالث: أن نستعير ما كتبناه هناك ونضعه هنا بين يدي القارئ الكريم

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة المعارج.

وقد آثرنا هذا الخيار الأخير، رغم ما فيه من حزازة شخصية بالنسبة إلينا..

فإليك ما أوردناه في الجزء الحادي والثلاثين من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، حرفياً، وبدون أدنى تصرف فيه:

سورة المعارج مكية:

زعموا في مناقشاتهم لهذه الواقعة: أن سورة المعارج مكية، وهو ما ذكرته الرواية عن ابن عباس(١)، وابن الزبير(٢)، فتكون قد نزلت قبل بيعة الغدير بسنوات.

ونقول:

الصحيح: أنها نزلت في المدينة، بعد حادثة الغدير، حيث طار خبر ما جرى في غدير خم في البلاد، فأتى الحارث بن النعمان الفهري أو (جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري).

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٢٦٣ عن ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي، وسعد السعود لابن طاووس ص٢٩١ وفتح القدير ج٥ ص٢٨٧ وتفسير الميزان ج٦ ص٥٦ وج٢٠ ص١١ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص٢١٩ و (ط دار الكتب العلمية) ص٢٠٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج٥ ص١٦٩٠ وج١٠ ص٣٣٧٣ عن السدي.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص٢٦٣ عن ابن مردويه، وفتح القدير ج٥ ص٢٨٧ وتفسير الميزان ج٦ ص٥٦.

في هامش الغدير: «لا يبعد صحة ما في هذه الرواية من كونه جابر بن النضر، حيث إن جابراً قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» والده النضر صبراً، بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أسر يوم بدر»(١).

فقال: يا محمد، أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك، ففضلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: والذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله.

فولى جابر، يريد راحلته، وهو يقول: اللهم، إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم.

فلما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته، وخرج من دبره، وقتله. وأنزل الله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ الآية»(٢).

---

(١) الغدير ج١ ص٢٣٩ هامش.

(٢) الغدير ج١ ص٢٣٩ عن غريب القرآن لأبي عبيد، ونقله أيضاً عن مصادر كثيرة أخرى. وراجع: شفاء الصدور لأبي بكر النقاش، والكشف والبيان للثعلبي، وتفسير فرات ص١٩٠ و (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م) ص٥٠٥ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٨٨ وكنز الفوائد للكراجكي، وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٨٣ و ٣٨١ ودعاة الهداة للحاكم الحسكاني. والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٧٨ وتذكرة الخواص ص٣٠ والإكتفاء للوصابي الشافعي، وفرائد =

= السمطين ج١ ص٨٢ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٥١ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٤٠ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٣٦ و ١٦٢ و ١٧٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٥٤ و ١٦١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٥ ومعارج الوصول للزرندي الحنفي، ونظم درر السمطين ص٩٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤١ وجواهر العقدين للسمهودي الشافعي، وتفسير أبي السعود للعمادي ج٩ ص٢٩ والسراج المنير (تفسير) للشربيني الشافعي ج٤ ص٣٦٤ والأربعين في مناقب أمير المؤمنين لجمال الدين الشيرازي ص٤٠ وينابيع المودة ج٢ ص٣٧٠ وفيض القدير ج٦ ص٢١٨ ومنهاج الكرامة ص١١٧ والعقد النبوي والسر المصطفوي لابن العيدروس، ووسيلة المآل لأحمد بن باكثير الشافعي ص١١٩ و ١٢٠ ونزهة المجالس للصفوري الشافعي ج٢ ص٢٠٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٢ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٧ والصراط السوي في مناقب النبي للقادري المدني، وشرح الجامع الصغير للحفني الشافعي ج٢ ص٣٨٧ ومعارج العلى في مناقب المرتضى لمحمد صدر العالم، وتفسير شاهي لمحمد محبوب العالم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٧ ص١٣ وذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآلي لعبد القادر الحفظي الشافعي، والروضة الندية لمحمد بن إسماعيل اليماني ص١٥٦ ونور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص١٥٩ والمنار (تفسير) لرشيد رضا ج٦ ص٤٦٤ والأربعون حديثاً لابن بابويه ص٨٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٤٢ و ٣٥٧ و ٣٦٢ و ٣٦٨ و ٣٧٠ والمراجعات ص٢٧٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٥٢.

وقد رد ابن تيمية هذا الحديث، لعدة أدلة أوردها، وتبعه فيها غيره[(١)].

وأدلته هي التالية:

١ ـ إن قصة الغدير إنما كانت بعد حجة الوداع بالإجماع ـ والروايات تقول: إنه لما شاعت قصة الغدير جاء الحارث وهو بالأبطح، والأبطح بمكة. مع أن اللازم أن يكون مجيئه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المدينة.

٢ ـ إن سورة المعارج مكية باتفاق أهل العلم..

٣ ـ إن قوله: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، نزلت عقيب بدر بالاتفاق. وقصة الغدير كانت بعد ذلك بسنين.

٤ ـ إن هذه الآية ـ أعني آية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[(٢)] ـ نزلت

---

(١) راجع: منهاج السنة ج٤ ص١٣ وتفسير المنار لرشيد رضا ج٦ ص٤٦٤ فما بعدها.

(٢) الغدير ج١ ص٢٣٩ عن غريب القرآن لأبي عبيد وعن مصادر أخرى، وراجع: شفاء الصدور لأبي بكر النقاش، والكشف والبيان للثعلبي، وتفسير فرات ص١٩٠ وكنز الفوائد للكراجكي، وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٨٣ و ٣٨١ ودعاة الهداة للحاكم الحسكاني. والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٧٨ وتذكرة الخواص ص٣٠ والإكتفاء للوصابي الشافعي، وفرائد السمطين ج١ ص٨٢ ومعارج الوصول للزرندي الحنفي، ونظم درر السمطين ص٩٣ والفصول =

بسبب ما قاله المشركون بمكة، ولم ينزل عليهم العذاب هناك لوجود النبي «صلى الله عليه وآله» لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

٥ ـ لو صح ذلك لكانت آية كآية أصحاب الفيل، ومثلها تتوفر الدواعي على نقله، مع أن أكثر المصنفين في العلم وأرباب المسانيد والصحاح، والفضايل والتفسير والسير قد أهملوا هذه القضية، فلا تروى إلا بهذا الإسناد المنكر.

٦ ـ إن الحارث المذكور في الرواية كان مسلماً حسبما ظهر في خطابه

= المهمة لابن الصباغ ص٤١ وجواهر العقدين للسمهودي الشافعي، وتفسير أبي السعود للعمادي ج٩ ص٢٩ والسراج المنير (تفسير) للشربيني الشافعي ج٤ ص٣٦٤ والأربعين في مناقب أمير المؤمنين لجمال الدين الشيرازي ص٤٠ وفيض القدير ج٦ ص٢١٨ والعقد النبوي والسر المصطفوي لابن العيدروس، ووسيلة المآل لأحمد بن باكثير الشافعي ص١١٩ و ١٢٠ ونزهة المجالس للصفوري الشافعي ج٢ ص٢٠٩ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٢ والصراط السوي في مناقب النبي للقادري المدني، وشرح الجامع الصغير للحفني الشافعي ج٢ ص٣٨٧ ومعارج العلى في مناقب المرتضى لمحمد صدر العالم، وتفسير شاهي لمحمد محبوب العالم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٧ ص١٣ وذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآلي لعبد القادر الحفظي الشافعي، والروضة الندية لمحمد بن إسماعيل اليماني ص١٥٦ ونور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص١٥٩ والمنار (تفسير) لرشيد رضا ج٦ ص٤٦٤.

المذكور مع النبي«صلى الله عليه وآله»، ومن المعلوم بالضرورة أن أحداً لم يصبه عذاب على عهد النبي«صلى الله عليه وآله».

٧ ـ إن الحارث بن النعمان غير معروف في الصحابة، ولم يذكر في الإستيعاب، ولا ذكره ابن منده، وأبو نعيم وأبو موسى في تآليفهم في أسماء الصحابة.

ونقول:

إن جميع ذلك لا يمكن قبوله.. وسوف نكتفي هنا بتلخيص ما ذكره العلامة الأميني «رحمه الله»، فنقول:

بالنسبة للدليل الأول يرد عليه:

ألف: إن كلمة الأبطح إنما وردت في بعض الروايات دون بعض، فإطلاق الكلام بحيث يظهر منه أن الإشكال يرد على جميعها في غير محله..

وورد في بعض نصوص الرواية: أن مجيء السائل كان إلى المسجد[١].

وقد نص في السيرة الحلبية: على أن ذلك كان في مسجد المدينة[٢].

---

(١) تذكرة الخواص ص٣٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٤ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٧ والغدير ج١ ص٢٤٨ عنه، وعن معارج العلى للشيخ محمد صدر العالم، والعدد القوية للحلي ص١٨٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٦٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٤٤٢.

(٢) الغدير ج١ ص٢٤٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٤ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٧ وشرح إحقاق الحق ج٤ ص٤٤٢.

ب: إن كلمة الأبطح لا تختص ببطحاء مكة، بل هي تطلق على كل مسيل فيه دقائق الحصى[١].

وقد وردت في البخاري في صحيحه[٢]، أحاديث ترتبط بالبطحاء بذي الحليفة.

---

(١) راجع: معجم البلدان ج٢ ص٢١٣ و٢١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١ ص٧٤ و ٤٤٦ والغدير ج١ ص٢٥٠ وراجع: عمدة القاري ج١٠ ص١٠١ والخلاف للطوسي ج٦ ص١٩٦.

(٢) صحيح البخاري ج٢ ص٥٥٦ حديث ١٤٥٩ وج١ ص١٨٣ حديث ٤٧٠ و (ط دار الفكر) ج٢ ص١٤٣ و ١٩٧ وراجع: صحيح مسلم (كتاب الحج) ج٣ ص١٥٤ و ١٥٥ و (ط دار الفكر) ج٤ ص١٠٦ والتمهيد لابن عبد البر ج١٥ ص٢٤٣ وج٢٤ ص٤٢٩ و ٤٧٧ وكتاب الموطأ ج١ ص٤٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص٢٢٦ وسنن النسائي ج٥ ص١٢٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص٧٣ وسير أعلام النبلاء ج١٨ ص٥٤٢ وسنن أبي داود ج١ ص٤٥٣ وعمدة القاري ج٩ ص١٤٦ وج١٠ ص١٠١ و ١٠٢ وفتح الباري ج٣ ص٤٧١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٤٤ و ٢٤٥ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١١٤ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٣٣٩ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٣ ص٥٤٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٣٠ و ٤٧٧ وكتاب الموطأ لمالك ج١ ص٤٠٥ والغدير ج١ ص٢٤٨ ومسند أحمد ج٢ ص٢٨ و ٨٧ و ١١٢ و ١١٩ و ١٣٨ وعون المعبود ج٦ ص٢٧ والمعجم الأوسط ج٤ ص٣٠٧ وج٥ ص٢٣٦.

وكان «صلى الله عليه وآله» إذا رجع إلى المدينة دخل من معرس الأبطح، فكان في معرسه ببطن الوادي، فقيل له: إنك ببطحاء مباركة(١).

وورد التعبير بذلك أيضاً في كلام عائشة عن موضع قبر النبي «صلى الله عليه وآله»(٢).

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص١٢٢ والغدير ج١ ص٢٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٥ وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٩٠ و ١٣٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص١٤٤ وج٣ ص٧١ وج٨ ص١٥٥ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٤ ص١٠٦ وسنن النسائي ج٥ ص١٢٧ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١١٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٤٥ وفتح الباري ج٥ ص١٦ وعمدة القاري ج٩ ص١٤٦ و ١٤٨ وج١٢ ص١٧٧ وج٢٥ ص٦٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٣٠ ومسند أبي يعلى ج٩ ص٣٥٠ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص١٦٩ والمعجم الأوسط ج٨ ص٥٢ والمعجم الكبير ج١٢ ص٢٣١ والتمهيد لابن عبد البر ج١٥ ص٢٤٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص١٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٢٢.

(٢) كما في مصابيح السنة للبغوي ج١ ص٨٣ وإعانة الطالبين للدمياطي ج٢ ص١٣٥ والمحلى لابن حزم ج٥ ص١٣٤ والجوهر النقي ج٤ ص٣ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٥٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦١٤ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٩٤٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٩٣ والتنبيه والإشراف ص٢٥١ وتهذيب الكمال ج٢٢ ص١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٠٩ =

وثمة أحاديث عن حذيفة بن أسيد، وعامر بن ليلى، تذكر في أحاديث الغدير: أنه حين رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع، لما كان بالجحفة نهى عن سمرات متقاربات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحد[1].

وثمة حديث عن بطحاء واسط، وبطحاء ذي الحليفة، وبطحاء ابن أزهر، وبطحاء المدينة، وهو أجل من بطحاء مكة[2]، وقد نسب البطحاوي العلوي إلى جده قوله:

= والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٢٤٢ ونصب الراية ج٢ ص٣٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٤١ وتحفة الأحوذي ج٤ ص١٣٠ وعمدة القاري ج٨ ص٢٢٤ وفتح الباري ج٣ ص٢٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣ والمستدرك للحاكم ج١ ص٣٦٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٨٤ ونيل الأوطار ج٤ ص١٢٩ وسبل السلام ج٢ ص١١٠ وتلخيص الحبير ج٥ ص٢٢٥ وفيض القدير ج٤ ص١٥٣.

(١) راجع: الغدير ج١ ص١٠ و ٢٦ و ٢٤٩ ومعجم البلدان ص٢١٣ ـ ٢٢٢ وكتاب الولاية لابن عقدة ص٢٣٢ وغاية المرام ج١ ص٢٩٩ والبلدان لليعقوبي ص٨٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٢٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٥٥ و ٢٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤٢ وج٢٤ ص٢٠٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٣٣.

(٢) معجم البلدان ج١ ص٤٤٤ و ٤٤٥ والغدير ج١ ص٢٤٩ .

وبطحا المدينة لي منزل فيا حبذا ذاك من منزل..

وفي قول حيص بيص المتوفى سنة ٥٧٤ هـ.

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطحُ(١)

ويوم البطحاء (منسوب إلى بطحاء ذي قار) من أيام العرب المعروفة.

ومن الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين«عليه السلام»:

أنا ابن المبجل بالأبطحين وبالبيت من سلفي غالبِ

قال الميبذي في شرحه: يريد أبطح مكة والمدينة(٢).

وأما الجواب عن الدليل الثاني، وهو أن سورة المعارج مكية بالإجماع لا مدنية، فنقول:

أولاً: إن الإجماع إنما هو على أن مجموع السورة كان مكياً، لا جميع

---

(١) راجع: ديوان حيص بيص ج٣ ص٤٠٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٩١ والغدير ج١ ص٢٥٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٣ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٦٤٨ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص١٠١ ووفيات الأعيان ج٢ ص٣٦٥ والوافي بالوفيات ج١٥ ص١٠٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٤٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٣١٤ والكنى والألقاب ج١ ص٣٣٨ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص٢٥٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٤٨٨ و ٥٠٦.

(٢) راجع: شرح ديوان أمير المؤمنين «عليه السلام» ص١٩٧ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٣٩٧ و الغدير ج١ ص٢٥٢.

آياتها. فلعل هذه الآية بالخصوص كانت مدنية..

وقد يعترض على ذلك: بأن المتيقن في اعتبار السورة مكية أو مدنية هو تلك التي تكون بداياتها كذلك، أو تكون تلك الآيات التي انتزع اسم السورة منها كذلك..

والجواب عن ذلك..

ألف: إن هناك سوراً كثيرة يقال عنها: إنها مكية مثلاً مع أن أوائلها تكون مدنية، وكذلك العكس، وذلك مثل:

سورة العنكبوت.. فإنها مكية إلا عشر آيات من أولها[1].

سورة الكهف.. مكية إلا سبع آيات من أولها[2].

---

(١) راجع: جامع البيان ج٢٠ ص٨٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٢٣ والسراج المنير للشربيني ج٣ ص١٢٣ وسعد السعود لابن طاووس ص٢٨٩ والغدير ج١ ص٢٥٥ والبيان في عد آي القرآن للداني ص٢٠٣ وزاد المسير ج٦ ص١١٩ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للأندلسي ج٤ ص٣٠٥ وتفسير السمعاني ج٤ ص١٦٥ وتفسير ابن زمنين ج٣ ص٣٣٩ والتفسير الكبير للرازي ج٢٥ ص٢٥ وفتح القدير ج٤ ص١٩١ وتفسير الثعالبي ج٤ ص٢٨٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٢٣ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٥٠٤ والتفسير الصافي ج٤ ص١١٠ والتبيان ج٨ ص١٨٥ وعمدة القاري ج١٩ ص١٠٨ ومجمع البيان ج٨ ص٥.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٤٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي=

سورة المطففين، مكية إلا الآية الأولى، (وفيها اسم السورة)(١).

سورة الليل، مكية إلا أولها، (وفيها اسم السورة أيضاً)(٢).

وهناك سور أخرى كثيرة مكية، وفيها آيات مدنية.. مثل سورة هود، ومريم، والرعد، وإبراهيم، والإسراء، والحج، والفرقان، والنمل، والقصص، والمدثر، والقمر، والواقعة، والليل، ويونس(٣).

= ج١ ص١٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص١٨٥ والغدير ج١ ص٢٥٦ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٥٠٥ وراجع: عمدة القاري ج١٩ ص٣٦ والتبيان ج٧ ص٣ وتفسير شبر ص٢٨٩ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢٧٨ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٢٣٧ وتفسير أبي السعود ج٥ ص٢٠٢ وفتح القدير ج٣ ص٢٦٨ وج٩ ص٣٧ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص١٩٩.

(١) راجع: جامع البيان ج٣٠ ص٥٨ والغدير ج١ ص٢٥٧ وراجع: التفسير الصافي ج٥ ص٢٩٨ وج٧ ص٤٢١ وتفسير العز بن عبد السلام ج٣ ص٤٢٩ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٧ و (ط دار الفكر) ص٥٥ وفتح القدير ج٥ ص٣٩٧ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٢٨٩ وبحار الأنوار ج٦٦ ص١١٦.

(٢) راجع: الإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٧ و (ط دار الفكر) ص٥٤ والغدير ج١ ص٢٥٧.

(٣) راجع ذلك كله في: الغدير ج١ ص٢٥٦ ـ ٢٥٧ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١ و ٢٧٨ و ٣٣٨ وج١٠ ص٢٠٣ وج١٢ ص١ وج١٣ ص١ و ٢٤٧ وج١٥ ص٦٥ والسراج المنير ج٢ ص٤٠ و ٥١١ و ٦١٧ وج٤ ص١٣٦ و١٧١ =

ب: وهناك سور مدنية، وفيها آيات مكية، مثل:

سورة المجادلة، فإنها مدنية إلا العشر الأول، (وفيها تسمية السورة)[١].

سورة البلد، وهي مدنية إلا الآية الأولى، (وفيها اسم السورة) وحتى الرابعة[٢]، وغير ذلك.

ثانياً: لو سلمنا أن هذه السورة مكية، فإن ذلك لا يبطل الرواية التي تنص على نزولها في مناسبة الغدير، لإمكان أن تكون قد نزلت مرتين، فهناك آيات كثيرة نص العلماء على نزولها مرة بعد أخرى، عظة وتذكيراً، أو اهتماماً بشأنها، أو اقتضاء موردين لنزولها، نظير: البسملة، وأول سورة

= والتفسير الكبير للرازي ج٤ ص٧٧٤ وج٥ ص٥٤٠ وج٦ ص٢٠٦ و ٢٥٨ و ٥٨٥ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٥ و ١٦ وتفسير الشربيني ج٢ ص٢ و ١٣٧و ١٥٩ و ٢٦١ و ٢٠٥ وتفسير الخازن ج٤ ص٣٤٣ .

(١) راجع: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج٨ ص٢١٥ والسراج المنير ج٤ ص٢١٩ والغدير ج١ ص٢٥٧ وراجع: تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٠٧ والتفسير الصافي ج٥ ص١٤٢ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٢٧٢ وفتح القدير ج٥ ص١٨١ وتفسير الآلوسي ج٢٨ ص٢ وتفسير البيضاوي ج٥ ص٣٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٦٩ وتفسير العز بن عبد السلام ج٣ ص٢٩١ وزاد المسير ج٧ ص٣١٤.

(٢) راجع: الإتقان ج١ ص١٧ و (ط دار الفكر) ص٥٥ وتفسير الآلوسي ج٣٠ ص١٣٣ والغدير ج١ ص٢٥٧.

الروم، وآية الروح.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ..﴾.

وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

وسورة الفاتحة، فإنها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة، ولتثنية نزولها سميت بالمثاني(١).

وعن الدليل الثالث أجاب:

أن نزول آية سورة الأنفال قبل سنوات وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(٢). لا يمنع من أن يتفوه بها هذا المعترض على الله ورسوله، ويظهر كفره بها. ولعله قد سمعها من قبل، فآثر أن يستخدمها في دعائه، لإظهار شدة عناده وجحوده أخزاه الله.

وعن الدليل الرابع أجاب:

---

(١) راجع: الغدير ج١ ص٢٥٧ وتفسير مجمع البيان ج١ ص٤٧ والتفسير الصافي ج١ ص٨٠ وبحار الأنوار ج٨٤ ص٧٩ والتفسير الكبير للرازي ج١٩ ص٢٠٧ والبرهان للزركشي ج١ ص٢٩ وتفسير الآلوسي ج١٤ ص٧٩ وتفسير الميزان ج١٢ ص١٩١ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٩٦ والإتقان ج١ ص٦٠ و (ط دار الفكر) ص١٠٥ وفيه موارد أخرى أيضاً.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

ألف: قد لا ينزل العذاب على المشركين لبعض الأسباب المانعة من نزوله، مثل إسلام جماعة منهم، أو ممن هم في أصلابهم، ولكنه ينزل على هذا الرجل الواحد المعاند في المدينة لارتفاع المانع من نزوله.. ولا سيما مع طلبه من الله أن ينزل عليه العذاب.

ب: قد يقال: إن المنفي في آية ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**﴾ هو عذاب الاستئصال للجميع، ولا يريد أن ينفي نزول العذاب على بعض الأفراد خصوصاً مع طلبه ذلك..

ج: دلت الروايات على نزول العذاب على قريش، وذلك حين دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم بأن يجعل سنيهم كسني يوسف «عليه السلام» فارتفع المطر، وأجدبت الأرض، وأصابتهم المجاعة حتى أكلوا العظام، والكلاب، والجيف(١)..

(١) راجع: صحيح مسلم ج٥ ص٣٤٢ ح٣٩ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، و (ط دار الفكر) ج٨ ص١٣١ وسنن الترمذي ج٥ ص٥٦ وصحيح البخاري ج٢ ص١٢٥ و (ط دار الفكر) ج٢ ص١٥ وج٥ ص٢١٧ وج٦ ص١٩ و ٣٢ و ٤٠ و ٤١ ومسند أحمد ج١ ص٤٣١ و ٤٤١ والتفسير الكبير للرازي ج٢٧ ص٢٤٢ والنهاية في اللغة ج٣ ص٢٩٣ و ج٥ ص٢٠٠ والخصائص الكبرى للسيوطي ج١ ص٢٤٦ وعمدة القاري ج٧ ص٢٧ و ٢٨ وج١٩ ص١٤٠ ودلائل النبوة ج٢ ص٣٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٥٣ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٥٧٥ ح٣٦٩ والغدير ج١ ص٢٥٩ وبحار الأنوار ج١٦ =

د: قد نزل العذاب أيضاً على بعض الأفراد بدعاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما جرى لأبي زمعة، الأسود بن المطلب، حيث كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فدعا عليه النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعمى، ويثكل ولده، فأصابه ذلك(١).

ودعا على مالك بن الطلاطلة، فأشار جبريل إلى رأسه، فامتلأ قيحاً فمات(٢).

ثم ما جرى للحكم بن أبي العاص حيث كان يحكي مشية النبي «صلى

= ص٤١١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨٩ والبداية والنهاية ج٦ ص١٠١ وراجع: تفسير السمعاني ج٢ ص٣٥٩.

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧ و (ط دار صادر) ج٢ ص٧٤ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٣٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٤٦١ والغدير ج١ ص٢٥٩ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٥١٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٨٠.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧ و (ط دار صادر) ج٢ ص٧٥ والغدير ج١ ص٢٥٩ وراجع: بحار الأنوار ج١٨ ص٤٩ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٢٠ وتفسير مجمع البيان ج٦ ص١٣٣ وجامع البيان ج١٤ ص٩٥ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٨٠ وسيرة ابن إسحاق ج٥ ص٢٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٧٨.

الله عليه وآله»، فرآه «صلى الله عليه وآله»، فقال: كن كذلك، فكان الحكم مختلجاً يرتعش منذئذٍ[١].

وما جرى لجمرة بنت الحارث، فقد خطبها النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال أبوها: إن بها سوءاً، ولم تكن كذلك، فرجع إليها، فوجدها قد برصت[٢].

ولعلها كانت تستحق هذا العذاب، بسبب بعض ما كانت تبطنه أو تظهره من سيئات الأعمال، أو يقال: هناك آثار وضعية قد يبتلى بها الأبناء، بسبب فعل الآباء، ويكون الأبناء ضحية عدوان آبائهم فيثابون إن عاشوا وصبروا، ويعوضهم الله عن ذلك، وليكن هذا من آثار التعامل مع الرسول «صلى الله عليه وآله» بهذه الطريقة. فلا يرد: أنه إذا كان أبوها قد أذنب فما

---

(١) راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٢١٨ و (ط دار الجيل) ج١ ص٣٥٩ والنهاية في اللغة ج٢ ص٦٠ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص١٠١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٥٠ والإصابة ج١ ص٣٤٥ و ٣٤٦ وبحار الأنوار ج٣١ ص١٧٣ والخصائص الكبرى ج٢ ص١٣٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٢١٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص٢٣٩ و ٢٤٠ والغدير ج١ ص٢٦٠ وج٨ ص٢٤٤.

(٢) راجع الإصابة ج١ ص٢٧٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٦٦٣ والخصائص الكبرى ج١ ص١٣٣ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٩٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤١٨ والغدير ج١ ص٢٦٠ الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٩.

ذنبها هي ؟!

وما جرى لذلك الرجل الذي كذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

وما جرى لابن أبي لهب، فإنه سب النبي «صلى الله عليه وآله»، فدعا الله أن يسلط عليه كلبه، فافترسه الأسد[٢].

هـ: قد هدد الله تعالى قريشاً بقوله: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾[٣].. فإن كان مناط الحكم في هذه الآية هو إعراض الجميع، فإن الصاعقة لم تأتهم، لأن بعضهم قد آمن. ولو أنهم استمروا جميعاً على الضلال لأتاهم ما هددهم به.

ولو كان وجود النبي «صلى الله عليه وآله» مانعاً من جميع أقسام العذاب، لم يصح هذا التهديد.. ولم يصح أن يصيب الحكم بن أبي العاص، وغيره ممن تقدمت أسماؤهم شيء من الأذى..

---

(١) راجع: الخصائص الكبرى ج١ ص٢٤٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص٢٤٥ والغدير ج١ ص٢٦٠ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٨٤.

(٢) الغدير ج١ ص٢٦١ وجامع البيان للطبري ج٢٧ ص٥٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٢٥٠ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٩٤ والدر المنثور ج٦ ص١٢١ والخصائص الكبرى ج١ ص١٤٧ و ٢٤٤ والنهاية في اللغة ج٣ ص٩١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٣٣٨ و ٣٣٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٥٨٨ و ٥٨٥ و ٥٨٦ حديث رقم ٣٨٣ و ٣٨١ و ٣٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٦٥.

(٣) الآية ١٣ من سورة فصلت.

وعن الدليل الخامس أجاب «رحمه الله»:

إن حادثة الفيل استهدفت تدمير أعظم رمز مقدس للبشرية بأسرها، فالدواعي متوفرة على نقلها.. وليست مرتبطة بعلي «عليه السلام» بحسب الظاهر.

أما قصة هذا الرجل الذي واجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قضية الغدير، المرتبطة بعلي «عليه السلام» في أهم قضية تعنيهم وهي الإمامة، فالدواعي لنقلها أقل بكثير، وهي ككثير من معجزات الرسول «صلى الله عليه وآله» التي نقلت عن طريق الآحاد، وبعضها قبله المسلمون من دون نظر في سنده..

بل الدواعي متوفرة على طمس هذه القضية، وذلك إمعاناً في إضعاف واقعة الغدير، وإبعادها عن أذهان الناس، وحمل الناس على نسيانها، لأنها تمثل إدانة خطيرة لفريق تقدسه طائفة كبيرة من الناس.. وتمثل معنى هاماً في فضل علي «عليه السلام».

وأما دعواهم: أن المصنفين قد أهملوا هذه القضية، فهي مجازفة ظاهرة، إذ قد تقدم أن كثيرين منهم قد رووها..

وعن الدليل السادس أجاب «رحمه الله»:

بأن الحديث كما أثبت إسلام الحارث، فإنه قد أثبت ردته.. والعذاب نزل عليه بعد ردته، لا حين إسلامه، فلا يصح قوله: إنه لم يصب العذاب أحداً من المسلمين في عهد النبي «صلى الله عليه وآله».

ثم ذكر شواهد عن عذاب لحق بعض المسلمين في عهد رسول الله

«صلى الله عليه وآله» كقصة جمرة بنت الحارث، وغيرها.

وقصة ذلك الذي أكل عند النبي «صلى الله عليه وآله» بشماله، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: كل بيمينك.

فقال: لا أستطيع.

قال: لا استطعت. فما رفعها إلى فيه بعد[١]. وقد رواها مسلم في صحيحه.

وقصة الأعرابي الذي عاده رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا بأس، طهور إن شاء الله.

قال: قلت: طهور؟! كلا بل حمى تفور (أو تثور)، على شيخ كبير، تزيره القبور.

قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: فنعم إذا.

فما أمسى من الغد إلا ميتاً[٢].

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص٢٥٩ ح١٠٧ والغدير ج١ ص٢٦٤ وفتح الباري ج٩ ص٤٥٦ وعمدة القاري ج٢١ ص٢٩ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٤٢٢ وعون المعبود ج١٠ ص١٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٦٧.

(٢) راجع: صحيح البخاري ج٣ ص١٣٢٤ ح٣٤٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٨٣ والمصنف للصنعاني ج١١ ص١٩٧ وكنز العمال ج٩ ص٢١١ وصحيح ابن حبان ج٧ ص٢٢٥ والجوهر النقي ج٣ ص٣٨٢.

وكذا بالنسبة لمن نقى شعره في الصلاة، فقال له «صلى الله عليه وآله»: قبح الله شعرك، فصلع مكانه[(١)].

وأجاب عن الوجه السابع:

بأن معاجم الصحابة لم تستوف ذكر جميعهم، وقد استدرك المؤلفون على من سبقهم أسماء لم يذكروها.

وقد أوضح العسقلاني ذلك في مستهل كتابه «الإصابة» فراجع..

وقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» توفي وكان عدد من رآه وسمع منه زيادة على مئة ألف إنسان..

أضف إلى ذلك: أنه قد يكون إهمال ذكر هذا الرجل في معاجم الصحابة لأجل ردته..

كما أن ما جرى له فيه فضيلة لعلي «عليه السلام» في أكثر الأمور حساسية، فلماذا لا يتجاهل اسمه المتجاهلون؟!

سورة والعصر نزلت في علي عليه السلام:

وقد يتساءل البعض عن المقصود بقوله «صلى الله عليه وآله» في خطبة يوم الغدير: «في علي نزلت سورة ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾.

ويمكن أن يجاب: بأن الأحاديث الشريفة صرحت: بأن المراد بالإنسان

(١) راجع: أعلام النبوة للماوردي ص٨١ و (ط أخرى) ١٣٤ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٧٢ والغدير ج١ ص٢٦٤.

الذي في خسر، هم أعداؤهم «عليهم السلام»، ثم استثنى أهل صفوته من خلقه، حيث قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: آمنوا بولاية أمير المؤمنين ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ ذرياتهم ومن خلقوا بالولاية، وتواصوا بها، وصبروا عليها»[١].

وفي نص: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يعني الإمامة و ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعني بالعترة[٢].

---

(١) البرهان (تفسير) ج٤ ص٥٠٤ و ٥٠٥ ونور الثقلين ج٥ ص٦٦٦ و ٦٦٧ وبحار الأنوار ج٢٤ ص٢١٥ و ج٣٦ ص١٨٣ وج٦٤ ص٥٩ وتفسير القمي ج٢ ص٤٤١ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٧٢.

(٢) البرهان (تفسير) ج٤ ص٥٠٤ و ٥٠٥ ونور الثقلين ج٥ ص٦٦٦ و ٦٦٧ إكمال الدين ص٦٥٦ وبحار الأنوار ج٦٤ ص٥٩ وج٦٦ ص٢٧٠ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٧٤.

الفصل التاسع:

قرائن ودلالات..

لماذا آية الإكمال أولاً؟!:

هنا سؤال يقول: لماذا أوردت آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾(١)، قبل آية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(٢). وهما في سورة واحدة؟! فإن السير الطبيعي للأحداث يفرض تقدم هذه على تلك.. لا سيما وأن القرآن كان ينزل نجوماً..

ونجيب:

أولاً: إن سورة المائدة قد نزلت أولاً دفعة واحدة، إما في حجة الوداع في الطريق، أو يوم عرفة، ثم صارت الأحداث تمر، والآيات المناسبة تنزل مرة ثانية(٣).

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٦١ وراجع ص٣٠ وراجع: تفسير البحر المحيط ج٣ ص٤٢٧ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص١٤٣ والغدير ج١ ص٢٢٧ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢١ وج١١ ص٢٧٨ .

ويدل على نزولها دفعة واحدة ما يلي:

١ ـ عبد الله بن عمرو، قال: أنزلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سورة المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها(١).

٢ ـ عن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لآخذة بزمام العضباء، ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ نزلت المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة(٢).

---

(١) مسند أحمد ج٢ ص١٧٦ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عنه، ومجمع الزوائد ج٧ ص١٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ وفتح القدير ج٢ ص٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٣ ص٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٤٢٤ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٤٩ والسيرة الحلبية ج١ ص٤١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢٥٨.

(٢) مسند أحمد ج٦ ص٤٥٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عنه، وعن عبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر في الصلاة، والطبراني، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي في شعب الإيمان، ومجمع الزوائد ج٧ ص١٣ وجامع البيان ج٦ ص١١٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ و ١٢٦ والبداية والنهاية ج٣ ص٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٤٢٤ والسيرة الحلبية ج١ ص٤٢٤ ومسند ابن راهويه ج٥ ص١٧٤ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٤٨ وذم الكلام وأهله للأنصاري الهروي ج١ ص١٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص١٧٧ و ١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢٥٧.

٣ ـ عن أم عمرو بنت عبس، عن عمها: أنه كان في مسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق كتف راحلته العضباء، من ثقل السورة(١).

٤ ـ عن محمد بن كعب القرظي، قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته، فانصدعت كتفها، فنزل عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

٥ ـ عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسير من حجة الوداع، وهو راكب راحلته، فبركت به راحلته من ثقلها(٣).

أما القول بأنها نزلت منصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحديبية(٤)، فيرده: ما دل على أن سورة المائدة كانت آخر ما نزل.

ثانياً: قالوا: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي،

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن ابن أبي شيبة في مسنده، والبغوي في معجمه، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة، والسيرة الحلبية ج١ ص٤١٥.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد، وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن ابن جرير، وجامع البيان ج٦ ص١١٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٦١ وراجع ص٣٠ وراجع تفسير البحر المحيط ج٣ ص٤٢٧ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص١٤٣ والغدير ج١ ص٢٢٧.

لا شبهة في ذلك»[١]..

وقد رووا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان يقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا..

وقد روي ذلك عن ابن عباس[٢]..

وعن عثمان بن عفان أيضاً[٣]..

---

(١) الإتقان ج١ ص٢٤ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٧ والغدير ج١ ص٢٢٧ وراجع: تحفة الأحوذي ج٨ ص٣٨٠ وإعجاز القرآن الباقلاني (مقدمة المحقق) ص٦٠ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص٦١.

(٢) راجع: الدر المنثور ج١ ص٧ عن الحاكم وصححه، وعن أبي داود، والبزار، والطبراني، والبيهقي في المعرفة وفي شعب الإيمان، والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٢٧٢ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٣ والإتقان ج١ ص٦٢ والبرهان للزركشي (ط دار إحياء الكتب العربية) ج١ ص٢٣٤ و ٢٤١ عن الترمذي والحاكم، والتمهيد ج١ ص٢١٣ وتاريخ القرآن للصغير ص٨١ عن: مدخل إلى القرآن الكريم لدراز ص٣٤، لكن في غرائب القرآن للنيسابوري، بهامش جامع البيان للطبري ج١ ص٢٤ ومناهل العرفان ج١ ص٢٤٠ هكذا: «ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا».

(٣) مستدرك الحاكم ج٢ ص٣٣٠ و٢٢١ وتلخيصه للذهبي بهامشه وغريب الحديث ج٤ ص١٠٤، والبرهان للزركشي ج١ ص٢٣٤ و ٢٣٥ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٣٦ وراجع ص٦١ وغرائب القرآن بهامش جامع البيان ج١ ص٢٤ وفتح =

= الباري ج٩ ص١٩ و ٢٠ و ٣٩ و ٣٨، وكنز العمال ج٢ ص٣٦٧ عن أبي عبيد في فضائله، وابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي داود، وابن الأنباري معاً في المصاحف، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي نعيم في المعرفة، والحاكم وسعيد بن منصور، والنسائي، والبيهقي، وفواتح الرحموت بهامش المستصفى ج٢ ص١٢ عن بعض من ذكر، والدر المنثور ج٣ ص٢٠٧ و ٢٠٨ عن بعض من ذكر، وعن أبي الشيخ، وابن مردويه ومشكل الآثار ج٢ ص١٥٢ والبيان ص٢٦٨ عن بعض من تقدم، وإمتاع الأسماع ج٤ ص٢٤١ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص١٠١٥ وفتح القدير ج٢ ص٣٣١ وعن الضياء في المختارة، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٢ ص٤٨.

وراجع: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص١٠٣ ومناهل العرفان ج١ ص٣٤٧ ومباحث في علوم القرآن ص١٤٢ عن بعض من تقدم، وتاريخ القرآن للصغير ص٩٢ عن أبي شامة في المرشد الوجيز.. وجواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار ج٢ ص٢٤٥ عن أبي داود، والترمذي، وسنن أبي داود ج١ ص٢٠٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٤ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٢ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٦٧ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٠ ومسند أحمد ج١ ص٥٧ و ٦٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٠ وأضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص١١٢ وجامع البيان ج١ ص٦٩ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٦٢ وتهذيب الكمال ج٣٢ ص٢٨٨ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص٦٣.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة(١).

وهذا معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي قدم آية الإكمال على الآية الأخرى بأمر من الله.. مما يعني: أن ثمة مصلحة اقتضت هذا التقديم، فلا بد من البحث في ذلك، فلاحظ ما يلي:

لماذا قدم آية الإكمال؟!:

قد يقال: إن المصلحة في هذا التقديم هي حفظ الإمامة، وحفظ إيمان الناس، وتيسير سبل الهداية لهم، ثم حفظ القرآن عن أن تمتد إليه يد التحريف.

وتوضيح ذلك باختصار شديد: أن الدعوة لا بد أن تواجه بالشدة والعنف من قبل الطغاة والجبارين، ولا بد من قتالهم لمنع بغيهم، ودفع شرهم، وهذا يضع الرسول أمام عدة خيارات هي:

الخيار الأول: أن يباشر النبي القتال بنفسه، فيقتل المعتدين، ومن يعاونهم في عدوانهم..

---

(١) مسند أحمد ج٤ ص٢١٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٠٥ وكنز العمال ج٢ ص١٦ ومجمع الزوائد ج٧ ص٤٨ وتفسير الآلوسي ج١٤ ص٢٢٠ وفتح القدير ج٣ ص١٨٩ والدر المنثور ج٤ ص١٢٨ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٦٨ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص٦٢ و ٦٨.

وهذا يعني: أن لا تصفو نفوس ذويهم له، وأن لا يتمكن حبه «صلى الله عليه وآله» من قلوبهم، فضلاً عن أن يكون أحب إليهم من كل شيء حتى من أنفسهم!!.. كما يفرضه الإلتزام بالإسلام، والدخول في دائرة الإيمان..

وسوف تتهيأ الفرصة أمام شياطين الإنس والجن لدعوة هؤلاء الموتورين إلى خيانته، والكيد له، والتآمر عليه، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

كما أنهم إذا ما اتخذوا ذلك ذريعة للعزوف عن إعلان إسلامهم واستسلامهم.. فإنهم سوف يمنعون الكثيرين ممن له اتصال بهم، من أبناء وأرحام، وأقوام، وحلفاء وأصدقاء، من التعاطي بحرية وبعفوية مع أهل الإيمان، ثم حرمانهم وحرمان من يلوذ بهم من الدخول الجدي في المجتمع الإسلامي، والتفاعل معه، والذوبان فيه.

وإذا لم تصف نفوس بعض الناس، ولم يتمكن حب النبي «صلى الله عليه وآله» من قلوبهم بل اتسع النفاق، وارتد بعضهم واضطهدوا آل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبب ذلك. فإن ذلك لا ينقض ما قلناه لأن ذلك إنما نشأ عن العناد والاستكبار عن قبول الحق، ولأجل مطامع دنيوية وأمراض قلبية. ويدل على ذلك: أن كثيرين غير هؤلاء قد استجابوا للحق، ولم يحملوا غلاً في صدورهم، وأصبحوا من خيرة الناس، قد أحبوا الله ورسوله حسب ما تيسر لكل منهم.

الخيار الثاني: أن يتولى ذلك الآخرون من رجال القبائل المختلفة، مع احتفاظه «صلى الله عليه وآله» بأهل بيته وذوي قرابته.

وهذا سوف يثير لدى الناس أكثر من سؤال، ويضعف عامل الثقة، وقد يؤثر سلباً على اعتقاد الناس بالنبوة، وعلى درجة الإنقياد لها.. ولا أقل من عروض الكدورة على صفاء النوايا، وانحسار الرغبة في التضحية حين يقتضي الأمر ذلك..

مع ملاحظة: أن الناس لا يزالون قريبي عهد بجاهليتهم، ولم يتم اقتلاع مفاهيمها بعد بصورة كاملة، ولم يقطع الناس أشواطاً كبيرة في مسيرة السمو الروحي، والإخلاص لله فيما يحجمون عنه، أو يقدمون عليه..

بل قد يؤسس ذلك لأحقاد بين الفئات والقبائل المختلفة، تنتهي إلى عمليات ثأرية متبادلة.. وسينتهي الأمر بالتمزق والتشرذم، والسقوط في مستنقع الجريمة، ثم في أحضان الرذيلة بأبشع الصور، وأخبثها..

ولذلك نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» يعمل على أن يقابل كل قبيلة بأختها من نفس القبيلة، فيقابل تميم الشام بتميم العراق، وربيعة الشام بربيعة العراق(١)، وهكذا سائر القبائل، لا لأجل أنه يتعامل بمنطق العشيرة والقبيلة.. فإن سيرته خير شاهد على خلاف ذلك، بل لأنه يريد:

أولاً: أن لا يمعن الناس في قتل بعضهم بعضاً، لأن المهم عنده هو وأد

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص٢٢٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص١٨٦ وراجع: أنساب الأشراف ج٢ ص٣٠٥ والفتوح لابن أعثم ج٣ ص١٤١ وراجع ج٢ ص٢٩٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٩ وفيه: أن علياً «عليه السلام» سأل أولاً عن قبائل الشام، فلما أخبروه اتخذ قراره ذاك.

الفتنة بأقل قدر من الخسائر..

الثاني: يريد أن لا تكون هناك ثارات يطلبها أهل القبائل من بعضهم البعض، فإن حصر الأمور بين أفراد القبيلة الواحدة يصعِّب الأخذ بالثأر، ويهيء لصرف النظر عن ذلك بالكلية.

الخيار الثالث: أن يدفع «صلى الله عليه وآله» بأهل بيته الأطهار ليكونوا هم حماة هذا الدين، من دون حرمان غيرهم من العمل بتكليفهم الشرعي، فكان علي «عليه السلام» هو القائد والرائد، والمضحي، والناصر والمحامي عن نبيه، والقاتل لأعداء هذا الدين وأهله، وكان أهل البيت «عليهم السلام» هم شهداء هذه الأمة، وقوام وحدتها، وحفظة عزتها وكرامتها.

وإذا ما سعى الموتورون للإنتقام من علي «عليه السلام» وذريته، وتآمروا عليهم، ومكروا بهم، فلن يجدوا عندهم سوى الرفق والصبر، وقد جرت الأمور على هذا المنوال بالفعل، ولذلك لم يجد الناس أي رغبة بالجحود، والعناد الظاهر للدين، وإعلان الخروج منه، أو إبطان الحقد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو السعي لتحريف كتاب الله.

فالأخذ بهذا الخيار يجسد رحمة الله للناس، والرفق بهم، وتيسير الإيمان لهم، ولذرياتهم، ومن يلوذ بهم..

ولعل هذا هو السبب في أن إسم علي «عليه السلام» لم يذكر في القرآن، مع كثرة ذكره للأمور التي تؤكد فضله «عليه السلام»، وتبين عظيم منزلته، كآية النجوى، والتصدق بالخاتم وهو راكع، وآية إكمال الدين، وغير ذلك

من آيات ترتبط بالإمامة..

وقد قيل للإمام الصادق «عليه السلام»: إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته «عليهم السلام» في كتاب الله عز وجل؟!

فقال: قولوا لهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزلت عليه الصلاة، ولم يسم الله لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي فسر ذلك لهم.

ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهم، حتى كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي فسر ذلك لهم..

ونزلت: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[(١)].. ونزلت في علي والحسن والحسين «عليهم السلام» ـ فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في علي «عليه السلام»: من كنت مولاه فعلي مولاه..

وقال «صلى الله عليه وآله»: أوصيكم بكتاب الله، وأهل بيتي، فإني سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما، حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك..

وقال: لا تعلّموهم فهم أعلم منكم.

وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة..

فلو سكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم يبين مَنْ أهل بيته «عليهم السلام»، لادّعاها آل فلان، وآل فلان. لكن الله عز وجل، أنزله في

---

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

كتابه تصديقاً لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾(١).. فكان علي والحسن والحسين، وفاطمة «عليهم السلام»، فأدخلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الكساء في بيت أم سلمة الخ(٢)..

تناقضات تحتاج إلى حلول:

أجمع أهل السنة، وروى البخاري ومسلم، عن عمر وغيره: أن يوم عرفة في حجة الوداع كان يوم الجمعة(٣).

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٢) راجع: الكافي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ والتفسير الصافي ج١ ص٤٦٢ وج٤ ص١٨٨ وج٦ ص٤٣ عنه، وعن العياشي، وراجع: نور الثقلين ج١ ص٥٠٢ وج٤ ص٢٧٤ وتفسير فرات ص١١١ وكنز الدقائق ج٣ ص٤٤١ و٤٤٢ و (مؤسسة النشر الإسلامي) ج٢ ص٤٩٧ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٠٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢١١ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٨٧ وتفسير الميزان ج٤ ص٤١١ وغاية المرام ج٢ ص٣٥٢ وج٣ ص١١٠ و ١٩٣.

(٣) راجع: صحيح البخاري ج٥ ص١٨٦ وفضائل الأوقات للبيهقي ص٣٥١ وسنن الترمذي ج٤ ص٣١٦ ومسند أحمد ج١ ص٢٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٢٣ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٩ وجامع البيان ج٦ ص١٠٩ و ١١١ والتفسير الكبير ج٥ ص١٩١ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ وسفينة النجاة للتنكابني ص٨٤ والغدير ج١ ص٢٣٦.

وذكر المؤرخون: أن يوم الغدير كان يوم الخميس(١) في الثامن عشر من ذي الحجة.

فإذا كان يوم عرفة هو يوم الجمعة، فيجب أن يكون الثامن عشر من ذي الحجة هو يوم الأحد لا يوم الخميس.

ويؤكد هذا الإشكال قولهم: إن أول ذي الحجة هو يوم الخميس(٢).

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٢٧ والطرائف لابن طاووس ص١٤٦ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٥٦ و ١٧٨ وج٥٥ ص٣٦٨ وج٥٦ ص٢٧ وتأويل الآيات ج١ ص١٥٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٧والمناقب للخوارزمي ص١٣٥ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ج١ ص٣٥٥ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٥ وج٦ ص١٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص١١٨ و ١٣٧ و ٣٦٢ و ٤٣٤ والمسترشد للطبري ص٤٦٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨١و٣٠٣ وج٨ ص٢٧٨ و ٢٨٠و٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٤ و ٣١٥ والغدير ج١ ص٤٢ و ٤٣ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٥ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٩٣ وبشارة المصطفى للطبري ص٣٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٥٥ وج٢٠ ص١٩٨ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه ص٢٣١.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٢٢ ص٥٣٤ عن كتاب التنوير ذو النسبين بين دحية والحسين، وفتح الباري ج٣ ص٣٢٣ وج٤ ص١٠٧ وج٦ ص٨١ وج٨ ص٨٠ =

كما أنه إذا كان يوم الغدير هو يوم الخميس فلا بد أن يكون يوم عرفة هو يوم الثلاثاء.

والقول بأن يوم عرفة كان يوم الخميس كما في بعض الروايات، فلا بد أن يكون الغدير يوم السبت.

بل صرحت بعض الروايات: بأن يوم عرفة، الذي هو يوم نزول سورة المائدة بما فيها آية الإكمال، وهو يوم الإثنين[1]. وهذا لا يتلاءم مع أي من الروايات الأخرى كقولهم لهم إن يوم الغدير كان يوم الخميس.

= و ٩٨ و ٩٩ وعمدة القاري ج٧ ص١٢٤ وج٩ ص١٦٨ وج١٤ ص٢١٨ وج١٦ ص٩٩ وج١٨ ص٦٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص١٢٩ و ١٨٤ و ٢٧٧ وكشف الغمة ج١ ص٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢١٧ و ٣٣٣ و ٥٠٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٨ وج١٢ ص٣٠٦ وراجع: الغدير ج١ هامش ص٤٢.

(١) جامع البيان ج٦ ص٥٤ و ١١٢ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ و ٢٥٩ عنه. وراجع: مجمع الزوائد ج١ ص١٩٦ والمعجم الكبير ج١٢ ص١٨٣ وكنز العمال ج١٢ ص٤٤٥ والتبيان للطوسي ج٣ ص٤٣٦ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٦٧ و ٦٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٢٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٢ ص٣١٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٩٨و٢٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٣٣٣ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٨.

وقولهم: إن أول ذي الحجة كان يوم الخميس أيضاً. ولا يتلاءم أيضاً مع ترديدهم ذلك بين يوم الخميس أو الجمعة.

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي، ويكون الصحح هو يوم الثلاثاء ليكون يوم الغدير هو الخميس.. ويكون التبديل في أسماء الأيام وادعاء أن عرفة يوم الجمعة، أو يوم الإثنين. وكذلك ادعاء أن أول ذي الحجة في تلك السنة هو الخميس قد جاء لأثارة الشبهة حول يوم الغدير.. والله هو العالم بالحقائق.

الإحتجاج بحديث الغدير:

وأما فيما يتعلق بإحتجاجات علي والزهراء، والأئمة الطاهرين من ذريتهما «عليهم السلام»، بحديث الغدير، فحدث عنه ولا حرج.

ويمكن أن يجد القارئ طائفة من هذه الإحتجاجات، والمناشدات، والإستشهادات بهذا الحديث الشريف في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٣٢ ص ٦٦ـ٨٨ فراجع..

زيد بن حارثة في حديث الغدير:

وجاء في حديث احتجاج المأمون على الفقهاء، قول المأمون لإسحاق بن إبراهيم: يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟!

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: إروه.

ففعلت.

قال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث، هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟!

قلت: إن الناس ذكروا: أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة، لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: في أي موضع قال هذا؟! أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟!

قلت: أجل.

قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير!

كيف رضيت لنفسك بهذا؟!

أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس؟! فاعلموا ذلك. أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟!

فقلت: اللهم نعم.

قال: يا إسحاق، أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم، إن الله جل ذكره قال في كتابه: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[1]. ولم يصلُّوا لهم، ولا

---

(١) الآية ٣١ من سورة التوبة.

صاموا، ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم(١).

والظاهر: أن إشكال المأمون هذا قد آتى ثماره، حيث جاء المصلحون بعد ذلك ليقولوا: إن هذه الحادثة قد جرت بين أسامة بن زيد بن حارثة وبين علي.. وقد كان أسامة حياً آنئذٍ، وأن الذي قتل في مؤتة هو أبوه.. فذكروا: أن أسامة قال لعلي «عليه السلام»: لست مولاي، إنما مولاي رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه»(٢).

ومن الواضح: أن إشكال المأمون باستشهاد زيد في مؤتة يدل على أن

---

(١) قاموس الرجال ج١٢ ص١٥٥ والغدير ج١ ص٢١١ ـ ٢١٢ والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص١٨٢ ـ ١٩٧ وفي هامشه عن: العقد الفريد ج٥ ص٩٢ ـ ١٠١ و (ط أخرى) ج٥ ص٥٦ ـ ٦١ و (ط أخرى) ج٣ ص٤٢ وعيون أخبار الرضا للصدوق ج٢ ص١٨٥ ـ ٢٠٠ باختلاف يسير.

(٢) تحفة الأحوذي ج١٠ ص١٤٨ والنهاية في غريب الحديث ج٥ ص٢٢٨ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٧ وفيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص٢٨٢ ومعاني القرآن للنحاس ج٦ ص٤١١ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٦٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٤٢ والغدير ج١ ص٣٨٣ ودليل النص بخبر الغدير ص٥٤ ولسان العرب ج١٥ ص٤١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٤٤ و ٢٩١ وكنز الفوائد ص٢٣٢.

إقحام اسم أسامة قد جاء متأخراً بهدف حل هذا الإشكال.

لكن لو سلمنا باستبدال زيد بأسامة، فإن إشكال المأمون بعدم معقولية أن يقول الرجل: مولاي مولى ابن عمي.. يبقى على حاله..

يضاف إلى ذلك: أنه لو صحت رواياتهم، فلا معنى لأن يوقف النبي «صلى الله عليه وآله» عشرات الآلاف من البشر في حر الرمضاء.

ولا معنى لأخذ البيعة له من سائر من في الصحراء على مفترق الطرق.. فإن الأمر لا يعنيهم من جهة.. والولاء بهذا المعنى لا تطلب فيه البيعة، بل لا معنى لها فيه..

ولا معنى لقول عمر: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة..

ولا معنى لأن يحتاج إلى العصمة من الناس..

ولا معنى لإكمال الدين وإتمام النعمة، ولا معنى.. ولا معنى.. لو كان الأمر ينحصر بهذا الخلاف البسيط بين أسامة وبين علي «عليه السلام»!!

علي عليه السلام كان باليمن:

وذكر ياقوت الحموي: أن محمد بن جرير الطبري «له كتاب فضائل علي بن أبي طالب «عليه السلام»، تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم، ثم تلاه بالفضائل، ولم يتم»(١).

وقال: «وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعده واطَّرحه. وكان قد قال

(١) معجم الأدباء ج١٨ ص٨٠ وقاموس الرجال ج٩ ص١٥٢ والغدير ج١ ص١٥٢.

بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم، وقال: إن علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بغدير خم.

وقال هذا الانسان في قصيدة مزدوجة، يصف فيها بلداً بلداً، ومنزلاً منزلاً، أبياتاً يُلَوِّحُ فيها إلى معنى حديث غدير خم، فقال:

ثم مررنا بغدير خم كم قائل فيه بزور جم

على علي والنبي الأمي

وبلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث غدير خم، فكثر الناس لاستماع ذلك الخ..»(١).

وقال الطحاوي: «فدفع دافع هذا الحديث، وزعم أنه مستحيل، وذكر أن علياً لم يكن مع النبي «صلى الله عليه وآله» في خروجه إلى الحج من المدينة، الذي مرَّ في طريقه بغدير خم بالجحفة..»(٢).

ونقول:

أولاً: تقدم: أن علياً «عليه السلام» عاد من اليمن، ولقي النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة، وساق أربعاً وستين بدنة، وأحرم بما أحرم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحج معه، واشركه النبي «صلى الله عليه وآله» معه في الهدي.

---

(١) معجم الأدباء ج١٨ ص٨٤ والغدير ج١ ص١٥٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧١٣ رقم ٧٢٨ والغدير ج١ ص٣١٤ و ٢٩٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٩٨.

ثانياً: إن تنصيب علي «عليه السلام» لم يكن حين ذهاب النبي «صلى الله عليه وآله» من المدينة إلى مكة، بل كان حين رجوعه «صلى الله عليه وآله» من مكة إلى المدينة، بعد أدائه مناسك الحج[١].

ويظهر من كلام الذهبي: أن صاحب هذا الزعم الباطل هو ابن داود، فعمل ابن جرير كتاب الفضائل ردّ فيه عليه، والظاهر: أنه سماه «كتاب الرد على الحرقوصية»[٢] نسبة إلى حرقوص بن زهير زعيم الخوارج، معرضاً: بأن صاحب هذا الزعم كان خارجياً.

وقال الذهبي: إنه رأى مجلداً من كتاب ابن جرير، فاندهش له ولكثرة

---

(١) إقبال الأعمال ص٤٥٣ و (ط مكتب الإعلام الإسلامي) ج٢ ص٢٧٩ وأشار إلى كتاب ابن جرير في: البداية والنهاية ج١١ ص١٤٦ وتهذيب التهذيب ج٧ ص٣٣٩ وقاموس الرجال ج١١ ص٢٦٤ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص٨٢ والفهرست للطوسي ص١٥٠ وبحار الأنوار ج٩٥ ص٣٠١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٢٨ والغدير ج١ ص٢٣ وأسد الغابة ج١ ص٣٠٨ وتنبيه الغافلين ص٦٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٧٤.

(٢) راجع: مشكل الآثار ج٢ ص٣٠٨ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ والمعتصر من المختصر ج٢ ص٣٠١ والمرقاة في شرح المشكاة ج١٠ ص٤٧٦ وشرح الأخبار ج١ ص٨١ والمسترشد للطبري ص٣٥ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٣٩ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٢٦ والغدير ج١ ص١٥٣ ورجال النجاشي ص٣٢٢ وقاموس الرجال ج٩ ص١٥١ و ١٥٤ و ١٩٣.

تلك الطرق[١].

علي عليه السلام بعد العبدين الصالحين:

ورد في رواية جرير بن عبد الله البجلي لواقعة الغدير: أنه «صلى الله عليه وآله» أخذ بذراع علي «عليه السلام» وقال:

«من يكن الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً. اللهم إنّي لا أجد أحداً استودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين[٢] غيرك[٣]، فاقض له بالحسنى.

---

(١) تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧١٣ ومشكل الآثار ج٢ ص٣٠٨ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للرحماني ص٨٠٧ والمعتصر من المختصر ج٢ ص٣٠١ وفتح الملك العلي ص١٥ والمرقاة في شرح المشكاة ج١٠ ص٤٧٦ والمسترشد للطبري ص٤٣ والكنى والألقاب ج١ ص٢٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٨ والغدير ج١ ص١٥٢ و ٣٠٧.

(٢) الغدير ج١ ص٢٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص١١٣ و ١١٤ وكنز العمال ج١٣ ص١٣٨.

(٣) راجع: الغدير (تحقيق مركز الغدير للدراسات) ج١ ص٦٢١ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٣٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٣٧ والإكمال في أسماء الرجال ص٣٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٦ ص٥٦٤ وج٣٠ ص٤٢٢ عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج١٧ =

= ص٣٥٨ وهداية العقول ص٣١ وقال في الغدير: في تعليق هداية العقول (ص ٣١): لعله أراد بالعبدين الصالحين أبا بكر وعمر، وقيل: الخضر وإلياس.

وقيل: حمزة وجعفر رضي الله عنهما، لأن علياً «عليه السلام» كان يقول عند اشتداد الحرب: وا حمزتاه ولا حمزة لي؟! وا جعفراه ولا جعفر لي؟!

أقول: هذا رجم بالغيب، إذ لا مجال للنظر في تفسير العبدين الصالحين بمن ذكر إلا أن يعثر على نص، والظاهر: عدم ذلك لما ذكره سيدي العلامة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل «رحمه الله» لما سأله بعضهم عن تفسير الحديث، فأجاب بما لفظه: لم أعثر عليه في شيء من كتب الحديث، إلا أن في رواية مجمع الزوائد ما يدل على عدم معرفة الراوي أيضاً بالمراد بالرجلين، لأن فيه قال بشر، أي الراوي عن جرير: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟!

قال: لا أدري.

قال «رحمه الله»: ومثل هذا إن لم يرد به نقل فلا طريق إلى تفسيره بالنظر هـ. راجع: الغدير ج١ هامش ص٦٢.

وقال في كتاب على ضفاف الغدير: وأخرجه عنه أحمد بن عيسى المقدسي في الجزء الثاني من فضائل جرير بن عبد الله البجلي الموجود في المجموع ٩٣ في المكتبة الظاهرية. أخرجه في الورقة ٢٤٠.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه: رقم ٥٨٧، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ص١٧ ص٣٥٨، والقرافي في نفحات العبير الساري: ق٧٦/ ب، والسيوطي في جمع الجوامع ص١ ص٨٣١، وفي قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة=

قال بشر (الراوي عن جرير) قلت: من هذان العبدان الصالحان؟!

قال: لا أدري[1].

ونقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» أشار إلى أن العبدين الصالحين الذين سيكون علي «عليه السلام» ثالثهما بعده، كانا على قيد الحياة، وأن لهما دوراً في وديعته «صلى الله عليه وآله».. ولعلهما: الخضر وإلياس.

لكن لا مجال للتأكيد على أنهما هما اللذان قصدهما «صلى الله عليه وآله» بكلامه هذا.. وإن كان ذلك محتملاً في حد نفسه. بل قد يقال: أن أحداً لا يصلح للاستيداع، مع وجود الحسنين«عليهما السلام» فهو من قبيل: رب لا تذرني فرداً، أو من قبيل: إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، فهو بمثابة طلب حفظ الحسنين «عليهما السلام» على لسان رسول «صلى الله عليه وآله».

= ص٢٧٧ ح١٠٢، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص٢٠٦، والشوكاني في در السحابة ص٢١٠، والكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص١٩٤ وإسحاق بن يوسف الصنعاني في تفريج الكروب في حرف الميم.

(١) الغدير ج١ ص٢٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٦ والمعجم الكبير ج٢ ص٣٥٧ و ٣٥٨ والإكمال في أسماء الرجال ص٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٣٦ وشرح إحقاق الحق ج١٦ ص٥٦٤ وج٣٠ ص٤٢٣ وأسد الغابة ج١ ص٣٠٨ وقال: أخرجه الثلاثة. يريد: ابن عبد البر، وابن مندة، وأبا نعيم.

الزهري.. وحديث الغدير:

وقد حدث الزهري بحديث الغدير، فقيل له: لا تحدث بهذا بالشّام وأنت تسمع ملء أذنيك سب علي.

فقال: والله، إن عندي من فضائل علي «عليه السلام» ما لو تحدّثت بها لقتلت(١).

فكلام الزهري هذا صريح في: أن لديه فضائل أكثر صراحة في حقيقة فضله «عليه السلام»، وأشد إيلاماً لمناوئيه، وأكثر إثارة لغضبهم إلى حد أنها تدفعهم إلى قتله..

إلا إذا كان مراده: أن كثرتها هي الموجبة لغضب أعداء علي «عليه السلام».

فإذا كان الزهري يكتم من فضائله ما يؤدي به إلى القتل، فما بالك بما كان يكتمه العشرات والمئات غير الزهري من فضائله «عليه السلام»؟!

عمر في خدمة جبرئيل:

عن عمر بن الخطاب، قال: نصب رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً علماً، فقال: «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدي عليهم».

---

(١) أسد الغابة ج١ ص٣٠٨ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٢٨ والغدير ج١ ص٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٧٤ و ٣٧٦.

قال عمر بن الخطاب: وكان في جنبي شاب حسن الوجه، طيب الريح، قال لي: يا عمر، لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلا منافق (زاد في مودة القربى، قوله: فاحذر أن لا تحله). (لعل الصحيح: أن تحله، أو فاحذر.. لا تحله).

قال عمر: فقلت: يا رسول الله، إنك حيث قلت في علي كان في جنبي شاب حسن الوجه، طيب الريح قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عقداً لا يحله إلا منافق

فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيدي، فقال: يا عمر، إنه ليس من ولد آدم، لكنه جبرائيل، أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي[1].

ونقول:

إننا نلاحظ ما يلي:

١ـ قول النبي «صلى الله عليه وآله»: اللهم أنت شهيدي عليهم.. كأنه إشارة إلى أن هذا الحدث سوف يتعرض للإنكار من قبل جماعة من الناس، أو على الأقل لتحريف دلالته، والتلاعب بمقاصده ومراميه، المساوق

(١) مودة القربى ص١٨ لشهاب الدين الهمداني، المودة الخامسة، وينابيع المودة ج٢ ص٢٨٤ والغدير ج١ ص٥٧ وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨٧ وج٩ ص٢٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٥٢ وج٢١ ص٦٥ والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء ص٧٣ عن الكوكب الدري للكشفي ص١٣١ المنقبة رقم١٥٤.

لإنكاره. وسيعرض الأمر يوم القيامة للحساب والمطالبة، فيحتاج «صلى الله عليه وآله» إلى الشهادة له بأنه قد ابلغهم مقاصده، واضحة لا لبس فيها.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» حين أراد أن يخبر عمر بحقيقة ذلك الشاب الحسن الوجه، الطيب الريح أخذ بيد عمر، لكي تتشارك المشاعر في وعي وحفظ ما سيلقيه إليه.. فإن تحريك الحواس الظاهرية باللمس، ونبرات الصوت، وبتعابير الوجه، يجعل المشاعر أكثر تحفزاً لمتابعة ما يجري بانتباه أشد، ويهيء الذاكرة لاختزان ذلك كله بصورة أعمق وأدق.

٣ ـ إن جمال ذلك الشاب قد لفت نظر عمر، حيث لم يعهد في نظرائه وأقرانه جمالاً أو طيب ريح يستحق الذكر، إلا ما كان من ذلك في بني هاشم.

ثم جاءت كلمة ذلك الشاب متوافقة مع مظهره في التأثير على عمر إلى حد دعاه إلى استيضاح الحال من النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة.

ولعله كان يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو أن يسجل شكواه منه، علّه يسمع من النبي «صلى الله عليه وآله» استنكاراً لكلام ذلك الشاب وإدانة له، لكي يرتاح عمر، وتهدأ خواطره، ويزول بلباله.. ولكن عمر فوجئ بما أخبره به رسول الله، وهو أن ذلك الشاب هو جبرئيل..

ولنا أن نتصور كم كان عمر يحلم في أن يروي للناس أنه قد رأى جبرائيل، مباهياً بذلك ومفاخراً.. ولكن ما يصده عن ذلك كان أعظم وأخطر، فإن حديث جبرائيل قد نص على نفاق من يحل العقدة التي عقدها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام».

وهل يمكن أن يرضى أولئك الذين ساروا في هذا الإتجاه بما قاله

جبرئيل عنهم؟!

وإذا كان جبرئيل قد قال ذلك، فكيف يمكن بعد هذا ادعاء أن هذا التصرف كان من ابتكارات رسول الله «صلى الله عليه وآله» حباً بصهره وابن عمه؟

ماذا بعد الأئمة؟!:

قلنا: إن قريشاً كانت مهتمة بصرف الأمر عن علي «عليه السلام» بأي ثمن كان، ولو بإثارة الشبهات والشكوك حول عدل النبي وإنصافه، بل إلى حد اتهامه في عقله، حين قالوا: إن النبي ليهجر، فضلاً عن الشائعات وحياكة المؤمرات.. التي كانت تدفع بها في كل اتجاه.. وكانت تمانع بالفعل وبالقول، وتتحدى، وتعج، وتضج، ولكنه «صلى الله عليه وآله» لم يزل يهتف باسمه، ويعمل لإحكام أمره، وتثبيت إمامته من بعده. حتى أمام الحشود الغفيرة في يوم عرفة.

وحين غُلِبت قريش على أمرها، وأعلن النبي للأمة كلها يوم عرفة: أن الأئمة الإثني عشر كلهم من قريش، ومن بني هاشم قصدته قريش إلى منزله، ليستوضحوا منه الأمر عن هؤلاء الأئمة، وماذا يكون من بعدهم، لترى إن كان لها نصيب، ولو بعد انقضاء عهد الأئمة، وإذ بها تفاجأ بقوله: ثم يكون الهرج، وفي نص آخر: (الفرج)، كما رواه الخزاز[١].

---

(١) راجع: كفاية الأثر ص٥٢ ويقارن ذلك مع ما في إحقاق الحق (الملحقات) وغيبة النعماني ص١٠٤ والغيبة للطوسي ص١٢٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٥٠ =

أي يوم أعظم حرمة؟!:

ولكي نربط الأحداث ببعضها نعود فنذكر القارئ بما جرى في عرفة، فنقول:

إنه بالرغم من أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد ذكرهم بشرف الزمان، وشرف المكان، وشرف المناسبة، فإن ذلك لم يمنعهم من إساءة الأدب مع رسول الله والإسراف في التحدي لله ولرسوله، فقد سألهم: عن أي شهر أعظم حرمة، وأي بلد أعظم حرمة، وأي يوم أعظم حرمة(١).

= وغيرهم. فإنهم صرحوا بان قريشاً هي التي أتته. وراجع: الصوارم المهرقة للتستري ص٩٣ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٦٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٢٧ ومسند أحمد ج٥ ص٩٢ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٠٩ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٢٥٣ وتهذيب الكمال ج٣ ص٢٢٤ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٧٩ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٣٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣ و ١٦ و ٢٠ وج٢٩ ص٩١ و ٩٤ و ٩٦.

(١) راجع هذه الفقرات الواردة في خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع في المصادر التالية: مسند أحمد ج٣ ص٣١٣ و ٣٧١ وكنز العمال ج٥ ص٢٨٦ و ٢٨٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٠٠ والكافي ج٧ ص٢٧٣ و ٢٧٥ ودعائم الإسلام ج٢ ص٤٨٤ والمجموع للنووي ج٨ ص٤٦٦ وج١٤ ص٢٣١ والمحلى لابن حزم ج٧ ص٢٨٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٩ ص١٠ و (ط دار الإسلامية) ج١٩ ص٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٦٧ وتفسير نور الثقلين =

فأقروا له بالحقيقة، ولكن ذلك لم يمنعهم من العجيج والضجيج، والتحدي.

ولا ندري ماذا كان سيحصل لو أنه «صلى الله عليه وآله» صرح لهم بإسمه «عليه السلام» في ذلك الموقف، فهل كانوا سيكتفون بشتم النبي «صلى الله عليه وآله» (والعياذ بالله) أم أنهم سيتجاوزون ذلك إلى قذفه بالحصباء أو بالحجارة، أو إلى ما هو أعظم من ذلك؟! وهو مباشرة قتله والعياذ بالله!!

التهديد الإلهي حسم الأمر:

وحين جاء التهديد الإلهي لهم، الذي صرح باعتبارهم في دائرة الكفر الذي يفتح باب الحرب معهم، وتضمن تطمين النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أنهم سيكونون عاجزين عن فعل أي شيء يضر في أمر إبلاغ ذلك الأمر الخطير، وإقامة الحجة كما يريده الله في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

= ج١ ص٦٥٥ وتفسير القمي ج١ ص١٧١ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٨٧ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١١٣ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص٣٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٩١ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص١٠٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٧٠ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وحين أبلغهم أن الله سبحانه يعتبر عدم إبلاغ هذا الأمر بمثابة عدم إبلاغ أصل الدين وأساس الرسالة.. مما يعني: أنه قد يحل بهم عذاب الإستئصال، فهو ينذرهم بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، أو على الأقل أنه سيعاملهم على أساس أنهم عادوا إلى نقطة الصفر، التي اقتضت حرب بدر، وأحد، والخندق، وحنين وسوى ذلك.. وهذا ما لا طاقة لهم به..

نعم.. حين بلغ الأمر إلى هذا الحد، قرروا الإنحناء أمام العاصفة، واللجوء إلى سياسة المداراة والمكيدة، وانتظار الفرصة.. حتى لا تحل كارثة فاضحة، تتلاشى معها جميع الآمال..

ولزمتهم الحجة بالبيعة التي أعطوها له «عليه السلام» يوم الغدير، وقامت الحجة بذلك على الأمة بأسرها.. ولم يكن المطلوب أكثر من ذلك..

وكان ذلك قبل استشهاده «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً.

محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله:

ومما يذكر هنا: أن بعض النصوص يقول: إن تنفير الناقة برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة ليسقط في ذلك الوادي السحيق قد كان بعد حجة الوداع، وبعد البيعة لعلي «عليه السلام» يوم الغدير..

ويمكن ترجيح هذا النص، لكثير من الإعتبارات التي ألمحنا إليها في كتابنا هذا وفي كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

الباب الثاني عشر:

من تاريخ علي عليه السلام في عهد الرسول صلى الله عليه وآله ..

الفصل الأول:

أحداث ذات مغزى..

أبو هريرة أعلم من أبي بكر وعمر:

وحدث أبو هريرة: أنه كان في المدينة مجاعة، ومر بي يوم وليلة لم أذق شيئاً، وسألت أبا بكر آية كنت أعرف بتأويلها منه، ومضيت معه إلى بابه، وودعني وانصرفت جايعاً يومي.

وأصبحت وسألت عمر آية كنت أعرف منه بها، فصنع كما صنع أبو بكر.

فجئت في اليوم الثالث إلى علي، وسألته ما يعلمه فقط. فلما أردت أن أنصرف دعاني إلى بيته، فأطعمني رغيفين وسمناً، فلما شبعت انصرفت إلى رسول الله.

فلما بصر بي ضحك في وجهي وقال: أنت تحدثني أم أحدثك، ثم قص علي ما جرى، وقال لي: «جبرئيل عرفني»[1].

ونقول:

نلاحظ هنا أموراً نقتصر منها على ما يلي:

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٢ و(ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٤٧ و (ط أخرى) ج٢ ص٧٣ وبحار الأنوار ج٤١ ص٢٧.

١ ـ إن أبا هريرة يصف نفسه بأنه أعرف من أبي بكر وعمر بتأويل الآيات التي سألهما عنها، فكيف نوفق بين قوله هذا، وبين قول الناس الذين لم يروا أبا بكر ولا غيره من الصحابة: بأنه أعلم من أبي هريرة وغيره؟!

٢ ـ إنه ذكر: أنه سأل علياً عما يعلمه فقط، أي سأله عما يعلمه هو دون سواه.. ولا يعلمه غيره..

فدل أيضاً بذلك على أنه يرى أن لدى علي «عليه السلام» علوماً قد تفرد بها عن غيره، وذلك ينقض أيضاً دعواهم لحوق غيره «عليه السلام» به. فضلاً عن دعواهم الغريبة والمضحكة للثكلى: أن غيره «عليه السلام» أعلم منه.

٣ ـ لا بأس بالمقارنة بين فعل علي «عليه السلام» مع أبي هريرة بعد جوابه له، وبين فعل غيره معه!!

٤ ـ نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ذكر لأبي هريرة أن جبرئيل عرفه بما جرى.. وذلك يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف بتفاصيل ما يجري للناس، وأن ذلك كان بواسطة الوحي الإلهي.. فليس لأبي هريرة ولا لغيره: أن يظن أنه قد اطلع على ما جرى بنفسه، أو بإخبار علي «عليه السلام» إياه، أو بواسطة ناظر ومراقب من الناس، أو بأية وسيلة أخرى قد يتوهمها متوهم.

لو كان علي عليه السلام معكم لما ضللتم:

وعن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن «عليه السلام»: أن ماعز بن مالك أقر عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالزنا، فأمر به أن يرجم،

فهرب من الحفرة، فرماه الزبير ـ بن العوام ـ بساق بعير، فعقله به فسقط، فلحقه الناس، فقتلوه.

فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك، فقال: هلا تركتموه يذهب إذا هرب، فإنما هو الذي أقر على نفسه. وقال: أما لو كان علي حاضراً معكم لما ضللتم.

قال: ووداه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مال المسلمين(١).

ونقول:

١ ـ إن من يثبت عليه الزنا بإقراره يرجم، ولكنه إذا هرب من الحفيرة، لا يعاد إليها، بل يكف عنه، وكأنه لأجل أن هربه بمثابة رجوع عن إقراره ذاك.

٢ ـ إن كلمة النبي «صلى الله عليه وآله»: «أما لو كان علي حاضراً معكم لما ضللتم» يفيد ما يلي:

ألف: إن هذ الحكم كان قد بلغهم، ولكنهم ضلوا، بعد هدايتهم.

ب: إن التعبير بالضلال دون التعبير بالنسيان، أو الغفلة يشعر بذمهم على ذلك، وأنهم غير معذورين في فعلهم..

ج: إن وجود علي «عليه السلام» معهم يفرض عليهم الإلتزام بأحكام الله، ويمنع من انسياقهم وراء عصبياتهم، وميولهم وأهوائهم، حين يريدون

---

(١) الكافي ج٧ ص١٨٥ والمحاسن للبرقي ج٢ ص٣٠٦ ووسائل الشيعة ج١٨ ص٣٧٦ وبحار الأنوار ج٧٦ ص٤٤.

إجراء الأحكام.

٣ ـ يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» وصفهم بالضلال حين فقدهم علياً «عليه السلام» من دون تقييد، فلم يقل: ضللتم عن ذلك الحكم..

ليفيد: أن ضلالهم حين يفقدون النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام» يكون عاماً وشاملاً..

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يؤاخذهم بفعلهم هذا، ولم يغرمهم ديته، لأنهم يدعون الغفلة عن الحكم ونسيانه، أو عدم سماعه من الرسول «صلى الله عليه وآله».. فلا محيص من معاملتهم وفقاً لما يظهرونه . ولو أمكن تحصيل العلم بالوسائل العادية بوجود متعمد بينهم على سبيل الإجمال، فيصعب تحديد المتعمد للقتل منهم، ويصعب أيضاً تحديد القاتل بصورة أو بأخرى.

٥ ـ وربما كان غير علي «عليه السلام» يعرف الحكم، ولو كان حاضراً معهم لعرفهم به كسلمان مثلاً. ولكن بما أنهم قد لا ينقادون له، لأنهم يستضعفونه، ويتعصبون عليه. أو قد يلجأون إلى تكذيبه .. إلى غير ذلك من حالات وتصرفات. إلا أنهم لا يمكنهم ممارسة ذلك مع علي «عليه السلام» ، فإنه «صلى الله عليه وآله» حصر أمر إعادتهم إلى جادة الصواب به..

يضاف إلى ذلك: أنه «عليه السلام» هو الهادي لهم، والمبين ما يختلفون فيه بعد وفاته كما قاله «صلى الله عليه وآله»، وكما أثبتته الوقائع والأحوال.

أعتق علي عليه السلام ألف مملوك:

١ ـ روى عنبسة العابد عن عبد الله بن الحسين بن الحسن، قال: أعتق علي «عليه السلام» في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ألف مملوك مما مجلت يداه، وعرق جبينه، ولقد ولي الخلافة، وأتته الأموال ، فما كان حلواه إلا التمر ، ولا ثيابه إلا الكرابيس(١).

٢ ـ عن الصادق «عليه السلام»: أنه أعتق ألف نسمة من كد يده، جماعة لا يحصون كثرة(٢).

ونقول:

إن اهتمام علي «عليه السلام» بعتق المماليك يدل على عمق شعوره الإنساني معهم، حتى إنه «عليه السلام» ليعمل حتى تمجل يداه من أجل أن يدخل السرور على قلوبهم في أعز شيء لديهم، ألا وهو أنفسهم، حيث ينيلهم نعمة الحرية والخلاص من العبودية.

وهذا يدل على أنه كان يفكر في الآخرين بطريقة تختلف عن تفكير

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٠٢ والغارات (هامش) ج١ ص٩٢ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٣٨ و ١٣٩ ونهج السعادة ج٨ ص٤٤٧ وشرح إحقاق الحق ج٣٢ ص٢٤٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص.. و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٨٨ و (ط أخرى) ج٢ ص١٢٢ وبحار الأنوار ج٤١ ص٣٢ وراجع: الثاقب في المناقب ص٤٠٥ ونهج السعادة ج٨ ص٤٥٢.

غيره. فهو يفكر في إسعادهم، وغيره يزيد في إسعاد نفسه بتعب غيره..

وقد ذكرنا في بعض فصول هذا الكتاب: اعتراض عمر على علي «عليه السلام» حين تسبب في عتق سبي الفرس بإعتاقه نصيبه منهم.

هبني سيفك:

روي: أن علياً «عليه السلام» كان يحارب رجلاً من المشركين، فقال المشرك: يا بن أبي طالب هبني سيفك!!

فرماه إليه.

فقال المشرك: عجباً يا بن أبي طالب، في مثل هذا الوقت تدفع إلي سيفك!

فقال: يا هذا، إنك مددت يد المسألة إليَّ، وليس من الكرم أن يرد السائل.

فرمى الكافر نفسه إلى الأرض، وقال: هذه سيرة أهل الدين، فقبل قدمه، وأسلم(١).

ونقول:

١ ـ قد يتخيل البعض: أن إقدام علي «عليه السلام» على إعطاء سيفه لذلك المشرك ليس تصرفاً محموداً، بل هو خلاف الحكمة.. لأن فيه إلقاء للنفس في التهلكة. وهو أمر يمنع منه العقل والشرع، فلا ينبغي عدُّ ذلك

---

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٦٩ عن أبي السعادات في فضائل العترة، ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص.. و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٥٨ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٦٠٢ ونهج السعادة ج٨ ص٢٧٩.

من فضائله «عليه السلام». بل هو إما مكذوب عليه، أو أن على الشيعة أن يتخلوا عن معنى العصمة فيه «صلوات الله وسلامه عليه»..

وهو خيال باطل، لأن هذا التصرف إنما يكون خلاف الحكمة، وممنوعاً منه عقلاً وشرعاً لو كان علي «عليه السلام» قد فقد السبيل به للنصر على عدوه والوسيلة للتحرز منه. أما إذا كان واثقاً من قدرته عليه، فإن ذلك لا يوجب خللاً في الحكمة، ولا في العصمة..

ولا نقول ذلك على سبيل التخيل والتنظير، والإحتمال العقلي، فقد قرأنا: أنه «عليه السلام» قد انتصر على أعدائه بسيف أعدائه رغم كثرتهم، مثل ما جرى له يوم بات على الفراش ليلة الهجرة. حيث أخذ سيف خالد بن الوليد وصال على مهاجميه، وكانوا عشرة حتى أخرجهم من البيت، وثمة نظائر أخرى لذلك أيضاً تجدها في ثنايا هذا الكتاب..

٢ ـ إنه «عليه السلام» أراد أن يقدم لذلك المشرك الأمثولة العملية في الخلق الإسلامي الرفيع، وفي الشجاعة، وفي الثقة بالنفس..

٣ ـ وقد تلقفها ذلك المشرك بتدبر، وحكمة، وبفطرة صافية، فوجدت السبيل إلى قلبه، فانفتح قلبه وعقله على مُثُلِ الإسلام العليا. وكان ذلك سبب هدايته وسلامته.. لأنه كان يعرف أن الشرك لا يهدي إلى مكارم الأخلاق، بل إلى ضدها، حيث يكرس حب الدنيا والتعلق بها في قلب الإنسان، ويجعله قاسياً وأنانياً، يضحي بكل شيء في سبيل حفظ نفسه، وفي سبيل الحصول على الملذات. وإن الدين والأمل بما عند الله سبحانه هو الذي ينتج هذا الخلق، ويدعو الإنسان إلى الإلتزام به، حتى في مثل هذه الحالات..

علي عليه السلام في حديث المعراج:

النعماني: بسنده عن محمد بن علي الباقر «عليهما السلام»، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الله أوحى إلي ليلة أسري بي: يا محمد، من خلفت في الأرض على أمتك؟! وهو أعلم بذلك.

قلت: يا رب أخي.

قال: يا محمد، إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة، فاخترتك منها، فلا أُذْكَر حتى تُذْكَر معي، فأنا المحمود وأنت محمد.

ثم إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة أخرى، فاخترت منها علي بن أبي طالب وصيك، فأنت سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء، ثم شققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي.

يا محمد، إني خلقت علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة من نور واحد، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان من المقربين، ومن جحدها كان من الكافرين.

يا محمد، لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع، ثم لقيني جاحداً لولايتهم أدخلته النار.

ثم قال: يا محمد، أتحب أن تراهم؟!

فقلت: نعم.

فقال: تقدم أمامك.

فتقدمت أمامي، فإذا علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجة القائم كأنه الكوكب الدري في وسطهم.

فقلت: يا رب من هؤلاء؟!

قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم، محلل حلالي ومحرم حرامي، وينتقم من أعدائي.

يا محمد، أحببه، فإني أحبه وأحب من يحبه(١).

ونقول:

يحسن ملاحظة ما يلي من نقاط:

١ ـ إن الوحي الإلهي المتضمن للسؤال عن الذي خلفه النبي «صلى الله عليه وآله» في الأرض يشير إلى أن أصل الإستخلاف أمر مفروغ عنه، ولذلك لم يقل له: هل استخلفت؟! فإذا كانت الرحلة المختصرة له «صلى الله عليه وآله» تحتاج إلى الإستخلاف على الأمة، فهل يمكن أن يستغني عن الإستخلاف حين يرحل عن هذه الدنيا؟!

٢ ـ ودل هذا السؤال أيضاً على أن المطلوب هو الإستخلاف في الأمة

---

(١) الغيبة للنعماني ص٩٣ الباب الرابع حديث ٢٥، وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٢٢ و ٢٨٠ ومقتضب الأثر للجوهري ص٢٣ و ٢٦ وغاية المرام ج٢ ص٢٤١ وج٣ ص٧٧.

كلها، ولا يكفي الإستخلاف على الأهل والمال والولد، وغير ذلك من الشؤون المرتبطة به كشخص.

٣ ـ وقد بين الإمام «عليه السلام»: أن هذا السؤال الإلهي ليس على ظاهره، بحيث يراد منه حصول المعرفة بالمسؤول عنه، فإن الله تعالى منزه عن العجز والجهل، وكل نقص.. بل هو سؤال تقريري يراد به التوطئة لتعريف الآخرين بأمر يحتاج إلى هذا النوع من البيان.. فهو على حد قول الله تعالى لعيسى بن مريم: ﴿**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[1].

٤ ـ والجواب بيا رب أخي، ربما يريد أن يشير إلى بعض صفات خليفته في أمته، وهو أن يكون موضع ثقته، كما يثق الإنسان بأخيه، الذي يكون يكون أعرف الناس به.. وربما يشير به أيضاً إلى منزلته في الفضل والكرامة، حتى استحق أن يتخذه أخاً له، ليدل على قربه فيه، وشبهه به في الحالات والخصوصيات.

٥ ـ وقد اكتفى «صلى الله عليه وآله» بهذا التوصيف عن ذكر الإسم، ليأتي تطبيق الوصف على الوصوف، من قبل الله تعالى مباشرة، ليدلنا على أنه يمكن معاينة هذا الوصف في علي «عليه السلام»، فهو موجود فيه بالفعل.. وليس فيه ادعاء ولا مبالغة، ولا مجازية.

٦ ـ ثم جاء الإخبار الإلهي عن اختيار الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه

(١) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

وآله»، وللوصي في شخص علي«عليه السلام»، وجعل النبوة والوصاية لهما، ليؤكد أن النبوة والوصاية شأن إلهي لا يرجع للبشر، ولا يحق لهم أن يتدخلوا فيه.

٧ ـ إنه تعالى ذكر: أنه هو الذي اشتق لعلي «عليه السلام» اسماً من أسمائه. فدل على أنه تعالى قد ألهم أباه هذا الاسم، ليظهر كمال الإتصال به، والحب له. ولتكن هذه إشارة إلى إيمانه الذي أثبتته الأدلة القاطعة، وإن كان بعض الناس ينكره، بلا مبرر معقول، أو مقبول.

٨ ـ وقد جعل تعالى: جحد ولاية المعصومين الأربعة عشر سبباً للكفر ودخول النار، ليدل على أن الموجب للكفر هو إنكار الولاية عن علم ومعرفة، أما لو لم يعتقد بالولاية، ولم يصل الأمر إلى حد الجحود لما هو معلوم عنده، فلا يكفر بذلك.

٩ ـ وقد أكد تعالى مقام الحجة من آل محمد «عليه وعليهم السلام»، وأنه في وسط المعصومين كالكوكب الدري.. مبيناً أنه هو الذي سوف ينتقم من أعداء الله، ليكون هذا داعياً للناس إلى الإحتياط لأنفسهم، لأنهم يخاف من المجهول، ويسعى الإنسان للتحرز مما خفي عنه فيه.. فكيف إذا عرَّفه بحقيقة ما خفي عليه عالم الغيب والشهادة. فإن المفروض في هذا الحال هو كمال التحرز، والطاعة والإنقياد..

وفي الروايات إشارات كثيرة أخرى، نسأل الله سبحانه أن يوفق أهل الفكر والفضل، لاستخلاصها، وعرضها للناس للإستفادة منها..

إبليس مؤجل إلى الوقت المعلوم:

١ ـ عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: بينا نحن بفناء الكعبة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يحدثنا، إذ خرج علينا مما يلي الركن اليماني شيء عظيم، كأعظم ما يكون من الفيلة.

قال: فتفل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: «لعنت».

أو قال: «خزيت» ـ شك إسحاق ـ.

قال: فقال علي بن أبي طالب: ما هذا يا رسول الله؟!

قال: «أوما تعرفه يا علي»؟!

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «هذا إبليس»، فوثب إليه، فقبض على ناصيته، وجذبه فأزاله عن موضعه. وقال: يا رسول الله، أقتله؟!

قال: «أوما علمت أنه قد أجل إلى الوقت المعلوم»؟!

قال: فتركه من يده. فوقف ناحية ثم قال: ما لي ولك يا ابن أبي طالب؟!

والله ما أبغضك أحد إلا وقد شاركت أباه فيه. اقرأ ما قاله الله تعالى: **﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾**[(١)]»[(٢)].

---

(١) الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

(٢) تاريخ بغداد ج٤ ص٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي ج٢ ص٢٢٦ و =

٢ ـ عن الكنجي، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال علي بن أبي طالب: رأيت النبي «صلى الله عليه وآله» عند الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه، فقلت: ومن هذا الذي يلعنه رسول الله؟!

قال: هذا الشيطان الرجيم.

فقلت: والله يا عدو الله، لأقتلنك. ولأريحن الأمة منك.

قال: ما هذا جزائي منك!

قلت: وما جزاؤك مني يا عدو الله؟!

قال: والله ما أبغضك أحد قط إلا شاركت أباه في رحم أمه[1].

= (ط دار الفكر) ج٤٢ ص٢٨٩ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٣٨٦ وميزان الإعتدال ج١ ص١٩٧ ولسان الميزان ج١ ص٣٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٢٢٥ وج١٨ ص٢٢٥ وج٢١ ص٥٨٧ وج٣٠ ص٣٤٣ عن مختصر تاريخ دمشق (نسخة طوب قبوسراي بإسلامبول) ج ١٧ ص ١٤ و (ط دار الفكر) ج١٧ ص٣٧٣.

(١) تاريخ بغداد ج٤ ص٥٧ والغدير ج٤ ص٣٢٤ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص١٥٩ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٩١ وتاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي ج٢ ص٢٢٧ و (ط دار الفكر) ج٤٢ ص٢٩٠ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٣٨٥٦ وميزان الإعتدال ج١ ص١٩٧ والكشف الحثيث ص٦٥ وكفاية الطالب ص٦٩ ولسان الميزان ج١ ص٣٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٢٢٥.

ونقول:

أولاً: لا مانع من تكرر ظهور إبليس، تارة عند الصفا، وأخرى بفناء الكعبة مما يلي الركن اليماني..

ثانياً: يلاحظ: أن إبليس قد ظهر هنا وهناك في صورة الفيل، فما هي خصوصية الفيل في ذلك على غيره؟! هل هي أن الفيل من المسوخ أي من الحيوانات التي مسخ الله بعض الجبارين المسرفين على صورتها؟! أم لأنه أراد التهويل على الناس، لكي لا يتجرأ أحد على أن يقصده بسوء؟! أم لسبب آخر لا نعلمه؟!

ثالثاً: إن تمكن أمير المؤمنين «عليه السلام» منه وإذلاله، يدل على خصوصية له «عليه السلام» .. وهو من المثوبات التي وفقه الله إليها..

رابعاً: إنه «عليه السلام» لا يقدم على قتله ـ إلا بعد أن يسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لأن التصرف بالأمور إلى هذا الحد لا بد أن يكون بإذن منه «صلى الله عليه وآله»..

خامساً: إن علياً «عليه السلام» قد سأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إن كان يأذن بقتله. ولكنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: لا آذن لك، بل قال: أوما علمت أنه أُجِّلَ إلى الوقت المعلوم؟!

فدل بذلك: على أن قتله ليس محرماً في ذاته، بل هو مستحق للقتل، ولكن وضع الأجل له هو الذي يمنع من قتله..

سادساً: إن علياً «عليه السلام» بقبضه على ناصية إبليس قد دل على أن قتله ممكن ومقدور له.. وهذه مزية تثبتها له هذه الرواية، ليمتاز بها عن

سائر الناس..

ولكن هل قتله يزيل الشرور من بين الناس؟! أم أن شياطين الجن والإنس، من ذرية إبليس، سوف يواصلون عملهم في إضلال الناس، ودعوتهم إلى المعاصي، وإن كان رأسهم المدبر قد زال؟!

سابعاً: إن ما قاله إبليس عن مشاركته آباء مبغضي علي «عليه السلام» في أبنائهم لا يعني أن إبليس مصيب في عمله، فإن بغضه «عليه السلام» جريمة عظيمة، وفعل إبليس هذا عدوان ومعصية، وتمرد على أمر الله سبحانه..

غير أن الله سبحانه حين يرفع ألطافه عن مبغضي علي «عليه السلام» يتسلط عليهم إبليس بأنواع من التصرفات.

النبي صلى الله عليه وآله يخبر باستشهاد علي عليه السلام:

عن أنس بن مالك قال: كان علي بن أبي طالب مريضاً، فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر جالسان.

قال: فجلست عنده، فما كان إلا ساعة حتى دخل نبي الله «صلى الله عليه وآله»، فتحولت عن مجلسي، فجاء النبي «صلى الله عليه وآله» حتى جلس في مكاني، وجعل ينظر في وجهه.

فقال أبو بكر أو عمر: يا نبي الله، لا نراه إلا لما به.

فقال: لن يموت هذا الآن، ولن يموت إلا مقتولاً[1].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٦٧ و (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٥٣٦ وراجع: =

ونقول:

أولاً: لم يحدد «صلى الله عليه وآله» لأبي بكر، ولا لعمر تاريخ استشهاد علي «عليه السلام». بل اكتفى ببيان أنه لا يموت في مرضه ذاك. ثم نفى نفياً قاطعاً ومؤبداً موته «عليه السلام» بغير القتل.

ثانياً: إن هذا الإخبار، يدلهم على إمكانيته قتل علي «عليه السلام» بل على أن القتل واقع لا محالة.. وهذا يسقط أي توهم يريد أن ينحو منحى الغلو وأن يتجاوز الحدود في علي «عليه السلام».

كما أنه يسقط ما يراد إشاعته من أن ما حققه «عليه السلام» من انتصارات ، وإنجازات هائلة في ساحات النزال والقتال، ثم خوف الناس منه، ونكولهم عنه لا يجعله مستحقاً للتعظيم والتكريم، والتقديم، لأنه جاء نتيجة التصرف الإلهي، الذي يريد صنع النصر على يد أي كان من الناس.. فليس في ذلك فضل لعلي «عليه السلام» ، لأنه لا يستفيد من قدرات نفسه كما أنه لا يوجب الإنتقاص من مقام أحد ممن كان ينكل في الحرب، ويفر في مقامات الطعن والضرب.

فقول النبي «صلى الله عليه وآله» هنا يدل: على أن علياً «عليه السلام» ليس في منأى عن القتل والجرح، وأن ما حققه من انتصارات، إنما كان

= الكامل في التاريخ ج٣ ص٣٨٧ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٧٨٠ وج٢٣ ص٣٨٤ وج٢٣ ص٣٩٢ و٣٢ ص٥٩٦ وعن الفخري في الآداب السلطانية (طبع بغداد) ص٨٢ .

بجهده وجهاده، حتى استحق أن يفيض ألطافه عليه، ويشمله بعناياته.. ولم يكن غيره أهلاً ولا محلاً لذلك.

ما أحسب علياً عليه السلام فيكم!:

عن علي بن الحسين «عليهما السلام»، قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم وصلى الفجر، ثم قال: معاشر الناس، أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلوا باللات والعزى ليقتلوني. وقد كذبوا ورب الكعبة.

قال: فأحجم الناس وما تكلم أحد، فقال «صلى الله عليه وآله»: ما أحسب علي بن أبي طالب فيكم؟!

فقام إليه عامر بن قتادة، فقال: إنه وعك في هذه الليلة، ولم يخرج يصلي معك، أفتأذن لي أن أخبره؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: شأنك.

فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين علي «عليه السلام» كأنه أنشط من عقال، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته، فقال: يا رسول الله، ما هذا الخبر؟!

قال: هذا رسول ربي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا إلي لقتلي، وقد كذبوا ورب الكعبة.

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، أنا لهم سرية وحدي، هو ذا ألبس علي ثيابي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بل هذه ثيابي، وهذه درعي،

وهذا سيفي.

فدرَّعه، وعممه، وقلده، وأركبه فرسه.

وخرج أمير المؤمنين «عليه السلام»، فمكث «صلى الله عليه وآله» ثلاثة أيام، لا يأتيه جبرئيل بخبره، ولا خبر من الأرض.

فأقبلت فاطمة بالحسن والحسين «عليهم السلام» على وركيها، تقول: أوشك أن ييتم هذين الغلامين.

فأسبل النبي «صلى الله عليه وآله» عينه يبكي، ثم قال: معاشر الناس، من يأتيني بخبر علي أبشره بالجنة.

وافترق الناس في الطلب، لعظم ما رأوا بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وخرج العواتق، فأقبل عامر بن قتادة يبشر بعلي «عليه السلام»، وهبط جبرئيل على النبي «صلى الله عليه وآله»، فأخبره بما كان فيه.

وأقبل أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ومعه أسيران، ورأس، وثلاثة أبعرة، وثلاثة أفراس.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: تحب أن أخبرك بما كنت فيه يا أبا الحسن؟!

فقال المنافقون: هو منذ ساعة قد أخذه المخاض، وهو الساعة يريد أن يحدثه!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: بل تحدث أنت ـ يا أبا الحسن ـ لتكون شهيداً على القوم.

قال: نعم ـ يا رسول الله ـ لما صرت في الوادي، رأيت هؤلاء ركباناً على الأباعر، فنادوني: من أنت؟

فقلت: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله.

فقالوا: ما نعرف لله من رسول، سواء علينا وقعنا عليك أو على محمد، وشد علي هذا المقتول، ودارت بيني وبينه ضربات، وهبت ريح حمراء سمعت صوتك فيها يا رسول الله وأنت تقول: قد قطعت لك جربان درعه، فاضرب حبل عاتقه. فضربته فلم أحفه.

ثم هبت ريح صفراء، سمعت صوتك فيها يا رسول الله، وأنت تقول: قد قلبت لك الدرع عن فخذه، فاضرب فخذه. فضربته ووكزته، وقطعت رأسه ورميت به.

وقال لي هذان الرجلان: بلغنا أن محمداً رفيق شفيق رحيم، فاحملنا إليه ولا تعجل علينا، وصاحبنا كان يعد بألف فارس.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي، أما الصوت الأول الذي صك مسامعك فصوت جبرئيل «عليه السلام».

وأما الآخر فصوت ميكائيل «عليه السلام»، قدم إلي أحد الرجلين. فقدمه، فقال: قل لا إله إلا الله، واشهد أني رسول الله.

فقال: لنقل جبل أبي قبيس أحب إلي من أن أقول هذه الكلمة.

فقال: يا علي، أخره واضرب عنقه.

ثم قال: قدم الآخر.

فقال: قل لا إله إلا الله، واشهد أني رسول الله.

فقال: ألحقني بصاحبي.

قال: يا علي، أخره واضرب عنقه.

فأخره، وقام أمير المؤمنين «عليه السلام» ليضرب عنقه، فهبط جبرئيل «عليه السلام» على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: لا تقتله، فإنه حسن الخلق، سخي في قومه.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي، أمسك، فإن هذا رسول ربي عز وجل يخبرني أنه حسن الخلق، سخي في قومه.

فقال المشرك، تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك!

قال: نعم.

قال: والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قط، ولا قطبت وجهي في الحرب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هذا ممن جره حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات النعيم(١).

ونقول:

---

(١) الأمالي للصدوق ص١٦٦ ـ ١٦٨ والخصال للصدوق ص٩٤ ـ ٩٦ وحلية الأبرار ج٢ ص٨٨ ـ ٩٠ وبحار الأنوار ج٤١ ص٧٣ ـ ٧٥ وشجرة طوبى ج١ ص١٧٩ ـ ١٨١.

١ ـ دلت هذه الواقعة: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان على يقين من فشل محاولة قتله على يد هؤلاء الثلاثة، ولا شك في أنه قد علم ذلك بواسطة جبرئيل عن الله تبارك وتعالى، كما ذكره «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام».

٢ ـ إن معرفته هذه لا تعني أن يقف مكتوف الأيدي تجاه مؤامراتهم، إذ قد يكون فشل مؤامرتهم مرهوناً بتصرف معين من قبل المؤمنين أنفسهم، ولولا ذلك لتبدلت الأمور، ووقع المحذور ـ أي أنه خبر مشروط بأمر اختياري لا بد من إنجازه، فإذا لم يتحقق الشرط، لم يجب تحقق المشروط، ويدل على هذا الإشتراط: نفس مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» لانتداب المسلمين لمواجهة المتآمرين..

٣ ـ ولأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعلم بأحوال أصحابه، ويعرف من يقدم منهم ومن يحجم. فإنه عرف أن علياً «عليه السلام» غير موجود بينهم بمجرد عدم إجابته طلبه، إذ لو كان حاضراً فلا بد أن يبادر إلى ذلك..

وكان «صلى الله عليه وآله» يعلم أيضاً: أن أحداً غيره لم يكن على استعداد للتضحية في مثل هذه الحالات..

وقد ظهر: أنه على حق فيما قال، حين أخبره عامر بن قتادة بأن علياً «عليه السلام» قد وعك في تلك الليلة..

٤ ـ وحين قال عامر بن قتادة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أفتأذن لي أن أخبره؟!

قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: شأنك.

أي أنه «صلى الله عليه وآله» لم يصدر أمراً باستحضار علي «عليه السلام»، بل أرجع الأمر إلى عامر بن قتادة. ولو أنه أجابه بالإيجاب لتوهم متوهم أن علياً «عليه السلام» قد اضطر للخروج إلى المتآمرين، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد منه ذلك. ولو ترك وشأنه، فلعله يؤثر السلامة على الخروج كما آثرها غيره.

٥ ـ وقد أراد علي «عليه السلام» أن يخرج وحده للمتآمرين، لأن من لم ينتدب لهم حين طلب منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك لا يستحق أن ينال شرف المشاركة في أمر كان كارهاً له..لأن مشاركته هذه ستكون لأجل أن ينال المكاسب على يد غيره، ومن دون أن يقدم هو أي شيء يستحقها به..

٦ ـ وقد أراد «صلى الله عليه وآله» بإلباس علي «عليه السلام» درعه، وإعطائه سيفه، وإركابه فرسه، وتعميمه، وتقليده بيده، أن يدل على كمال خصوصيته عنده، وعلى أنه يمثله أدق تمثيل.

وقد دل مجيء فاطمة بأولادها بعد انقطاع خبر علي «عليه السلام» عنهم ثلاثة أيام، على أن لعلي «عليه السلام» عيالاً هم أحب الخلق إلى الله، وكان لغير علي «عليه السلام» زوجات، ولكن لا كفاطمة. وكان لهم أولاد، ولكنهم ليسوا مثل الحسنين، فإن كان حب العيال منع غيره من المخاطرة بنفسه، فلماذا لم يمنع علياً «عليه السلام» حب هؤلاء الصفوة الذين لا نظير لهم على وجه الأرض من المخاطرة بنفسه؟!

٧ ـ قد يحاول البعض إثارة الشبهة حول صحة هذه الرواية من جهتين:

إحداهما: أن عامر بن قتادة ليس له ذكر في كتب تراجم الصحابة..

ونجيب:

إن الذين ترجموا للصحابة إنما ذكروا من وجدوا له رواية، أو من ورد له ذكر في حادثة، أو نحو ذلك.. ولا شيء يدل على أنهم قد استقصوا جميع الأحاديث، وكل المؤلفات في التاريخ، والعقيدة، والأخلاق والسياسة، وما إلى ذلك.. ولا يزال أهل التتبع يستدركون على السابقين ما فاتهم في مختلف الموضوعات، ومنها التراجم.

الثانية: إن هذا الحديث لم يتداوله كتاب السيرة، ولا تناقلته الألسن، بل بقي تداوله محصوراً في نطاق معين.

ونجيب:

أولاً: ما زال كتَّاب السيرة يستدرك اللاحق منهم على السابق، وأنت تجد في الكتب المتفرقة أحاديث وأحداثاً وتفاصيل كثيرة، لا تجدها في الكتب التي حظيت باهتمام رواد كتابة السيرة الرسمية، التي يهتم الحكام بتوجيه الأنظار إليها..

ثانياً: إن هذا الحدث مروي عن علي بن الحسين السجاد «عليه السلام». وهو يتضمن فضيلة كبرى لمن لم يزل محارباً بشراسة على جميع الأصعدة وفي جميع المجالات..

والرواية التي ترد في كتب شيعة أهل البيت، وعن أحد أئمتهم «عليهم

السلام».. لا يسمح الآخرون لأنفسهم بأخذها وترويجها. كما لا يسمحون لأتباعهم بالإطلاع على كتب شيعة أهل البيت، ويحاولون محاصرة ثقافتهم، واستبعاد كل ما له ارتباط بها وبهم من قريب، أو من بعيد.

٨ ـ ويبقى هنا سؤال: كيف يمكن أن نتصور إعطاء الجنة لشخص لمجرد أنه سبق غيره في حمل خبر علي «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والحال أن الصدفة قد تكون هي التي مكنت هذا من حمل الخبر إليه، وحرمت ذاك.

ولعل الذي عرف خبر علي «عليه السلام» قبل غيره يكون من الفاسقين، أو من المنافقين؟!.

ونجيب:

أولاً: بأن الرواية نفسها قد أوضحت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان على علم بما جرى عن طريق جبرئيل «عليه السلام»، وقد عرض «صلى الله عليه وآله» على علي «عليه السلام» أن يخبره بما كان..

فمن الذي قال: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعلم بتعليم من الله ـ بشخص الذي سيأتيه بخبر علي «عليه السلام»، وبأنه من أهل الجنة؟!

ثانياً: إن الذي يهتم بأن يدخل السرور على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا بد أن يسارع إلى إعلامه بمجيء علي «عليه السلام».

أما من يكره علياً «عليه السلام»، ولا يهتم لسرور رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه سوف يتثاقل عن ذلك، بل هو سيسعى لحجب هذا الخبر السار عنه.. وسوف يسبقه غيره إلى إخباره «صلى الله عليه وآله» بمجيئه..

ويؤكد ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجعل ثواباً دنيوياً لهذا العمل، بل جعل له ثواباً أخروياً، يزهد أهل الدنيا به.. بل قد لا يصدقه الكثيرون منهم، ولا يدخل في جملة طموحاتهم أو رغباتهم..

٩ ـ إن قول النفر الثلاثة لعلي «عليه السلام»: سواء علينا: وقعنا عليك، أو على محمد. يدل على ما بلغه أمير المؤمنين «عليه السلام» من عظيم الأثر في النكاية بأهل الشرك، حتى أصبحوا يعدلونه بالنبي «صلى الله عليه وآله» نفسه.. وهم إنما يعرفونه من خلال أثره في الحروب، ولا يعرفونه من خلال مقامه عند الله تعالى، ومن خلال ميزاته الإيمانية والإنسانية، فإنهم لا يعترفون أولا يؤمنون بشيء من ذلك.

١٠ ـ إن الملائكة حين ساعدت علياً «عليه السلام» على عدوه لم يؤثروا في أجسادهم بصورة مباشرة، بل هم قد دلوا علياً «عليه السلام» على المواضع التي إن استفيد منها أمكن إلحاق الضرر بذلك العدو..

وهذا يشير: إلى أن الملائكة لا تريد أن تختزل من جهاد وتضحيات علي «عليه السلام» شيئاً.. حتى على صعيد احتفاظ عدوه بقدراته الذاتية.

١١ ـ لقد لفت نظرنا هؤلاء الأعداء الذين يطمعون في أن تشملهم رحمة محمد «صلى الله عليه وآله»، وتشملهم شفقته. مع أنهم ارتكبوا في حقه ما يستحقون به أشد العقوبات.. لأنهم يريدون إطفاء نور الله تعالى بقتل نبيه بدون مبرر، إذ لماذا يريدون أن يمنعوا الناس من اختيار ما يناسبهم؟! ولماذا يريدون فرض الشرك عليهم؟! ولماذا يريدون أن يفرضوا عليهم الإلتزام بأباطيل الجاهلية، وحفظ أضاليلها؟!

١٢ ـ ورغم أن ما فعله أولئك المجرمون يكفي لإنزال أقسى العقوبات بهم، بما في ذلك عقوبة القتل، إلا أن النبي «صلى الله عليه وآله» هيأ لهم فرصة جديدة للخلاص، حين عرض عليهم الإسلام، ولكن استكبارهم وعتوهم خذلهم هذه المرة أيضاً، فاستحقوا القتل بجميع المعايير والمقاييس، حتى الجاهلية منها.

١٣ ـ وكانت المفاجأة الأعظم هي تلك التي تجلت في نزول جبرئيل بالعفو عن الشخص الثالث، بسبب سخائه، وحسن خلقه.. وكان ذلك هو سبب إيمانه، حين لامس هذا العفو فطرته، وأيقظ وجدانه، وأنعش ضميره، لأنه جاء من دون اشتراط إسلامه وإيمانه، بل جاء بعد رفضه الإيمان والإسلام حين عُرِض عليه..

حجات علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله:

وذكر ابن شهرآشوب: أن علياً «عليه السلام» قد حج مع النبي «صلى الله عليه وآله» عشر حجج[1].

ولعل المراد حجاته معه، فكانت قبل الهجرة تسع مرات، ثم حجة الوداع سنة عشر من الهجرة..

ولكن يرد على هذا: أن المفروض أن يكون قد حج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة أكثر من تسع حجات. إذ لا مبرر لتفويت

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٢٣ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٨٧ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٧.

الحج في أية سنة من السنين. لا سيما وأن النبوة كانت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» منذ صغره، فتشمل الحجات التي حجها قبل أن يبعث رسولاً في سن الأربعين..

ويحتمل أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد منع من الحج في سنوات الحصار في الشعب، وهي ثلاث سنوات على الظاهر.

ويحتمل أن يكون المراد: أنه حج مع النبي «صلى الله عليه وآله» بعد الهجرة عشر حجات.. وذلك بالطريقة التي تناسب الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك، ولو كانت طريقة إعجازية..

والله هو العالم بحقيقة الحال..

لم يفكر بالدنيا، فأخذ الناقة:

عن ابن عباس: أهدي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ناقتان عظيمتان سمينتان، فقال للصحابة: هل فيكم أحد يصلي ركعتين بقيامهما وركوعهما، وسجودهما، ووضوئهما، وخشوعهما، لا يهتم فيهما من أمر الدنيا بشيء، ولا يحدث قلبه بفكر الدنيا، أهدى إليه إحدى هاتين الناقتين؟!

فقالها مرة، ومرتين، وثلاثة، فلم يجبه أحد من أصحابه، فقام أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: أنا يا رسول الله، أصلي ركعتين، أكبر تكبيرة الأولى، وإلى أن أسلم منهما،لا أحدث نفسي بشيء من أمر الدنيا.

فقال: يا علي، صلِّ، صلى الله عليك.

فكبر أمير المؤمنين «عليه السلام»، ودخل في الصلاة، فلما سلم من الركعتين هبط جبرئيل على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أعطه إحدى الناقتين.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني شارطته أن يصلي ركعتين، لا يحدث فيهما بشيء من الدنيا، أعطيه إحدى الناقتين إن صلاهما، وإنه جلس في التشهد، فتفكر في نفسه أيهما يأخذ.

فقال جبرئيل: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: تفكر أيهما يأخذها، أسمنهما وأعظمهما، فينحرها ويتصدق بها لوجه الله. فكان تفكره لله عز وجل، لا لنفسه ولا للدنيا.

فبكى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأعطاه كليهما. وأنزل الله فيه: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾**(١). لعظة لمن كان له قلب وعقل **﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾**، يعني يستمع أمير المؤمنين «عليه السلام» بإذنيه إلى من تلاه بلسانه من كلام الله **﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾**(٢)، يعني وأمير المؤمنين شاهد القلب لله في صلاته، لا يتفكر فيها بشيء من أمر الدنيا(٣).

---

(١) الآية ٢١ من سورة الزمر.

(٢) الآية ٣٧ من سورة ق.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٠ عن تفسير وكيع، والسدي، وعطاء. وراجع: بحار الأنوار ج٣٦ ص١٦١ وتأويل الآيات ج٢ ص٦١٢.

سؤال يحتاج إلى جواب:

ونقول:

إن هنا سؤالاً هاماً يحتاج إلى جواب، وهو التالي:

كيف صح أن يتعلل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن إعطاء الناقة لعلي «عليه السلام» مع أن جبرئيل أبلغه أمر الله تعالى الصريح بأن يعطي علياً «عليه السلام» إحدى الناقتين؟! ألا ينافي في ذلك عصمته؟! وألا يدل ذلك على عدم صحة هذه الرواية؟!

ونجيب:

إنه إنما ينافي العصمة، ويسقط الرواية عن الإعتبار لو لم يكن له وجه صحيح ومقبول.

والوجه هنا هو: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يدفع التوهمات التي قد تراود أذهان البعض الذين لم يطيقوا فوز علي «عليه السلام» بهذه الفضيلة، فيحاولون لأغراض مختلفة أن يقرروه «عليه السلام»، إن كانت الناقة قد خطرت بباله أثناء صلاته، فإذا أجاب بالإيجاب، فسيطيرون بها في الشرق والغرب، وسيحدث الخلل الإيماني من خلال انتشار الشك في النبوة، أو في صفات النبي «صلى الله عليه وآله» في كل اتجاه.

فأوضح النبي «صلى الله عليه وآله» لهم، من خلال جبرئيل، الذي لا يمكنهم أن ينسبوا إليه المحاباة لعلي «عليه السلام»، لأنه ليس صهره ولا ابن عمه ـ أوضح ـ أن خطور الناقة على باله «عليه السلام» علي يتصور على نحوين:

أحدهما: خطورها له بما لها من قيمة في الدنيا وحسب.. وهذا لو حصل لنقض الشرط الذي شرطه عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولزالت عنه صفة استحقاقها..

الثاني: أن يفكر كيف يستفيد منها في بلوغ مرضات الله سبحانه، وهذا ليس تفكيراً بالدنيا وليس لنفسه، بل هو لله وفي الله عز اسمه.. كما قال جبرئيل «عليه السلام»..

ويلاحظ: أن جبرئيل هنا لم يورد هذا التفسير من عند نفسه، بل أسنده إلى الله تبارك وتعالى علام الغيوب، والمطلع على القلوب.. ليتوهم متوهم: أن جبرئيل «عليه السلام» قد لا يبلغ كنه أمثال هذه الأمور، ليكون ذلك أولى بالإقناع، والإتباع.

يضاف إلى ذلك: أن جبرئيل يذكر تفاصيل ما فكر به علي «عليه السلام»، ولولا أنه تلقى ذلك عن الله تبارك وتعالى، وأذن له في بيانه، لم يكن له هو الآخر سبيل إلى معرفة ما في الضمائر، وما تكنه السرائر.. كما أنه لا يحق له البيان، لا الإعلان..

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

١ ــ الفهرس الإجمالي

الفصل الرابع: تبليغ سورة براءة........................ ٥ ـ ٣٦
الفصل الخامس: أقاويل.. لا مبرر لها.. ....٣٧ ـ ٥٨

الباب الحادي عشر: حجة الوداع.. ويوم الغدير..

الفصل الأول: علي عليه‌السلام في حجة الوداع ....٦١ ـ ٨٢
الفصل الثاني: اضواء على ما جرى في عرفة........................ ٨٣ ـ ١٢٤
الفصل الثالث: حديث الغدير: تاريخ ووقائع................... ١٢٥ ـ ١٥٤
الفصل الرابع: هكذا حورب عيد الغدير......................... ١٥٥ ـ ١٧٨
الفصل الخامس: حديث الغدير: ثابت.. ومتواتر.. .... ١٧٩ ـ ١٩٦
الفصل السادس: خطبة الغدير: حدث.. ودلالة.. .... ١٩٧ ـ ٢٣٠
الفصل السابع: آيات الغدير.................................... ٢٣١ ـ ٢٥٦
الفصل الثامن: آيات سورة المعارج.. وسورة العصر.. .... ٢٥٧ ـ ٢٨٢
الفصل التاسع: قرائن ودلالات.. .... ٢٨٣ ـ ٣١٤

الباب الثاني عشر:

من تاريخ علي عليه‌السلام في عهد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله..

الفصل الأول: أحداث ذات مغزى.. .... ٣١٧ـ٣٤٨

الفهارس: ٣٤٩ـ٣٦١

٢ ــ الفهرس التفصيلي

الفصل الرابع: تبليغ سورة براءة..

إرسال أبي بكر إلى مكة: ٧
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ: ٩
حقيقة ما جرى:.. ٩
خلاصات ضرورية: ١٠
استمرار أبي بكر في مسيره إلى مكة: ١٥
تبدل آراء الأنبياء:.. ١٩
لماذا يتبرع أبو بكر؟!:... ٢٠
سبب إرجاع أبي بكر: ٢٠
هل هذا من الأسباب أيضاً؟!: ٢٢
جزع قريش: ٢٤
علي عليه السلام يتهدد المشركين: ٢٤
عمر شريك أبي بكر: ٢٧
متى أرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام؟!: ٣٠

أهلية أبي بكر للخلافة: ٣٠
علي عليه السلام وعمار: ٣١
عودة علي عليه السلام حدث ودلالة: ٣٣

الفصل الخامس: أقاويل.. لا مبرر لها..

نحن في حيرة من أمرنا: ٣٩
من بدع الرافضة: ٣٩
الثناء على أبي بكر في سورة البراءة: ٤٠
تأول بارد، ورأي سقيم كاسد: ٤٢
المؤاخذة على النوايا: ٤٥
لا يؤدي عنك إلا علي: ٤٨
أبو بكر لم يعزل: ٥٤
قصة براءة دليل إمامة أبي بكر: ٥٦

الباب الحادي عشر: حجة الوداع.. ويوم الغدير..

الفصل الأول: علي عليه السلام في حجة الوداع

الذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وآله: ٦٣
لماذا هذا الحشد؟!: ٦٥
يمنعهم من ركوب إبل الصدقة: ٦٧
علي عليه السلام يلتقي النبي صلى الله عليه وآله في مكة: ٧٠

هل هذا تحريف متعمد؟!: ٧١
الإجمال في النية: ٧٣
لماذا كان سؤال علي عليه السلام: ٧٣
هل ندم صلى الله عليه وآله على ما اختاره؟!: ٧٤
البدن التي نحرت: ٧٤
مجموع البدن: ٨٠
ملاحظة ذات مغزى: ٨٠
لو أشرك النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر: ٨١

الفصل الثاني: اضواء على ما جرى في عرفة..

للإمامة تاريخها: ٨٥
ليلة عرفة تمهيد ليوم عرفة: ٨٦
حديث عرفات: ٩٠
علي عليه السلام امتداد للرسول صلى الله عليه وآله: ٩٩
مكان خطبة الرسول صلى الله عليه وآله: ١٠١
كلهم من قريش: ١٠٢
التمرد على الرسول صلى الله عليه وآله: ١٠٣
المجتمعون في منى وعرفات: ١٠٨
من هم المتجرؤون؟!: ١٠٩
قريش هي السبب: ١١١

أضواء على ما جرى في عرفة:............................١١٢
نتائج وآثار:..١١٥
من الرابح؟!:..١١٨
الخروج السريع من مكة:................................١١٨
الصحابة يعاقبون النبي صلى الله عليه وآله:....................١٢١

الفصل الثالث: حديث الغدير: تاريخ ووقائع..

لا بد من الرجوع لكتاب الصحيح:......................١٢٧
نصوص حديث الغدير:....................................١٢٧
ماذا جرى يوم الغدير؟!:................................١٣٨
الخطبة برواية الطبري:..................................١٤٤
النبي صلى الله عليه وآله يعلمهم التهنئة والبيعة:..................١٤٧

الفصل الرابع: هكذا حورب عيد الغدير..

بداية ضرورية:..١٥٧
حديث الغدير واقعة حرب:................................١٥٧
يوم الغدير لتبرئة علي عليه السلام:..............................١٥٨
يوم الغدير عيد:..١٦١
عيد الغدير لا أصل له:....................................١٦٩
ماذا يقول شانئو علي عليه السلام؟!:..........................١٧٠
الإبتداع الغبي:..١٧٤

الفصل الخامس: حديث الغدير: ثابت.. ومتواتر..

المنكرون والمشككون...:................................١٨١
مصادر حديث الغدير:...................................١٨٣
طرق حديث الغدير:......................................١٨٣
رواة حديث الغدير: ١٨٧
تواتر حديث الغدير:......................................١٨٨
الرازي.. والأربع مئة طريق: ١٨٩
ما أصعب أن يتواتر حديث الغدير!: ١٩٠
أسباب إنكارهم التواتر: ١٩٢
الغدير لم يخرِّجه الشيخان:..................................١٩٣
المؤلفات في حديث الغدير:................................١٩٤

الفصل السادس: خطبة الغدير: حدث.. ودلالة..

قبل أن يبدأ النبي صلى الله عليه وآله خطبته: ١٩٩
علي عليه السلام في السحاب: ٢٠٢
أكثر من خطبة: ٢٠٨
الضلال والهدى:...٢١٠
يوشك أن أدعى فأجيب:.....................................٢١٠
إني مسؤول، وأنتم مسؤولون:..................................٢١١
التذكير بالمنطلقات العقائدية: ٢١١

بماذا.. ولماذا قررهم؟!:..٢١٢
التزيين الشيطاني: ٢١٦
الله يعيذهم:..٢١٧
الإعلان بالشهادتين: ٢١٨
فليبلغ الشاهد الغائب:..٢٢٠
الحب والبغض إختياريان: ٢٢١
وأدر الحق معه حيث دار: ٢٢١
حديث الثقلين: ٢٢٢
وانصر من نصره: ٢٢٢
معنى الولاية في حديث الغدير: ٢٢٣
الجمع بين المعاني: ٢٢٨
أمهات المؤمنين يهنئن علياً عليه السلام:..٢٢٩

الفصل السابع: آيات الغدير..

متى نزلت سورة المائدة؟!: ٢٣٣
موقع آية الإكمال: ٢٣٦
متى يئس الذين كفروا؟!: ٢٣٨
السبب الحقيقي ليأس الذين كفروا: ٢٤٢
فلا تخشوهم واخشوني: ٢٤٢
أكملت.. أتممت: ٢٤٣

الإسلام مرضي لله تعالى دائماً: ٢٤٥
آية الإكمال نزلت مرتين: ٢٤٥
كلام الأميني رحمه الله:........................ ٢٤٨
أبو طالب لم يكن حاضراً: ٢٤٩
بلغ ما أنزل إليك.. في اليهود: ٢٥١
مم يخاف النبي صلى الله عليه وآله؟!: ٢٥٢
فما بلغت رسالته: ٢٥٤
تبرئة الرسول صلى الله عليه وآله: ٢٥٥

الفصل الثامن: آيات سورة المعارج.. وسورة العصر..

الغدير وآيات سورة المعارج: ٢٥٩
سورة المعارج مكية:........................ ٢٦٠
سورة والعصر نزلت في علي عليه السلام: ٢٨٠

الفصل التاسع: قرائن ودلالات..

لماذا آية الإكمال أولاً؟!: ٢٨٥
لماذا قدم آية الإكمال؟!:........................ ٢٩٠
تناقضات تحتاج إلى حلول: ٢٩٥
الإحتجاج بحديث الغدير:........................ ٢٩٨
زيد بن حارثة في حديث الغدير:........................ ٢٩٨
علي عليه السلام كان باليمن: ٣٠١

علي عليه السلام بعد العبدين الصالحين: ٣٠٤
الزهري.. وحديث الغدير: ٣٠٧
عمر في خدمة جبرئيل: ٣٠٧
ماذا بعد الأئمة؟!: ٣١٠
أي يوم أعظم حرمة؟!: ٣١١
التهديد الإلهي حسم الأمر: ٣١٢
محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله: ٣١٣

الباب الثاني عشر:

من تاريخ علي عليه السلام في عهد الرسول صلى الله عليه وآله..

الفصل الأول: أحداث ذات مغزى..

أبو هريرة أعلم من أبي بكر وعمر: ٣١٩
لو كان علي عليه السلام معكم لما ضللتم: ٣٢٠
أعتق علي عليه السلام ألف مملوك: ٣٢٣
هبني سيفك: ٣٢٤
علي عليه السلام في حديث المعراج: ٣٢٦
إبليس مؤجل إلى الوقت المعلوم: ٣٣٠
النبي صلى الله عليه وآله يخبر باستشهاد علي عليه السلام: ٣٣٣
ما أحسب علياً عليه السلام فيكم!: ٣٣٥

حجات علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله: ٣٤٤
لم يفكر بالدنيا، فأخذ الناقة: ٣٤٥
سؤال يحتاج إلى جواب: ٣٤٧

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي ٣٥١
٢ ـ الفهرس التفصيلي ٣٥٣